رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الإصباح

في بيان منهج السلف في التربية والإصلاح

راجعه وصححه
وقدم له وعلق عليه

صاحب الفضيلة العلامة الشيخ
صالح بن فوزان الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء

بقلم
عبد الله بن صالح العبيلان

غراس
للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان

جميع حقوق النشر والطبع والتوزيع والحقوق المادية والفكرية والأدبية
وحقوق النسخ والتصوير الضوئي والإلكتروني والترجمة لجميع اللغات
محفوظة لشركة غراس للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان - الكويت

يمنع منعا باتا تنزيل الكتاب على شبكة ومواقع الانترنت

الطبعـة الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م

الطبعة الثانية

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

غراس للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان

الكويت - شارع الصحافة - مقابل مطابع الرأي العام التجارية
هاتف: ٤٨١٩٠٣٧ - ٤٨٤٤٧٤٣ - فاكس ٤٨٣٨٤٩٥
الكويت - الخالدية: ص. ب: ١٧٠١٢ - الرمز البريدي: ٧٢٤٥١
فرع القاهرة: عين شمس الشرقية - أحمد عصمت - ١ ش صعب صالح -
برج الأمانة ، هاتف: ٠٠٢٠٢٢٤٩٩٨٣٥٦ - ٠٠٢٠١٢٦٣٠٤٠٧٥
Website: www.gheras.com
E-Mail: info@gheras.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مقدمة الناشر

الحمد لله فالق الإصباح، نور السماوات والأرض، مُوضح المحجة البيضاء، ومقيم الملة الغراء، والصلاة والسلام على المصطفى، والنبي المجتبى، أشرف المرسلين، وسيد الأولين والآخرين، محمد ﷺ دائمًا وأبدًا.

أما بعــد:

فهذه رسالة قيمة نقدمها للقراء اليوم، بعد أن قدمنا الكثير من الكتب النافعة، بفضل اللَّه تعالى ومَنِّه؛ وذلك إيمانًا منَّا بأن الاهتمام بالنشر الإسلامي من أهم طرق الدعوة، ونشر كلمة الحق، ووقوفًا أمام مسؤولياتنا تجاه ديننا وتاريخنا المجيد، لا سيما بعد أن عَجَّت المكاتب في هذه الأزمنة بكم كبير من الكتب والرسائل وفيها - كما لا يخفى على المطلعين - الغث والسمين، وفي بعضها تَعَدٍّ على التراث العلمي التليد بسوء التحقيق والإخراج والإعداد والنشر، وأخذنا على عاتقنا، والحمد لله، حمل أمانة الكتاب الإسلامي، والقيام بشئونه، وإخراج النافع منها على أكمل وجه، ونسأل اللَّه تعالى الإعانة والسداد.

وهذه الرسالة، كما عنونها المؤلف، تهتم في جانب مهم في منهج أهل السنة والجماعة، وهو التقرير المنهجي في التربية والإصلاح، الذي غفل عنه العديد ممن كَتَب، أو تَصَدر للخطب والمحاضرات، وتغافل في بيانه من المناوئين الكثير، فكانت من الضرورة البالغة ذكرها

وتخصيصها بمؤلَّف، بعد أن كانت تُذكر ضمنًا في مدونات عقائدنا، وذلك لعدم الحاجة لتخصيص ذلك بالكلام، أما اليوم بعد أن اختلطت العقول؛ ومن ثَم وقعت فتنٌ تجعل الحليم حيرانًا، كان من الحاجة الماسة ذكر ذلك بكتاب مستقل، يلم شعث الموضوع، ويجمع أطرافه، فكان والحمد لله كذلك .

كما طرَّز المؤلف حفظه اللَّه قواعده بنقل من درر مقالات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه النجيب ابن قيم الجوزية، رحمهما اللَّه تعالى رحمة واسعة، وجزاهم عن الإسلام وأهله خير الجزاء، فكانت هاتيك النقول شارحة لتلك القواعد وناصَّة عليها، ومما أعطى هذه الرسالة أهمية خاصة هو شرح سماحة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء، حفظه اللَّه، لهذه القواعد والتعليق عليها بما ينفع الإسلام والمسلمين .

وفي الختام نسأل اللَّه تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى أن يجعل هذا العمل متقبلًا، وأن ينفع به المسلمين، وأن يجزل كلَّ من أعان على إخراج هذا السِّفر بأبهى حلله، إنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه، وصلِّ اللهم وسلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

شركة غراس للنشر والتوزيع

نجم بن سهيل السماعيل

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على نبينا محمدٍ وعلى آلهِ وصحبِه أجمعين.

وبعد:

فقد اطلعتُ على الرسالةِ التي هي بعنوانِ: «**الإصباحُ في بيانِ منهجِ السلفِ في التربيةِ والإصلاحِ**» من تأليفِ الشيخِ: عبدِ اللهِ بنِ صالحٍ العبيلانِ، فوجدتُها رسالةً قيمةً مفيدةً مؤصلةً مِن الكتابِ والسنةِ وأقوالِ أهلِ العلمِ، يحتاجُ إليها الدعاةُ والمدرسون وعمومُ المسلمين، فجزاه اللَّه خيرًا ونفع بما كَتَب.

وصلى اللَّه وسلم على نبينا محمدٍ وآله وصحبِه

كَتَبه

صالحُ بنُ فوزانَ الفوزانُ
عضوُ هيئةِ كبارِ العلماءِ
في ٢/ ١٠/ ١٤٢٨هـ

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

إن الحمدَ للهِ، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا وسيئاتِ أعمالِنا، من يهده اللهُ فلا مضل له، ومن يضللْ فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهدي هديُ نبيِّنا محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثة بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ.

- **ثم أما بعد:**

فإن من واجبِ أهلِ العلمِ القيامَ بأمرِ اللهِ، تعليمًا ودراسة، كما قال تعالى:

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: ٧٩]. وذلك يتطلبُ منهم الدعوةَ إلى اللهِ، وتطهيرَ شرعِه ومنهاجِه، وألّا يقولوا على اللهِ إلّا الحقَّ، ويحذروا من طريقةِ علماءِ اليهودِ الذين يَلبِسون الحقَّ بالباطلِ، ويَكتمونه أو يُخفونه أو يُحرفونه، أو يلوون ألسنتَهم به، قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾ [الأعراف: ١٨١]. قال عليه الصلاة والسلام: «**لا تزالُ طائفةٌ مِن أمتي قائمةً بأمرِ اللهِ**»[1]. قال البخاريُّ[2] في كتابِ الاعتصامِ بالكتابِ والسنةِ: هم أهلُ العلمِ.

قال الزهريُّ: كان علماؤنا يقولون: الاعتصامُ بالسنةِ هو النجاةُ.

وقال مالكٌ: السنةُ سفينةُ نوحٍ، مَن ركبها نجا، ومَن تخلَّف عنها غَرِق.

وذلك أن السنةَ والشريعةَ والمنهاجَ هو الصراطُ المستقيمُ الذي يوصلُ العبادَ إلى اللهِ، والرسولَ هو الدليلُ الهادي في هذا الصراطِ، كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وجرتْ عادةُ أهلِ العلمِ على مرِّ العصورِ تصنيفُ مؤلفاتٍ يسمونها السنةَ، والاعتصامَ بالكتابِ والسنةِ، أو يفردون لها أبوابًا في كتبِ الحديثِ؛ تذكيرًا بمنهاجِ الرَّعيلِ الأولِ، السلفِ الصالحِ، وردًّا على

---
(١) سيأتي تخريجه ص ١٢٩ .

(٢) في صحيحه (٦/ ٢٦٦٦).

المخالفين لهم.

ومِن هنا جاء تصنيفُ هذه الرسالةِ، وقد بدأتُ في كتابتِها عام ١٤١٣، وقرأتُ بِضْعَ عشرةَ قاعدةً منها على شيخِنا صاحبِ الفضيلةِ العلامةِ المحققِ: صالحِ بنِ فوزانَ الفوزانِ، وعلق عليها في حينِه، وهي مسجلةٌ في ثلاثةِ أشرطةٍ، ثم إن اللهَ تبارك وتعالى يسّر لي إتمامَها، حيث بلغتْ أربعًا وخمسين قاعدةً، وبعثتُ بها إلى فضيلتِه وراجَعَها، وأشار عليَّ بحذفِ وتعديلِ بعضِ ما جاء فيها، وعدَّلتُ وحذفتُ ما أشار به فضيلتُه، جزاه اللهُ خيرًا.

هذا واللهَ أسأل أن يتقبلَها ويجعلَها من الباقياتِ الصالحاتِ، وأن ينفَع بها، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

وكتبه

عبدُ اللَّه بنُ صالحٍ العبيلانُ

١٩/ ١٠/١٤٢٨هـ

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

١

القاعدةُ الأولى

الدينُ مبنيٌّ على أصلين عظيمين: الإخلاص، والمتابعة للنبي ﷺ

الأول: الإخلاص، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥]، وقوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البيّنة: ٥]، وقوله: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١﴾ [الزُمر: ١١]، ولقوله صلى اللّه عليه وآله وسلم: «**إنَّما الأعمالُ بالنِّياتِ**». رواه البخاري ومسلم[(١)].

الثاني: متابعة النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم، بأن يكون العمل موافقاً لما شَرَعَهُ صلى اللّه عليه وآله وسلم، لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، **قال الفضيل بن عياض**: «أحسنُ عملًا: أخلصُه وأصوبُه». قيل: ما أخلصُه وأصوبُه؟ قال: «الخالصُ ما كان لله، والصوابُ ما كان على السنة»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (١)، وانظر أطرافه، ومسلم (١٩٠٧) من حديث أمير المؤمنين عمر ﷺ.

(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٨/١٧٦) . وابنُ رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم»(١). وأخرجه ابنُ أبي الدنيا في «الإخلاص والنية» (ص٢٠)، عن إبراهيم بن الأشعث خادم الفضيل بن عياض بنحوه.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[آل عمران: ٣١]، وقول الرسول صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «**مَنْ عَمِلَ عَملًا ليس عليه أمرُنا فهو رَدٌّ**». أخرجه الشيخان، وهذا لفظ مسلم[(١)].

والناسُ منقسمون بحسَبِ هذين الأصلين إلى أربعةِ أقسام:

أحدها: أهلُ الإخلاصِ للمعبودِ والمتابعة؛ وهم أهل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ حقيقة، فأعمالُهم كلُّها للهِ، وأقوالُهم للهِ، وعطاؤهم للهِ، ومنعُهم للهِ، وحبُّهم للهِ، وبغضُهم للهِ، فمعاملتُهم ظاهرًا وباطنًا لوجهِ اللَّه وحده، لا يريدون بذلك من الناسِ جزاءً ولا شكورًا، ولا ابتغاء الجاهِ عندهم، ولا طلبَ المحمَدةِ والمنزلةِ في قلوبِهم، ولا هربًا من ذمِّهم؛ بل قد عدُّوا الناسَ بمنزلةِ أصحابِ القبورِ، لا يملكون لهم ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، فالعمل لأجل الناس، وابتغاء الجاه والمنزلة عندهم، ورجائهم للضر والنفع منهم لا يكون من عارفٍ بهم البتةَ؛ بل من جاهلٍ بشأنهم وجاهلٍ بربِّه، فمن عرف الناسَ أنزلهم منازلهم، ومن عرف اللهَ أخلص له أعماله وأقواله، وعطاءه ومنعه، وحبَّه وبغضَه، ولا يعامل أحدٌ الخلقَ دون اللَّه إلا لجهله باللَّه وجهله بالخلق، وإلا فإذا عرف اللهَ وعرف الناسَ آثر معاملة اللهِ على معاملتِهم.

وكذلك أعمالُهم كلُّها وعبادتُهم موافقةٌ لأمر الله، ولما يحبُّه ويرضاه، وهذا هو العملُ الذي لا يقبلُ اللهُ من عاملٍ سواه، وهو الذي بَلا عبادَه بالموت والحياة لأجله، قال اللَّه تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]. وجعل ما على الأرض زينة لها

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) من حديث أم المؤمنين عائشة ﵂.

ليختبرهم أيهم أحسن عملاً.

قال الفضيل بن عياض: «العمل الحسن هو أخلصه وأصوبه». قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ قال: «إن العملَ إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُقْبَلْ، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقْبَلْ، حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص: ما كان لله. والصواب: ما كان على السنة». وهذا هو المذكور في قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وفي قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥]. فلا يقبل اللَّه من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه على متابعة أمره، وما عدا ذلك فهو مردود على عامله، يردُّ عليه أحوج ما هو إليه هباءً منثورًا، وفي الصحيح من حديث عائشة عن النبي ﷺ: «**كلُّ عملٍ ليس عليه أمرُنا فهو ردٌّ**»[1]. وكل عمل بلا اقتداء فإنه لا يزيد عامله من اللَّه إلا بعدًا، فإن اللَّه تعالى إنما يُعبد بأمره لا بالآراء والأهواء.

القسم الثاني: مَنْ لا إخلاصَ له ولا متابعة، فليس عمله موافقًا لشرع، وليس هو خالصًا للمعبود؛ كأعمال المتزيِّنين للناس المرائين لهم بما لم يشرعه اللَّه ورسوله، وهؤلاء شِرَارُ الخَلْقِ وأمقتُهم إلى اللَّه ﷻ، ولهم أوفر نصيب من قوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨٨]. يفرحون بما أتوا من البدعة والضلالة والشرك، ويحبُّون أن يُحْمَدُوا باتباع السنة والإخلاص، وهذا الضرب يكثر فيمن انحرف من المنتسبين إلى العلم

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة.

والفقر والعبادة عن الصراط المستقيم، فإنهم يرتكبون البدع والضلالات والرياء والسمعة، ويحبون أن يُحْمَدُوا بما لم يفعلوه من الاتباع والإخلاص والعلم، فهم أهل الغضب والضلال.

القسم الثالث: من هو مخلصٌ في أعماله لكنها على غير متابعة الأمر؛ كجهَّال العُبَّاد والمنتسبين إلى طريق الزهد والفقر، وكل من عَبَدَ اللَّه بغير أمره واعتقد عبادته هذه قربة إلى الله؛ فهذا حاله كمن يظن أن سماع المكاء والتصدية قربة، وأن الخَلوة التي يترك فيها الجمعة والجماعة قربة، وأن صيام يوم فِطْرِ الناسِ كلِّهم قربة، وأمثال ذلك.

القسم الرابع: مَنْ أعمالُه على متابعة الأمر لكنها لغير الله؛ كطاعة المرائين، وكالرجل يقاتل رياءً وحمية وشجاعة، ويحج ليقال، ويقرأ القرآن ليقال؛ فهؤلاء أعمالهم ظاهرها أعمال صالحة مأمور بها لكنها غير صالحة، فلا تقبل، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البيِّنة: ٥].

فكل أحد لم يؤمر إلا بعبادة اللَّه بما أمر والإخلاص له في العبادة، وهم أهل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾[1] [الفاتحة: ٥].

*** قال سماحة الشيخ، حفظه الله:**

الحمد لله رب العالمين، وصلى اللَّه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

وبعد:

فإن الخلاف موجود بين الناس من قديم، والمذاهب مختلفة، كما قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ

---

(١) انظر: «مدارج السالكين» لابن القيم (١/ ٨٣).

وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [البقرة:٢١٣]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟﴾ [يونس:١٩]. فالخلاف حصل من قديم بين البشر، ولكن من رحمة اللَّه سبحانه وتعالى أنه أرسل الرسل وأنزل الكتب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، فالمنهاج الموصل إلى الله، سبحانه جل وعلا، والصراط المستقيم واحد لا اختلاف فيه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام:١٥٣]. وأما المذاهب والآراء والمناهج فهي كثيرة - التي هي من وضع البشر ومن آراء البشر - ليس لها عددٌ، لأن كل فرد وكل طائفة تُحدِثُ لها طريقة و منهجًا تتبعه، ولكن الطريق إلى اللَّه جل وعلا واحد، هو طريق الرسل من أولهم إلى آخرهم، طريق ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩]. قال تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة:٦]. وهذا الطريق وهذا الصراط يحتاج إلى بيان لئلا تلتبس عليهم الطرق والمناهج والمذاهب والأقوال والآراء، فلا بد من بيان الطريق الصحيح والمنهاج المستقيم، حتى يسير عليه من أراد اللَّه له الهداية.

الناس في كل زمان بحاجة إلى بيان هذا الطريق الموصل إلى اللَّه جل وعلا، وهذا الطريق، أو هذا المنهاج الرباني، أصله وقاعدته أمران: الإخلاص لله، والمتابعة للرسول ﷺ، فمن اتصف بهاتين الصفتين، بأن كان مخلصًا لله: في عبادته وأقواله وأفعاله ونياته ومقاصده، وكان متبعًا للرسول ﷺ: في سلوكه ومنهجه وعبادته - فقد سار على هذا الصراط المستقيم، يدل على هذا آيات وأحاديث كثيرة:

من الآيات قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: ١١٢]. فقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ﴾. هذا ردٌّ على اليهود والنصارى الذين قالوا: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١]. نفوا أن يدخل الجنة إلا من كان يهوديًا أو نصرانيًا، فرد اللَّه عليهم بقوله: ﴿بَلَىٰ﴾. أي: هذا ردٌّ لحصرهم ونفيهم، يدخلها من أسلم وجهه لله وهو محسن، هذا هو الذي يدخل الجنة، أما من كان على غير ذلك، فإنه لا يدخل الجنة، وإن ادعى أنه يدخلها، أو ادعى أنه لا يدخلها إلا هو، وقوله تعالى: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ﴾. يعني: أخلص لله، والوجه المراد به هنا الإخلاص لله ﷻ، ومعنى ﴿وَجْهَهُۥ﴾: قصده ونيته. أخلص وجهه، أي: أخلص قصده ونيته وتوجهه واتجاهه إلى الله، هذا الشرط الأول.

الشرط الثاني: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، أي: متبع للنبي ﷺ، لأنه ما كل مَن عمل عملاً، حتى ولو أخلص فيه، ما لم يكن موافقًا لسنة النبي ﷺ، فإنه لا يقبل عند اللَّه سبحانه وتعالى، بل لا بد أن يكون متبعًا للنبي ﷺ في ذلك، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البيِّنة: ٥]. هذا أيضًا فيه الشرطان، فقوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾. هذا دليل على أن الدين بالأمر والشرع، لا بالرأي الذي يحدثه الناس أو يختارونه من أنفسهم، بل الدين بالأمر، وهو أمر اللَّه سبحانه وتعالى، وأمر رسوله ﷺ، فكل عبادةٍ لم يأمر بها اللَّه جل وعلا، فإنها باطلة؛ لأنها بدعة، والنبي ﷺ يقول: «**مَن عَمِلَ عملاً ليس عليه أمرُنا فهو ردٌّ**».[1] ويقول: «**وكل بدعةٍ**

(١) تقدم تخريجه (ص ١٢).

ضلالةٌ»[١].

وقوله: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، هذا الشرط الثاني، وهو الإخلاص، لئلا يكون في نيته وقصده واتجاهه أحد غير اللَّه سبحانه وتعالى، بل يكون قصده خالصًا لله، فإن كان في قصده شيءٌ لغير اللَّه فإن عمله مردود، ولو كان موافقًا للسنة، ولو كان متبعًا في عمله لما جاء الشرع، فلو صلى، مثلًا، فلا شك أن الصلاة من صميم الدين، لكن لو صلى وهو يريد الرياء والسمعة، أو تصدق وهو يريد المدح والثناء من الناس، أو قاتل ليمدح في الشجاعة، فهذه أمور مشروعة وجاءت بها الشريعة، ولكن لما كان قصده فيه شرك لغير اللَّه ﷻ، كان عمله باطلًا، وكان من أهل النار.

هذه القاعدة الأولى التي يجب السير عليها، وهي: الإخلاص لله ﷻ، والمتابعة للرسول ﷺ، والنبي ﷺ يقول: «**إنما الأعمالُ بالنياتِ وإنّما لكلِّ امرئٍ ما نوى**»[٢] فالعبرة ليست بصورة العمل، وإنما العبرة بمقصد فاعله، فإن كان قصده خالصًا لله ﷻ، مع صلاح العمل ومطابقته للسنة، فهذا هو العمل النافع، أما من كان له قصدٌ غير اللَّه سبحانه وتعالى، فإن عمله لا يكون صالحًا ولا مقبولًا، ولذلك قال: «**فمَن كانتْ هجرتُه إلى اللهِ ورسولِه فهجرتُه إلى اللهِ ورسولِه**». يعني من كانت هجرته - والهجرة من أفضل الأعمال وهي الانتقال من بلد الشرك إلى بلد التوحيد وبلد الإسلام، فالناس ينتقلون من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، ولكن يختلفون في مقاصدهم - فمن كانت هجرته فرارًا بدينه وقصدًا لوجه اللَّه ﷻ فهجرته هجرة صحيحة ومقبولة عند اللَّه ﷻ، أما

(١) سيأتي تخريجه (ص ٢٥ ، ٢٦).
(٢) تقدم تخريجه (ص١١).

من هاجر من أجل الدنيا، من أجل الحصول على الثروة والمال، فهو وإن كانت صورته أنه مهاجر إلى اللَّه ورسوله، فهجرته إلى ما هاجر إليه، تاجَرَ أو هاجر ليتزوج امرأة، فهجرته إلى ما هاجر إليه، وإن كان قد انتقل مع المهاجرين، ولكن لما كانت نيته لغير اللَّه ﷻ، صارت هجرته إلى ما هاجر إليه، فلا يكون مهاجرًا إلى اللَّه ورسوله، وإنما يكون مهاجرًا إلى ما قصد، وإن ادعى وتظاهر أنه مهاجر إلى اللَّه ورسوله، لأن اللَّه يعلم المقاصد والنيات، وهو الذي يجازي على الأعمال، فيجازي كلًّا بما يعلم من قلبه من إخلاصٍ أو شرك.

***

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٢

القاعدة الثانية

أن مصدر التشريع والدعوة والعبادة هو: القرآن والسنة الصحيحة

لقوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ﴾ [الأعراف: ٣].

وقوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢﴾ [آل عمران: ١٣٢].

وقوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤٣﴾ [الزخرف: ٤٣].

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ [الحجرات: ١].

وقوله: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقوله: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣﴾ [النجم: ١-٣].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتابَ الله، وسُنَّتي**». رواه الحاكم(١).

(١) حسن: أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٨٩٩)(١٣٩٥) بلاغاً، والحاكم في «المستدرك» ١/ ١٧٢، وله شاهد من حديث جابر، وانظر: «مشكاة المصابيح»(٤٧)، و«السلسلة الصحيحة» (١٧٦١).

قال سماحة الشيخ، حفظه الله:

هذا من تمام ما سبق وإقامة الأدلة عليه، وهو أن العمل لا يكون مقبولًا عند اللَّه ﷻ إلا إذا كان موافقًا لما أنزله اللَّه من الكتاب والسنة، فإن كان مخالفًا لما أنزله اللَّه فإنه يكون مردودًا على صاحبه، كما قال ﷺ: «**مَن عَمِل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[(١)].

وهذه الآيات وهذه الأحاديث تؤكد هذا المعنى، وهو أنه لا بد للمسلم العامل من اتباع السنة، والعمل بالقرآن والسنة، وترك ما خالف الكتاب والسنة من الآراء ومن العبادات، ومن جميع التصرفات التي تخالف الكتاب والسنة، لأنه عبد مأمور بالاتباع، ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [المائدة: ٩٢].

فالطاعة المطلقة لله ﷻ، وكذلك الطاعة لرسوله ﷺ، لأنه لا يأمر إلا بما أمره اللَّه به، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣، ٤]. وهو مبلِّغ عن اللَّه سبحانه وتعالى، وهو معصوم، عليه الصلاة والسلام، أما غير الرسول ﷺ من الخلق فإنه إنما يطاع إذا كان متبعًا لرسول الله ﷺ، يطاع تبعًا لا استقلالًا، فأهل العلم يطاعون إذا كان ما يقولونه موافقًا لما جاء به الرسول ﷺ، فطاعتهم تبعًا لطاعة الرسول ﷺ، أما من أخطأ وخالف الكتاب والسنة فإنه لا يطاع، ولهذا يقول ﷺ: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»[(٢)]. ويقول ﷺ: «**إنما الطاعة في المعروف**»[(٣)]. ولهذا يقول جل وعلا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟

(١) تقدم تخريجه (ص١٢).
(٢) صحيح: أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٣١)، وانظر «السلسلة الصحيحة» (١٨١).
(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٢٦٢٥)، وانظر «صحيح سنن أبي داود» (٢٢٨٥).

ﵟاللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْﵞ [النساء: ٥٩].

قال العلماء: أمر اللَّه بطاعته وأمر بطاعة رسوله وطاعة أولي الأمر من أهل العلم والأمراء. وأولو الأمر: هم العلماء والأمراء، الذين بيدهم الأمر، فتجب طاعتهم، لكن بقيد أن تكون فيما أمر به اللَّه ورسوله، لا تكون فيما خالف أمر اللَّه ورسوله، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولهذا لم يكرر سبحانه وتعالى الطاعة مع أولي الأمر؛ لأنهم لا يطاعون استقلالًا، وإنما قال: ﵟأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْﵞ. ولم يقل: وأطيعوا أولي الأمر منكم. بل عطفه على طاعة اللَّه ورسوله؛ لأنهم يطاعون تبعًا لا استقلالًا، فلم يكرر الفعل مع ذكرهم، كما كرره مع الرسول ﷺ، هذا السر في التعبير الإلهي: ﵟيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْﵞ. ولم يقل: وأطيعوا أولي الأمر منكم. لأنهم لا يطاعون استقلالًا، وإنما يطاعون تبعًا لرسول الله ﷺ.

قال المصنف، حفظه الله:

هنا قال: الدعوة والعبادة؛ ربطًا لطريق الدعوة بالكتاب والسنة وصحيح الأثر، ما تعليقكم يا سماحة الشيخ؟

الجواب:

قال سماحة الشيخ، حفظه الله:

قوله تعالى: ﵟوَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍﵞ [التوبة: ١٠٠]. هذا يدل على اتباع منهج السلف من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم، لأن السلف الصالح كانوا يسيرون على منهج الرسول ﷺ، وهم أحرى بفهم الكتاب والسنة، وأقرب إلى الصواب، وأبعد عن التكلف، وأورع من المخالفة، كانوا حريصين جدًا على اتباع

الكتاب والسنة، ولهذا أثنى عليهم اللَّه جل وعلا، وأثنى على الذين اتبعوهم بإحسان، وكما ذكرنا، هم يطاعون ويُتبعون تبعًا للرسول ﷺ، لا استقلالًا؛ لأنه لا تجب طاعة مخلوق استقلالًا إلا رسول اللَّه ﷺ، أما مَن عداه فإنه يطاع بشرط أن يكون مُتَّبِعًا للرسول ﷺ، موافقًا لما جاء به الرسول ﷺ، هذا معنى ما قرره أهل العلم.

والدليل في ذلك هو الكتاب وما صح عن رسول اللَّه ﷺ، هذا هو الدليل الذي يُعتمد، لا أقوال الناس واجتهادات الناس، وإن صلحت نياتهم، وإن كثر علمهم، فإنهم إذا وقعوا في شيء من الخطأ فإن خطأهم يتجنب ويؤخذ بالصواب، وهم مأجورون، كما جاء في الحديث: «**إذا اجتهد الحاكمُ فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجرٌ واحدٌ**»(١) فيثابون على اجتهادهم، وإن أخطئوا، لكن لا تجوز متابعة الخطأ ونحن نرى أنه خطأ، لكن متى يكون خطأ؟ يكون خطأ إذا خالف الدليل، فما خالف الدليل فهو خطأ.

ولكن القائل إذا كان لم يتعمد الخطأ والمخالفة فإنه يكون مأجورًا على اجتهاده؛ نظرًا لنيته وقصده، ولكن لا يجوز لمن عرف أنه مخطئ أن يتابعه على خطئه، وإنما يتابعه على صوابه وما أصاب فيه، كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: «كلنا راد ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر»(٢).

والإمام أحمد يقول: «عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان - يعني: الثوري - واللَّه تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩١٩)، ومسلم (١٧١٦) كلاهما بنحوه، من حديث عمرو بن العاص ﷺ.
(٢) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٩٣).

يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]»[(١)].

وهذا ابن عباس ﵄ يقول: «يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء! أقول: قال رسول الله، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟!»[(٢)]. هذا في مسألة التمتع بالعمرة إلى الحج، وهي مسألة اجتهادية، ولكن لما كان اجتهاد أبي بكر وعمر ﵄، وهما أفضل الأمة بعد نبيها ﷺ، لما كان اجتهادهما مخالفًا للدليل فإن ابن عباس ﵄ قال هذه المقالة، لأن المتَّبَع هو الرسول ﷺ، أما غيره، مهما كبُر وعظُم قدره في الإسلام والعلم، فإنه لا يُتَّبع إلا إذا وافق الدليلَ، وكما ذكرنا أنهم مأجورون على اجتهادهم، كما صح في الحديث، لكن لا يجوز متابعتهم على الخطأ.

* * *

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/٣٤٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١/٣٣٧) بنحوه.

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٣

القاعدة الثالثة

أن أهل السنة والجماعة لا يَسْتَقِلُّونَ بِفَهْمِ القرآن عن السُّنَّةِ

لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]. وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]. وقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وقال ﷺ: «**ألا إني أوتيتُ القرآنَ ومِثْلَهُ مَعَهُ، ألا يوشِكُ رجلٌ شَبْعَانُ على أريكتِهِ يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتُم فيه من حَلالٍ فأحِلُّوه، وما وجدتُم فيه من حرام فحرِّموه**». رواه أحمد وأبو داود وغيرهما[1].

وعن العِرْباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول اللّه ﷺ موعظة بليغة، وجِلَتْ منها القلوبُ، وذَرَفَتْ منها العيونُ، فقلت: يا رسول اللّه، كأنها موعِظَةُ مودِّع فأوصِنا، فقال: «**أوصيكم بتقوى الله، والسمعِ والطاعةِ، وإن تأمَّرَ عليكم عبدٌ حبشيٌّ، وإنه مَن يَعِشْ منكم فسيرى اختلافًا**

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ١٣٩)، وأبو داود (٣٨٠٤، ٤٦٠٤)، والترمذي (٢٦٦٤) وغيرهم، وانظر: «صحيح أبي داود» (١٢٩٤).

كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنةِ الخلفاءِ الراشدين المَهديِّين، عَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ، وإياكم ومحدَثاتِ الأمورِ فإنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالةٌ». رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح(١).

وكما في «صحيح البخاري» عن حذيفة قال: «يا معشرَ القرَّاءِ، استقِيموا فقد سَبَقْتُمْ سَبقًا بعيدًا، فإن أخذتم يمينًا وشِمالًا لقد ضَللتم ضلالًا بعيدًا»(٢).

قال سماحة الشيخ، حفظه الله:

هذا فيه بيان حجية السنة، وأنها حجة يجب الأخذ بها، كما يؤخذ بالقرآن الكريم، فهي في الدرجة الثانية بعد القرآن، وذلك لأن اللَّه سبحانه وتعالى، وَكَّل إلى نبيه ﷺ بيان القرآن، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]. فالسنة تبين القرآن، توضحه وتفسره وتدل عليه، فلا بد من الاحتجاج بالسنة إلى جانب القرآن الكريم؛ مثال ذلك : أمر الله ، جل وعلا، بالصلاة: بإقامتها، والمحافظة عليها، والمداومة عليها، وتوعد الذين يضيعونها ويتبعون الشهوات، ولكن ليس في القرآن بيان الصلاة: كم عدد ركعاتها، وماذا يقال فيها، ماذا يقال في القيام والركوع والسجود، وما هي تفاصيل الصلاة، ليس هذا في القرآن، وإنما هو في السنة، قال ﷺ: «**صلُّوا كما رأيتموني أُصلي**»(٣). وكذلك الزكاة، أمر اللَّه بها مجملة في

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦، ١٢٧)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٨)، وغيرهم، وانظر«الصحيحة» (٩٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٥٣) .

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٥)، من حديث مالك بن الحويرث ﷺ.

القرآن الكريم، ولم يبين مقاديرها، وأنواع الأموال التي تجب فيها، وإنما أمر بها مجملة، فقال ﷻ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة:٤٣]. الذي بين هذا وحدده ووضحه هو رسول اللّه ﷺ في سنته، بيَّن الزكاة: متى تجب، وما هي الأموال التي تجب فيها الزكاة، وما مقدار ما يخرج في الزكاة، وكذلك الصيام، وكذلك الحج، وكذلك سائر العبادات، جاء التفصيل فيها عن الرسول ﷺ.

هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، أنهم يستدلون بالسنة كما يستدلون بالقرآن، يجعلون القرآن في الدرجة الأولى، ثم السنة، ثم الإجماع، ثم القياس، ثم بقية الأصول التي محلها في كتب الأصول.

لكن هناك طوائف من الضُّلَّال لا يحتجون بالسنة، كالخوارج ومن سار على نهجهم، من رفض السنة والاقتصار على القرآن، كما يقولون، يسمَّون بالقرآنية في هذا الزمان، يعني لأنهم يزعمون أنهم يعتمدون على القرآن، وكذَبوا في هذا، لم يعتمدوا على القرآن؛ لأن القرآن يأمر باتباع السنة، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧].

فهم لم يأخذوا بالقرآن، فاللّه - جل وعلا - يقول عن نبيه ﷺ: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة:٢]. الكتاب: هو القرآن. والحكمة: هي السنة. أو من الحكمة السنة النبوية، قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٦٤]. وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [المائدة:٩٢]. وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور:٥٦]. والآيات في هذا كثيرة.

والنبي ﷺ يقول: «**ألا إني أُوتيتُ القرآنَ ومثلَه معه**»(١).

ومذهب أهل السنة والجماعة: هو الاحتجاج بالسنة والعمل بها، أما الذين يرون الاقتصار على القرآن ويلغون السنة فهؤلاء ضالون، فقد يكونون كفارًا بفعلهم هذا.

وكذلك منهم من فرق بين السنة، كالمعتزلة ومن سار على منهجهم، لا يحتجون ببعض السنة الصحيحة، ويقولون: إنما يحتج بالمتواتر، وأما الآحاد فلا يحتج به في العقيدة. لا يحتجون بصحيح السنة في العقيدة إذا كانت آحادًا، بزعمهم، وإنما يعتمدون على القواعد المنطقية، على القواعد العقلية التي أصَّلوها، فإذا خالفها الحديث الصحيح الثابت عن رسول اللّه ﷺ اعتمدوا على قاعدتهم العقلية وردُّوا الحديث، إما بتأويل، وإما بالتكذيب واتهام الرواة عن رسول اللّه ﷺ، فهؤلاء أيضًا من الذين رفضوا السنة، وإن لم يرفضوها كلها، لكن رفضوا معظمها، وهذا مذهب باطل وضال منحرف لا شك في ذلك، لأنهم عطلوا السنة النبوية، أو بعضها، وإذا عطلت السنة أو بعضها انهدم كثير من الشرع، وما معنى طاعة الرسول ﷺ ؟! ثم هذا مخالف لمنهج أهل الحق الذين يحتجون بما صح عن رسول اللّه ﷺ، متواترًا أو آحادًا، في العقائد وفي غيرها؛ عملًا بقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]. ولقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]. ولقوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور: ٥٤] إلى غير ذلك.

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٢٥).

فالاحتجاج بالسنة من أصول أهل السنة والجماعة، ورفض السنة كلها، أو رفض بعضها، من أصول أهل البدع والضلالات والانحراف عن الحق.

يوجد ما يسمى الآن بالعقلانيين، وهم من أفراخ المعتزلة، ينهجون هذا المنهج الضال، فإذا خالف حديثُ رسولِ اللَّه ﷺ عقولَهم وأفكارَهم رفضوه، وقالوا: نحن لا نلغي عقولنا من أجل حديث رواه فلان!! حتى شككوا في أحاديث في «صحيح البخاري» وغيره، وقالوا: وإن رواه البخاري، وإن رواه مَن رواه! ما دام أنه يخالف عقولهم، فإنهم لن يقبلوه، وقد صرحوا بهذا في مؤلفاتهم وفي كتبهم.

ويسمَّون بالعقلانيين؛ لأنهم يقدمون العقول على السنة الصحيحة الثابتة عن رسول اللَّه ﷺ، وما هي العقول التي تقدم على السنة؟! عقول بشر قاصرة، لو كانوا يعلمون! أما السنة فإنها معصومة، وأما عقولهم فإنها متهمة وقاصرة، ولكن الضلال، والعياذ بالله، يحمل صاحبه على المهالك، فهذه طائفة موجودة الآن وقائمة ولها مؤلفات، فيجب الحذر من ضلالها ومن منهجها.

* * *

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٤

القاعدة الرابعة

أنهم لا يستقِلُّونَ بفهم الكتاب والسُّنة عن فهم السلف الصالح

لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

ولقوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [البقرة: ١٣].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: **«خيرُ الناسِ قرني، ثمَّ الذين يلونهم»**. الحديث متفق عليه[(١)].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليأتينَّ على أمتي كما أتى على بني إسرائيل حَذوَ النَّعلِ بالنَّعلِ، حتى إن كان منهم مَن أتى أُمَّه علانيةً، كان في أمتي مَن يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرَّقتِ اثنتين وسبعين ملةً، وتفترقُ أمتي على ثلاثٍ وسبعين، كلُّهم في النارِ إلا ملَّةً**

(١) أخرجه البخاري (٢٥٠٩، ٣٤٥١، ٦٠٦٥، ٦٢٨٢)، ومسلم (٢٥٣٣).

واحدةً». قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**». رواه الترمذي(١)، وفي رواية عند أحمد وأبي داود عن معاوية، فسَّر الناجية بأنها الجماعة(٢).

وفي حديث العِرباض المتقدم(٣): «**عليكم بسنتي وسنةِ الخلفاءِ الراشدين المَهديِّين، عَضُّوا عليها بالنواجذِ، وإياكم ومحدثاتِ الأمورِ، فإن كلَّ بدعةٍ ضلالةٌ**».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: تلى رسول اللَّه ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾. قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا رأيتم الذين يتَّبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّى اللهُ فاحذروهم**». رواه البخاري ومسلم واللفظ له(٤).

وعن عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما قال: «الخوارج شرُّ الخلق عند الله؛ انطلَقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين»(٥).

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٦٤٠)، وأحمد (٢/ ٣٣٢)، وأبو داود (٤٥٩٦)، وغيرهم، وانظر «الصحيحة» (٢٠٣).

(٢) حسن: أخرجه أحمد (٤/ ١٠٢)، وأبو داود (٤٥٩٧)، وانظر «الصحيحة» (٢٠٤).

(٣) تقدم تخريجه (ص٢٥، ٢٦).

(٤) أخرجه البخاري (٤٢٧٣)، ومسلم (٢٦٦٥).

(٥) علَّقه البخاري في «صحيحه» - مجزومًا به - (٩٢) كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب(٥) قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، ووصله ابن جرير الطبري في «تهذيب الآثار»، مسند علي رضي الله عنه، وصحَّح إسناده الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٢/ ٢٨٦).

وقد ثبت في الحديث الصحيح المرفوع عند مسلم (١٠٦٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه في وصف الخوارج: «**هم شرارالخلق والخليقة**».

وقال الأوزاعي: «اصبر نفسك على السُّنة، وقِفْ حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكفَّ بما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح؛ فإنه يسعك ما وسعهم»(١).

فإن السلف كانوا أعظم عقولًا، وأكثر فهومًا، وأَحدَّ أذهانًا، وألطف إدراكًا، كما قال عبد اللَّه بن مسعود: «مَنْ كان منكم مستنًّا، فليستن بمن قد مات، فإن الحيَّ لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد أبرُّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلُّفًا، قوم اختارهم اللَّه لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم فإنهم كانوا على الهُدى المستقيم»(٢).

وقد تواترت النصوص عن النبي ﷺ بأن خير قرون هذه الأمة القرن الذي بعث فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم.

وأعظم الفضائل؛ فضيلة العلم والإيمان، فهم أعلم الأمة باتفاق علماء الأمة، ولم يدعوا الطرق المبتدعة المذمومة عجزًا عنها؛ بل كانوا كما قال عمر بن عبد العزيز: «على كشف الأمور أقوى، وبالخير لو كان في تلك الأمور أحرى»(٣).

هذا فيما انفردوا به عنا، أما المداركُ التي شاركناهم فيها من دَلالاتِ الألفاظِ والأقيسة فلا ريب أنهم كانوا أبرَّ قلوبًا، وأعمقَ علمًا، وأقلَّ تكلُّفًا، وأقربَ إلى أن يُوَفَّقوا فيها لما لم نُوَفَّقْ له نحن؛ لما خصَّهم اللهُ تعالى به من تَوَقُّدِ الأذهانِ، وفصاحةِ اللسانِ، وسَعَةِ العلم، وسهولةِ

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٣١٥).
(٢) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٣/ ١٨٥) (١١١٨).
(٣) «درء تعارض العقل مع النقل» (٧/ ٢٨٧).

الأخذِ، وحُسنِ الإدراكِ وسرعتهِ، وقلةِ المعارضِ أوعدمه، وحسنِ القصدِ، وتَقْوَى الربِّ تعالى، فالعربيةُ طبيعتُهم وسليقتُهم، والمعاني الصحيحَةُ مركوزةٌ في فطَرِهم وعقولِهم، ولا حاجةَ بهم إلى النظرِ في الإسنادِ وأحوالِ الرُّواةِ وعللِ الحديثِ والجَرحِ والتعديلِ، ولا إلى النظرِ في قواعدِ الأصول وأوضاعِ الأصوليِّين؛ بل قد غُنُوا عن ذلك كلِّه فليس في حقِّهم إلا أمران:

أحدهما: قال اللهُ تعالى كذا، وقال رسولُه كذا.

والثاني: معناهُ كذا و كذا.

وهم أسعدُ الناسِ بهاتينِ المقدمتين، وأحظى الأمةِ بهما، فَقُواهُم متوفرةٌ مجتمعةٌ عليهما، وأما المتأخرون فقُواهم متفرقةٌ، وهِمَمُهُم متشعبةٌ، فالعربيةُ وتوابعها قد أخذت من قُوَى أذهانهم شعبةً، والأصولُ وقواعدُها قد أخذت منها شعبةً، وعلمُ الإسنادِ وأحوالِ الرواةِ قد أخذ منها شعبةً، وفكرُهم في كلامِ مصنِّفِيهم وشُيوخِهم - على اختلافِهم - وما أرادوا به قد أخذ منها شعبةً، إلى غيرِ ذلك من الأمور، فإذا وصلوا إلى النصوص النبويةِ، إن كان لهم هِمَمٌ تسافرُ إليها وصلوا إليها بقلوب وأذهانٍ قد كَلَّتْ من السَّيْرِ في غيرِها، وأوهَنَ قواهُمْ مواصلةُ السُّرَى[(١)] في سواها[(٢)].

(١) السير: المشي بالنهار والليل، والسُّرى: المشي ليلاً. انظر اللسان (س ي ر).

(٢) «إعلام الموقعين» (٤/١٤٨).

قال سماحة الشيخ، حفظه الله:

وهذا في الحثِّ على اتباع منهج السلفِ، بعد اتباع الكتاب والسنة، كذلك يتبع منهج السلف الصالح، الذين في مقدمتهم المهاجرون والأنصار، وفي مقدمة المهاجرين الخلفاء الراشدون: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠]. الذين اتبعوهم بإحسان اتبعوا منهج المهاجرين والأنصار، لماذا؟

لأنهم اتبعوا الكتاب والسنة، لأن المهاجرين والأنصار اتبعوا الكتاب والسنة، هذه شهادة من اللّه للمهاجرين والأنصار بأنهم على الحق، وأنهم يُتَّبعون في ذلك، ويقلَّدون في ذلك، فاتباعهم إنما هو من أجل أنهم موافقون للكتاب والسنة، قال ﷺ: **«عليكم بسنتي وسنةِ الخلفاءِ الراشدين المهديين مِن بعدي»**(١).

وقال ﷺ في الفرقة الناجية: **«هم مَن كان على مِثلِ ما أنا عليه اليومَ وأصحابي»**(٢). ذكر أصحابَه ﷺ، لأنهم على منهج مستقيم، وهم أفهم منا ، والأقرب منا إلى معرفة الكتاب والسنة، لأنهم تلقَّوا العلم عن رسول اللّه ﷺ، وجاهدوا معه، وشاهدوا التنزيل، وعرفوا التأويل، فهم أعلم منا، وأقرب إلى الحق والصواب في الجملة، وإن كانت العصمة ليست لكل واحد منهم، ولكن العصمة لجميعهم، ولو أخطأ بعضُهم، فإنه عن اجتهاد مأجور عليه ومثاب عليه، ولا ينقص ذلك من فضله

---

(١) تقدم تخريجه (ص٢٥ ، ٢٦).

(٢) تقدم تخريجه (ص ٣٢).

ومكانته عند الله، مع أن خطأهم قليل، والحمد لله، والنبي ﷺ أثنى على القرون المفضلة، قال ﷺ: «**خيرُ الناسِ قرني، ثم الذين يَلُونَهم، ثم الذين يَلُونَهم**»(١). قال الراوي: «لا أدري ذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة».

ثم ذكر بعد ذلك حدوث الفتن، حدوث المخالفات، وأمر عند ذلك باتباع الكتاب والسنة، فقال: «**من يَعِشْ منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنةِ الخلفاءِ الراشدين**»(٢).

واللَّه جل وعلا يقول: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]. فمع وجود الاختلاف والتفرق فإن اللَّه أمرنا باتباع الكتاب والسنة، وأمر رسولُه ﷺ كذلك باتباع الكتاب والسنة فيما تنازع فيه الناس واختلفوا فيه إلى يوم القيامة، فقال: «**إني تاركٌ فيكم ما إن تمسكتم به لن تَضِلُّوا بعدي: كتابَ اللهِ وسنَّتي**»(٣). وهذا من رحمة اللَّه بهذه الأمة: بقاء الكتاب محفوظًا لم يغير ولم يبدل منه شيء، وبقاء السنة النبوية محفوظة ومدونة في الدواوين الموثوقة، هذا من لطف اللَّه بهذه الأمة، حيث أبقى لها ما يعصمها من الضلال، إذا تمسكت به.

حدث في هذا الزمان جماعات تريد فصل المسلمين عن سلفهم، وينكرون السلفية، وينكرون اتباع السلف، ويطالبون بالمعاصرة، يسمونه المسلم المعاصر! والعصرنة، يريدون قطع الصلة بين السلف والخلف، من أجل ماذا ؟ من أجل أن يضلوا الناس عن صراط اللَّه ﷻ.

ومتحذلقوهم يوصون باتباع الكتاب والسنة، ويحذِّرون من اتباع

(١) تقدم تخريجه ص (٣١).
(٢) تقدم تخريجه (ص٢٥ ، ٢٦).
(٣) تقدم تخريجه (ص ١٩).

السلف، وكيف لنا الاعتصام بالكتاب والسنة مع تركنا لمنهج السلف، الذين هم خير من اتبع الكتاب والسنة، وفهِم الكتاب والسنة، وأوصانا اللَّه، جل وعلا، وأوصانا رسوله ﷺ باتباع منهجهم، إذا تركنا منهج السلف فكيف لنا بفهم الكتاب والسنة؟! فهذا معصية لله ورسوله ﷺ، ودعوةٌ لضلال، وقطعٌ لخلف هذه الأمة عن سلفها الصالح، وقد جاء في الحديث أنه من علامات الساعة أن يظهر من يسب السلف ويلعن آخر هذه الأمة أولها[1]، فلا يبعد أن يكون هذا بدايةً لما سيحدث، مما أخبر به الرسول ﷺ.

وليس لهم شُبهٌ في ذلك إلا أنهم يقولون: إن الأخذ بهدي السلف تقليد، ونحن مأمورون بالكتاب والسنة، ومنهيون عن التقليد!

ونقول لهم: التقليد ليس مذمومًا على الإطلاق، فالتقليد في الحق واتباع أهل الحق مأمور به.

قال تعالى عن نبيه يوسف عليه السلام: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٣٨]. فيوسف عليه السلام يخبر أنه اتبع مَن قبله لمَّا كانوا على هدًى، واللَّه جل وعلا إنما ذم اتباع الآباء والأجداد، لأنهم على غير علم، فقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة: ١٧٠]. فذمهم لأنهم لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون، فدل بمفهومه على أن من سبقنا إذا كانوا يعلمون ويفهمون الكتاب والسنة فإنهم يُتبعون في ذلك، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا

(١) هو جزء من حديث أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٢٢٩) (٦٨٣)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، ولفظه: «**ويلعن آخر هذه الأمة أولها**».

وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ [المائدة: ١٠٤]. فدل على أن الذي يعلم هو الذي يُقتدى به، إنما الذم على من يتبع من لا يعلم، فليس التقليد ممنوعًا بإطلاق، ولا جائزًا بإطلاق، وإنما فيه تفصيل: فمن كان على الحق فإنه يتبع ويقلد، مع ما جاء في الكتاب والسنة من الأمر باتباع السلف والاقتداء بهم، ومن خالف الحق فإنه لا يتبع ولا يقلد، هذا هو فصل النزاع في هذه المسألة.

قال المصنف، حفظه الله:

أحسن الله إليك، يوجد مسائل كبيرة جدًّا لا يمكننا أن نفهمها إلا من خلال فهم الصحابة ﷺ، كخلافنا مع الفرق الأخرى في القدر، ومرتكب الكبيرة، والأسماء والصفات، فإذا ضُيع هذا المنهج صار لكل واحد أن يفهم القرآن فهمًا خاصًّا به.

قال سماحة الشيخ، حفظه الله:

نعم، نقول: إنه لا يمكن فهم القرآن والسنة إلا باتباع منهج السلف، لا يمكن أن يأتي واحد في آخر الزمان، ويُلغي منهج السلف ويزعم أنه يأخذ من الكتاب والسنة مباشرة، هذا ضلال، وهذا تفريق بين الأمة، وقطع لصلة خلفها عن سلفها.

* * *

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٥

القاعدة الخامسة

أنهم أول ما يَدْعُونَ إلى التوحيد، فلا تنجح دعوة ولا تصلح عبادة إلا به

لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]. وقوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام: ٩٠].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له: «**إنك تأتي قوماً أهل كتاب، فلْيَكُنْ أولَ ما تَدْعُوهُمْ إليه شهادةُ أن لا إله إلا اللهُ**». الحديث رواه البخاري ومسلم(١).

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٩، ٦٩٣٧)، ومسلم (١٩).

وكما بدء النبي ﷺ دعوته بالتوحيد، فقد ختمها بالتوحيد أيضًا، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما نُزِلَ برسول اللَّه ﷺ طَفِق يطرحُ خَميصةً[١] له على وجهه، فإذا اغتمَّ بها كشفها، فقال - وهو كذلك -: «**لعنةُ اللَّه على اليهودِ والنصارى؛ اتَّخذُوا قبورَ أنبيائهم مَساجِدَ**». يُحَذِّر ممَّا صَنَعُوا، ولولا ذلك لأُبْرِزَ قبرُه، غير أنه خشي أن يُتَّخَذَ مَسْجِدًا. رواه البخاري ومسلم[٢].

وقال عليه السلام: «**الأنبياءُ إخوَةٌ من عَلَّاتٍ[٣]، وأمَّهاتُهُم شَتَّى، ودينُهُم واحدٌ**». أخرجاه، وهذا لفظ مسلم[٤].

- **أنواع المخالفين لدعوة التوحيد:**

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «والمخالفُ في ذلك أنواع، فأشدُّهم مخالفةً: مَنْ خالف في الجميع؛ فقبِلَ الشِّرْكَ واعتقدَه دِينًا، وأنكَرَ التوحيدَ واعتقدَهُ باطلاً.

ومن الناس من عبد اللَّه وحده، ولم ينكر الشرك، ولم يعادِ أهله.

ومنهم من لم يحب التوحيد، ولم يبغضه.

ومنهم من لم يبغض الشرك، ولم يحبه.

ومنهم من لم يعرف الشرك، ولم ينكره، ولم ينفه.

ومنهم من لم يعرف التوحيد، ولم ينكره.

ومنهم - وهو أشد الأنواع خطرًا - من عمل بالتوحيد ولم يعرف

---

(١) **الخميصة**: كساء أسود له أعلام، يكون من صوف وغيره. فتح الباري (١/ ٤٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٦٥)، ومسلم (٤٢٥).

(٣) **أولاد العَلَّات**: هم الإخوة لأب من أمهات شتى. «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٥/ ١١٩).

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٥٨)، ومسلم (٢٣٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قدره، ولم يبغض من تركه ولم يكفرهم.

ومنهم من ترك الشرك وكرهه، ولم يعرف قدره»[١].

واعلم أن التوحيد واتباع الهوى متضادان فإن الهوى صنم، ولكل عبد صنم في قلبه بحسَب هواه، وإنما بعث اللَّه رسله بكسر الأصنام وعبادته وحده لا شريك له، وليس مراد اللَّه سبحانه كسر الأصنام المجسدة وترك الأصنام التي في القلب، بل المراد كسرها من القلب أولًا.

قال الحسن بن علي المطوعي: «صنم كل إنسان هواه، فمن كسره بالمخالفة استحق اسم الفتوة».

وتأمل قول الخليل ﷺ لقومه: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢]. كيف تجده مطابقًا للتماثيل التي يهواها القلب ويعكف عليها ويعبدها من دون الله، قال اللَّه تعالى: ﴿أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا ۝٤٣ أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝٤٤﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤][٢].

- **كمال العبودية بكمال التسليم والاتباع:**

«وأما العبودية المطلقة فلا يعرف صاحبها باسم معين من معاني أسمائها، فإنه مجيب لداعيها على اختلاف أنواعها، فله مع كل أهل عبودية نصيب، يضرب معهم بسهم، فلا يتقيد برسم ولا إشارة ولا اسم ولا بزي، ولا طريق وضعي اصطلاحي، بل إن سئل عن شيخه؟ قال: الرسول. وعن طريقه؟ قال: الاتباع. وعن خرقته؟ قال: لباس التقوى. وعن مذهبه؟ قال:

---

(١) «الجامع الفريد» (ص٣٣٨).

(٢) «روضة المحبين» (١/ ٤٨٢).

تحكيم السنة. وعن مقصوده ومطلبه؟ قال: يريدون وجهه. وعن رباطه وعن خانقاه[١]؟ قال: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧] وعن نسبه؟ قال:

أبي الإسلامُ لا أبَ لي سواه   إذا افتخروا بقيسٍ أو تميمِ

وعن مأكله ومشربه؟ قال: ما لك ولها؟ معها حذاؤها وسقاؤها، تَرِد الماءَ وترعى الشجرَ»[٢].

قال سماحة الشيخ، حفظه الله:

وهذه القاعدة أيضًا في بيان أول ما يبدأ به الدعاة إلى اللّه ﷻ، لا شك أنهم يبدءون بالأهم فالأهم، يبدءون بالدعوة إلى التوحيد، يعني إلى إصلاح العقيدة؛ لأن العقيدة هي الأساس الذي تنبني عليه صحة بقية الأعمال، ومن المتقرر في العقول والفطر أن كل بناء يُبدأ بأساسه ويتقن أساسه أولًا، ثم يقام عليه البناء، وهذا شيء متقرر في العقول، كما هو الوارد في الشرع، فكان الرسل عليهم الصلاة والسلام أول ما يبدءون أممهم يدعونهم إلى التوحيد، كما ذكر اللّه سبحانه وتعالى عنهم في القرآن، فقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]. وهذا بالنسبة لمجموع الرسل.

وذكر اللّه – جل وعلا – رسلًا بأعيانهم بدءوا بالتوحيد: فهذا نوح عليه السلام،

(١) أصل الخانقاه: بقعة يسكنها أهل الصلاة والخير. وهي لفظة معرَّبة، تاج العروس (خ ن ق).
(٢) «مدارج السالكين» (٣/ ١٧٤).

يقول لقومه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ﴾ [الأعراف:٥٩]. وكذلك هود وكذلك صالح وإبراهيم، وشعيب عليهم السلام، كلهم يقولون أول ما يبدءون لقومهم: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ﴾ [الأعراف:٥٩].

ونبينا محمد ﷺ خاتم النبيين كذلك بدأ بالتوحيد، كما بدأ إخوانه من قبل، فأول ما دعا قومه أن يقولوا: لا إله إلا الله. كما قال اللّه سبحانه وتعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ۝٦﴾ [ص:٤-٦]. قالوا هذا بسبب أنه قال لهم: قولوا: لا إله إلا الله. فقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ﴾. فدلنا هذا على أنه بدأهم بالتوحيد، وبقي ﷺ ثلاث عشرة سنة في مكة قبل الهجرة يدعو الناس إلى التوحيد، يقول لهم: قولوا: لا إله إلا الله. يقول لهم: اعبدوا اللّه ولا تشركوا به شيئا.

ولما بعث معاذًا رضي الله عنه إلى اليمن داعيًا ومعلمًا وقاضيًا، قال له: «**إنَّك تأتي قومًا مِن أهلِ الكتابِ**»[1]. أي من اليهود والنصارى، لأنهم كانوا موجودين في اليمن، اليهود وهم أتباع الملة اليهودية ينتسبون إلى موسى عليه الصلاة والسلام، والنصارى وهم أتباع الملة النصرانية ينتسبون إلى المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام، هؤلاء هم أهل الكتاب، «**إنَّك تأتي قومًا مِن أهلِ الكتابِ، فليكن أولَ ما تدعوهم إليه شهادةُ أن لا إله إلا الله**». هذا واضح أن الرسول ﷺ أوصاه أن يبدأ بالتوحيد، ثم بعد ما يستجيبون للتوحيد يأمرهم بالصلاة والزكاة، لأن الصلاة والزكاة لا

---
(١) تقدم تخريجه (ص٤٢).

يصحان إلا بعد تحقيق التوحيد، فهذا دليل واضح من السنة في أن بداية الدعوة تكون بالتوحيد، وهذا هو منهج الرسل عليهم الصلاة والسلام الذي يجب على كل داعية أن يبدأ به، وأن يركز عليه في دعوته؛ لأنه الأساس والأصل الذي يقوم عليه الإسلام.

فمن خالف هذا المنهج وبدأ بغير التوحيد فإن دعوته مخالفة لدعوة الرسل، وما خالف دعوة الرسل فلن يفيد ولن يُنتِج شيئًا، والواقع يشهد لذلك، فهناك أناس لم يهتموا بالتوحيد ولا بالعقيدة، وإنما اهتموا بأمور جانبية، وركزوا عليها في دعوتهم، وبنوا عليها دعوتهم، فلم تنتج دعوتُهم شيئًا، مع أنهم بذلوا ما بذلوا، من المجهودات، ومن طول السنين، ومن التعب الكثير، ولكن لم تجدي دعوتُهم شيئًا، ولم تنتج شيئًا، لأنهم لم يبدءوا بما بدأ به الرسل، عليهم الصلاة والسلام، ولم يقيموا الأساس أولًا حتى يصح أن يقام عليه بقية الأعمال.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]. هذه الآية تدل على أن الشرك أعظم الذنوب، وأن بقية الذنوب كلها دون الشرك، ومن الطبيعي أنه يبدأ بالشيء الخطير عند العلاج، ولا يبدأ بالشيء اليسير، وإنما يبدأ بالخطير الذي يترتب على تركه الهلاك، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.

وفي الآية الأخرى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢]. المشرك حرام عليه الجنة، بخلاف العاصي والسارق والزاني وشارب الخمر ومرتكب الكبيرة، هذا لا يحرم اللَّه عليه الجنة، وإن عُذِّب في النار، فإن مآله إلى الجنة

بإذن الله، وإن شاء اللَّه غفر له ولم يعذبه أصلًا.

فقوله تعالى: ﴿فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ هذا هو ذنب المشرك، أما بقية الذنوب فإنها لا تُحرم الجنة، بل إما أن يعفو اللَّه عنه ويدخله الجنة برحمته، وإما أن يعذبه بذنوبه ثم يخرجه من النار ويدخله الجنة، لا يخلد فيها وإن دخلها، فهذا يدل على خطورة الشرك، وإنما يبدأ بالخطر، ويحذر من الأمور الخطيرة، والنصوص في هذا كثيرة من كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ.

فهذه قاعدة عظيمة، وهي: البداية بالدعوة والأوليات في الدعوة، كما يقولون، فيجب على الدعاة أن يسيروا على هذا المنهج، وأن يركزوا على التوحيد، وعلى تحذير الناس من الشرك الأكبر والأصغر، ومما يخل بالعقيدة، ثم يتجهون بعد ذلك إلى إصلاح بقية أمور الدين، فإنهم إذا أقاموا الأساس بنوا عليه بقية الأمور.

* * *

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٦
القاعدة السادسة

أنهم يبدءون دعوتهم بما بدأ اللَّه به ورسوله ﷺ؛ فيقدِّمون ما قدَّمه اللَّه ورسوله ﷺ ويؤخِّرون ما أخَّره اللَّه ورسوله ﷺ، وبهذا يمكن تحصيل المصالح ودرء المفاسد

- **الأولويات في الدعوة إلى الله:**

لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان: ١٣-١٧]

لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء:١٠٧].

وقال تعالى: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ [فصلت:٤٣]. وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود:١١٢].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ

﴿وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

وعن يوسف بن ماهَك قال: «إني عند عائشة أم المؤمنين ﵂ إذ جاءها عراقيٌّ، فقال: أيُّ الكَفَنِ خيرٌ؟ قالت: ويحكَ! وما يضرُّك؟ قال: يا أم المؤمنين؛ أريني مصحفَكِ. قالت: ولِمَ؟ قال: لعلِّي أؤلِّفُ[1] القرآنَ عليه، فإنه يُقْرَأُ غيرَ مُؤَلَّفٍ. قالت: وما يضرُّك أيَّهُ قرأتَ قبل، إنَّما نزل أولَ ما نزلَ مِنه سورةٌ من المفصَّل فيها ذكرُ الجنةِ والنارِ، حتى إذا ثاب الناسُ إلى الإسلام نزل الحلالُ والحرامُ، ولو نزل أولَ شيء: لا تشربوا الخمر. لقالوا: لا ندعُ الخمرَ أبدًا. ولو نزل: لا تزنوا. لقالوا: لا ندعُ الزنا أبدًا. لقد نزل بمكةَ على محمدٍ ﷺ وإني لجارية ألعب: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ [القمر: ٤٦]. وما نزلت سورةُ البقرةِ والنساءِ إلا وأنا عنده». رواه البخاري[2].

وفي صحيح مسلم من حديث جابر في صفة الحج: «**أبدأُ بما بدأ اللهُ به**»[3].

قال سماحة الشيخ، حفظه الله: وهذه القاعدة تابعة للتي قبلها في أنه إذا كان الأساس والأصل والقاعدة هو التوحيد، فإنه يبدأ بالأهم، ويبدأ بالأساس، كما هي طريقة الرسل عليهم الصلاة والسلام، وفيها أيضًا أن الدعوة تكون بالتدريج، فيبدأ بالأهم ثم المهم، وهكذا، أو تقول: يبدأ بالأساس ثم يبدأ بالفرع بعده. كما أمر النبي ﷺ معاذًا ﷺ أن يبدأ بالتوحيد ثم بالصلاة ثم بالزكاة، فتكون الدعوة بالتدريج، وكما ذكرت أم المؤمنين عائشة ﵂، أن النبي ﷺ أول ما بدأ بالتوحيد، ثم أنزل الله

(١) المراد بالتأليف هنا الترتيب، وينظر «فتح الباري» (٩/ ٤٠).
(٢) برقم (٤٧٠٧).
(٣) أخرجه مسلم (١٢١٨).

عليه بعد ذلك الحلال والحرام، لما تقرر التوحيد واستقرت الشريعة نزل الحلال والحرام، وتفاصيل الأحكام، فإنه في مكة عليه الصلاة والسلام كان ينزل عليه القرآن بالتوحيد، ولذلك تجدون السور المكية تشتمل على التوحيد، والسور المدنية في الغالب تشتمل على الأحكام، تفاصيل الأحكام، الحلال والحرام، والمعاملات وغير ذلك، لأنه كان في مكة يدعو إلى التوحيد، ولما هاجر إلى المدينة، ودخل الناس في دين الله، وقامت دولة الإسلام في المدينة، نزل الحلال والحرام، كما قال اللَّه تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [القصص: ٤٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عند هذه الآية مبينًا أن الأحكام تنزل بعدما تتقرر الشرائع: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾. لما أهلك اللَّه فرعون وقومه واستقرت دعوة موسى عليه الصلاة السلام، أنزل اللَّه عليه الكتاب الذي هو التوراة(١).

فهذه قاعدة لها أدلتها من الكتاب والسنة، كما تقدم، فيتدرج من الأهم إلى المهم، مثال ذلك: لو رأيت رجلًا يرتكب معصية من المعاصي وهو مشرك، هل تقول له: صلِّ. وهو مشرك؟! تقول له: صم رمضان. وهو مشرك؟! أم تقول له: ادخل في الإسلام وانطق بالشهادتين، وأقر بالتوحيد أولًا. ثم تأمره بعد ذلك بالصلاة، فإنك لو أمرته بالصلاة وهو مشرك لانتقدك هو أولًا، فكيف بغيره؟! كيف تأمر من ليس بمسلم بالصلاة! فإن هذا خلاف المطلوب.

مثال آخر: لو رأيت شخصًا يشرب الدخان وهو مشرك، هل تنهاه

---

(١) انظر: «النبوات» (١/ ١٦٨).

عن الدخان، أم تنهاه عن الشرك أولًا؟ الأصل أنك تنهاه عن الشرك، عن الأعظم والأخطر، وهكذا، فالذين يتجهون إلى إنكار الربا والزنا ويأمرون بالحجاب، لا شك أن هذه أوامر شرعية، ولكن لا بد من إقامة الأساس أولًا، هم يرون الناس - مثلًا - على الشرك وعبادة الأضرحة والقبور، ولا يهتمون بهذا، إنما يركزون على مسألة الحكم، ومسألة تجنب الربا، أما الشرك فليس له ذكر عندهم، ولا اعتبار عندهم، ولذلك، كما ذكرنا، دعواتهم لم تنتج شيئًا، لأنها بدأت من حيث انتهت دعوات الرسل، لا تنتج شيئًا مهما بذلوا، ومهما تكلموا، بينما نجد أن الدعاة الذين ساروا على منهج الرسل، نجد ثمراتِ دعوتِهم واضحةً، الذين ساروا على منهج الرسل وبدءوا بالتوحيد، واهتموا بالتوحيد، وأتبعوه بالنهي عن بقية الذنوب والمعاصي، نجد أن دعوتَهم ناجحةٌ مثمرةٌ على مر العصور.

خذ مثلًا: شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد سار على منهج الرسل في الدعوة، فبدأ بالتوحيد وإنكار الشرك، فدعوتُه أثمرت وتثمر، وما زال الناس، ولله الحمد، يستفيدون من علمه ومن طريقته.

خذ مثلًا آخر: شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في هذه البلاد (أي المملكة) أنتم الآن تعيشون في ثمار دعوته، قامت هذه الدولة وهذه البلاد على هذه الدعوة المباركة، استتب فيها الأمن، وصلحت فيها العقيدة، وقامت عليها دولة إسلامية، بكل ما تعنيه الكلمة، ولا تزال ولله الحمد.

كل هذا من ثمار السير على منهج الرسل عليهم الصلاة والسلام في الدعوة.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٧

القاعدة السابعة

أنهم يعظِّمون جميع أمور الدين، فيَدْعُونَ إلى ما دعا إليه النبي ﷺ قدر الاستطاعة

لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة:٢٠٨]. **قال ابن كثير**(١): «يقول اللَّه آمرًا عباده المؤمنين المصدقين برسوله أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك، قال مجاهد: أي: اعملوا بجميع الأعمال ووجوه البر».

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].
وقال تعالى: ﴿إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ١٥﴾ [النور: ١٥].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**عبادَ اللهِ لتسوُّنَّ صُفُوفَكُم أو ليُخَالِفَنَّ اللهُ بين قلوبِكم**». رواه الشيخان(٢).

وعن عائشة: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**ماحَسدتْكم اليهودُ على شيءٍ**

(١) في «تفسيره» (١/ ٣٣٥).
(٢) أخرجه البخاري (٦٨٥)، ومسلم (٤٣٦)، وفيه عندهما: «أو ليخالفنّ بين وجوهكم». مكان: «قلوبكم».

ما حَسدَتْكم على السَّلامِ والتأمينِ». رواه ابن ماجه[(١)].

وعن الأزرق بن قيس قال: «صلَّى بنا إمامٌ لنا يكنى أبا رِمْثَةَ، فقال: صلَّيْتُ هذه الصلاة مع النبيِّ ﷺ. قال: وكان أبو بكر وعمر يقومان في الصف المقدّم عن يمينه، وكان رجلٌ قد شهد التكبيرةَ الأولى من الصلاة، فصلَّى نبي اللَّه ﷺ، ثم سلَّم عن يمينه وعن يساره، حتى رأينا بياض خديه، ثم انفتل كانفتال أبي رِمْثة - يعني نفسه - فقام الذي أدرك معه التكبيرة الأولى من الصلاة يشفع، فوثب إليه عمر فأخذ بمنكبه فهزه، ثم قال: اجلس، فإنه لم يُهْلِكْ أهلَ الكتاب إلا أنهم لم يكن بين صلواتهم فصلٌ. فرفع النبي ﷺ بصره وقال: «**أصابَ اللهُ بك يا ابنَ الخطابِ!**». رواه أبو داود[(٢)].

فانظر رحمك اللَّه إلى ما يؤدِّيه ترك هذه السنن من الاختلاف والهلاك، وكيف حسدنا عليها اليهود.

ولما قيل لسلمان ﷺ: قد علَّمكم نبيُّكم كلَّ شيءٍ حتى الخِرَاءَةَ! قال: «أجل». ولم ينكر عليه ذلك. رواه مسلم[(٣)].

قال سماحة الشيخ، حفظه الله:

هذه القاعدة تبين أنه ليس معنى قولنا أنه يبدأ بالتوحيد، ويركز على التوحيد، ليس معناه أنه يتساهل في الأمور الأخرى، من بقية الواجبات، وترك المحرمات، ليس معناه أن هذه المعاصي أمر سهل، فلا يتساهل

(١) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٨٥٦)، وانظر «صحيح سنن ابن ماجه» (٦٩٧).
(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (١٠٠٧)، وقال: وقد قيل: أبو أمية، مكان أبي رمثة. وانظر «الصحيحة» (٢٥٤٩).
(٣) برقم (٢٦٢).

في شأن المعاصي والمخالفات، كلُّ المخالفات أمرُها خطيرٌ، وإن كانت في أعين الناس صغيرة، أو سهلة، فليس معنى قولنا: يبدأ بالأهم فالأهم، أنه يتساهل في الأمور الأخرى، ولكن نقول: يبدأ بالأهم فالأهم، من أجل إقامة الأساس أولًا، الذي تبنى عليه بقية أمور الدين، هذا هو المقصود، وإلا فالذنوب كلها خطيرة وكلها شر، ويدعو بعضها إلى بعض، فلا يُتساهل في بقية المعاصي وبقية المخالفات، أو بقية الأوامر والطاعات، بل يُنهى عن الجميع، ولكن من كان عنده ذنب أخطر فإنه يبدأ به أولًا، ثم يستصلح بقية الأمور، أما إذا تساهل الإنسان بالمعصية، أو تصاغرها، فإن ذلك يجرئه على ما هو أكبر منه، وإذا عظم خطر هذه المعاصي فإن ذلك يبعده عنها ويصونه منها، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠].

وقال: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: ٣٢].

فالمعاصي كلها شر، وكلها خطر، وكلها ضرر، ولكن عند التغيير يُبدأ بالأهم فالأهم، هذا هو المقصود.

فالنبي ﷺ ما ترك شيئًا إلا حذر منه، الصغائر والكبائر الموبقات وما دونها، حذر منها ﷺ، وكما أمر بالأصول أمر بالفروع، عليه الصلاة والسلام، أمر بالسنن والمستحبات كما أمر بالواجبات والأركان لهذا الدين، وما توفي ﷺ إلا وقد أكمل اللَّه به الدين، بجميع أوامره وواجباته ومستحباته، ونهى عن كل معصية كبيرة وصغيرة، وما ترك شيئًا يقرب العباد إلى اللَّه ﷻ إلا وبينه لهم وأمرهم به، وما ترك شيئًا يبعد العباد عن ربهم إلا نهاهم عنه وحذرهم منه، لا خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذرها منه.

ولما ذكر سلمان ﷺ آداب قضاء الحاجة قال له اليهودي: علمكم نبيكم كل شيء حتى الخِرَاءة - يعني آداب الاستنجاء وآداب قضاء الحاجة - قال: نعم. فذكر له الحديث أن النبي ﷺ أمر بالاستنجاء والاستجمار، وإذا جلس على قضاء الحاجة أنه يعتمد على رجله اليسرى. إلى غير ذلك من آداب التخلي، فما ترك ﷺ شيئًا فيه نفع للأمة إلا بينه لها، وما ترك شيئًا فيه ضرر على الأمة إلا بينه لها، سواء كان كبيرًا أو صغيرًا.

قال المصنف، حفظه الله:

أحسن الله إليك، بعض الناس يسمي السنن جزئيات أو قشورًا؟

قال سماحة الشيخ، حفظه الله:

نعم، الذي يسمي هذه الأوامر والنواهي جزئيات أو يسميها قشورًا، الذي يسميها قشورًا أشد، لا شك أن الذي يسميها جزئيات يقلل من شأنها، ولكن الذي يسميها قشورًا أشد، ويُخشى عليه من الردة! لأن هذا معناه الاستهزاء بالدين، وأن فيه قشور، الدين ليس فيه قشور، كل الدين، ولله الحمد، لب خالص، ونفع خالص، ليس فيه قشور، فالذي يسمي بعض الأوامر أو بعض النواهي قشورًا، وهي قد صحت عن النبي ﷺ، يخشى عليه من الردة، ولكن لعله يعذر بالجهل، وكيف يكون داعية وهو جاهل! وإلا لو لم يعذر بالجهل لقيل: إن هذا ردة؛ لأن السخرية بشيء مما جاء به الرسول ﷺ - ولو كان مستحبًا - ردة عن دين الإسلام، قال اللَّه تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦].

فلو سَخِرَ أحدٌ من السواك، من سنة السواك، لصار مرتدًا، ولو سَخِرَ

أحدٌ من إعفاء اللحى الذي أمر به النبي ﷺ، صار مرتدًا، إلا إن كان جاهلاً لا يدري فهو يعذر بجهله، لكن إذا كان متعمدًا فهذه ردة عند أهل العلم، فالأمر خطير جدًّا وليس في الدين قشور ولباب، الدين كله لباب، ولله الحمد، لا شك في هذا، فجميع أوامر الدين كلها تحترم وتعظم، ولا يُحتقر شيء منها، أو يُستهزأ بشيء منها.

* * *

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٨

القاعدة الثامنة

أنهم لا يعارضون النصوص بعقولهم ولا بأهوائهم ولا بأذواقهم، ولا بقول رجال مثلهم

لقوله تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ﴾ [الشورى: ١٥].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ٣٦﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾ [النساء: ٦٥].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ٦١﴾ [النساء: ٦١].

وعن عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: **«إن اللهَ لا ينزِعُ العلمَ بعد أن أعطاكموه انتزاعًا، ولكن ينتزعُه منهم مع قبضِ العلماءِ بعلمهم، فيبقى أناسٌ جهالٌ يُستَفتونَ فيُفتون برأيهم فيُضِلُّون**

ويَضِلُّون». رواه البخاريُّ ومسلم، واللفظ للبخاري[١].

وعن علي موقوفًا: «لو كان الدِّينُ بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه». رواه أبو داود[٢].

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة ﷺ قال: اقتتلت امرأتان من هُذيل، فرمَتْ إحداهما الأُخرى بحجر فقتلتها وما في بطنها، فاختصموا إلى رسول اللَّه ﷺ، فقضى رسول اللَّه ﷺ أن دية جنينها غُرَّةٌ: عبدٌ أو وليدةٌ، وقضى بدية المرأة على عاقلتها، ووَرَّثَها ولدها ومن معهم. فقال حَمَلُ بن النابغة الهذلي: يا رسول الله، كيف أَغْرَمُ مَنْ لا شَرِب ولا أكل، ولا نطق ولا اسْتَهَلّ؟! فمثل ذلك يُطَلُّ[٣]. فقال رسول اللَّه ﷺ: «إنَّما هذا مِن إخوانِ الكُهَّانِ». من أجل سجعه الذي سجع[٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«والمعارضون للوحي بآرائهم خمس طوائف:

١ - طائفة عارضته بعقولهم في الخبريات وقدَّمت عليه العقل، فقالوا لأصحاب الوحي: لنا العقل ولكم النقل!

٢ - وطائفة عارضته بآرائهم وقياساتهم، فقالوا لأهل الحديث: لكم الحديث ولنا الرأي والقياس!

٣ - وطائفة عارضته بحقائقهم وأذواقهم، وقالوا: لكم الشريعة ولنا الحقيقة!

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٧٧)، ومسلم (٢٦٧٣/ ١٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (١٦٢)، وانظر «صحيح سنن أبي داود» (١٤٧).

(٣) يُطَلُّ: يُهْدَر ويُلْغَى ولا يُضْمَن. «صحيح مسلم بشرح النووي» (١١/ ١٧٨).

(٤) أخرجه البخاري (٥٤٢٦،٥٤٢٧)، ومسلم (١٦٨١/٣٦).

٤ - وطائفة عارضته بسياساتهم وتدبيرهم، فقالوا: أنتم أصحاب الشريعة ونحن أصحاب السياسة!

٥ - وطائفة عارضته بالتأويل الباطن، فقالوا: أنتم أصحاب الظاهر ونحن أصحاب الباطن!

ثم إن كل طائفة من هذه الطوائف لا ضابط لما تأتي به من ذلك؛ بل ما تأتي به تبع لأهوائها، كما قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص: ٥٠].

وقال: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٩].

فما هو إلا الهوى أو الوحي، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣،٤].

فجعل النطق نوعين: نطقًا عن الوحي، ونطقًا عن الهوى.

ثم إذا رُدّ على كل مِن هؤلاء باطلُه رجع إلى طاغوته، وقال: في العقل ما لا يقتضيه النقل. وقال الآخر: في الرأي والقياس ما لا يجيزه الحديث. وقال الآخر: في الذوق والحقيقة ما لا تسوغه الشريعة. وقال الآخر: في السياسة ما تمنع منه الشريعة. وقال الآخر: في الباطن ما يكذبه الظاهر.

فباطل هؤلاء كلهم لا ضابط له، بخلاف الوحي؛ فإنه أمر مضبوط مطابق لما عليه الأمر في نفسه، تلقاه الصادق المصدوق من لدن حكيم عليم»اهـ[(١)][(٢)].

---

(١) «الصواعق المرسلة» (٣/ ١٠٥١).

(٢) قال شيخ الإسلام: «قال بعض العارفين: ما من نفس إلا وفيها ما في نفس فرعون غير أن فرعون قدر فأظهر، وغيره عجز فأضمر؛ وذلك أن الإنسان إذا اعتبر وتعرف نفسه=

....

= والناس وسمع أخبارهم رأى الواحد منهم يريد لنفسه أن تطاع وتعلو بحسب قدرته، فالنفس مشحونة بحب العلو والرياسة بحسب إمكانها، فتجد أحدهم يوالي من يوافقه على هواه، ويعادي من يخالفه في هواه، وإنما معبوده ما يهواه ويريده، قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [الفرقان:٤٣]. والناس عنده في هذا الباب كما هم عند ملوك الكفار من المشركين، من الترك وغيرهم، يقولون: يا رباعى أي صديق وعدو. فمن وافق هواهم كان وليًا، وإن كان كافرًا مشركًا، ومن لم يوافق هواهم كان عدوًّا، وإن كان من أولياء الله المتقين، وهذه هي حال فرعون، والواحد من هؤلاء يريد أن يطاع أمره بحسب إمكانه لكنه لا يتمكن مما تمكن منه فرعون من دعوى الإلهية وجحود الصانع، وهؤلاء وإن كانوا يقرون بالصانع لكنهم إذا جاءهم من يدعوهم إلى عبادته وطاعته المتضمنة ترك طاعتهم فقد يعادونه كما عادى فرعون موسى.

وكثير من الناس ممن عنده بعض عقل وإيمان لا يطلب هذا الحد، بل يطلب لنفسه ما هو عنده فإن كان مطاعًا مسلمًا طلب أن يطاع في أغراضه، وإن كان فيها ما هو ذنب ومعصية لله! ويكون من أطاعه في هواه أحب إليه وأعز عنده ممن أطاع الله وخالف هواه، وهذه شعبة من حال فرعون وسائر المكذبين للرسل.

وإن كان عالمًا أو شيخًا أحب من يعظمه دون من يعظم نظيره حتى لو كانا يقرآن كتابًا واحدًا كالقرآن، أو يعبدان عبادة واحدة متماثلان فيها، كالصلوات الخمس فإنه يحب من يعظمه بقبول قوله والاقتداء به أكثر من غيره، وربما أبغض نظيره وأتباعه؛ حسدًا وبغيًا، كما فعلت اليهود لما بعث الله محمدًا ﷺ يدعو إلى مثل ما دعا إليه موسى، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٩١]. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾ [البينة: ٤]. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ١٤]. ولهذا أخبر الله تعالى عنهم بنظير ما أخبر به عن فرعون، وسلط عليهم من انتقم به منهم، فقال تعالى عن فرعون: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص: ٤]. وقال تعالى عنهم: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾ [الإسراء: ٤]. ولهذا قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣]. =

*** قال سماحة الشيخ، حفظه الله:**

هذه القاعدة أيضًا في أن المسلم يجب عليه التسليم للدليل من كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ ولا يتدخل بعقله ويقدمه على الدليل، قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]. التسليم والانقياد لما قال اللَّه وقال رسوله أمر واجب، وهو مقتضى الإيمان، وهذا هو معنى الإسلام، فالإسلام معناه: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك وأهله.

فالواجب الاستسلام والتسليم والإذعان لما قاله اللَّه وقاله رسوله ﷺ لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ [الحجرات: ١].

= والله سبحانه وتعالى إنما خلق الخلق لعبادته ليذكروه ويشكروه ويعبدوه، وأرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبدوا الله وحده، وليكون الدين كله لله، ولتكون كلمة الله هي العليا، كما أرسل كل رسول بمثل ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]. وقال تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف: ٤٥]. وقد أمر الله الرسل كلهم بهذا وأن لا يتفرقوا فيه، فقال: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء: ٩٢]. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [المؤمنون: ٥١- ٥٣]. قال قتادة: أى دينكم دين واحد وربكم رب واحد، والشريعة مختلفة. وكذلك قال الضحاك عن ابن عباس: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾. أي دينكم دين واحد. قال ابن أبي حاتم: ورُوي عن سعيد بن جبير وقتادة وعبد الرحمن ابن زيد نحو ذلك. وقال الحسن: بين لهم ما يتقون وما يأتون، ثم قال: إن هذه سنتكم سنة واحدة». «مجموع الفتاوى» (٨/ ٢١٩).

فالمسلم يستسلم لأوامر اللَّه ونواهيه ولا يعترض بعقله، أو يقول: هذا حديث يخالف العقل. أو يقدم القواعد الكلامية والقواعد المنطقية على النصوص، كما تفعله المعتزلة وأتباعهم، لا يقدم شيئًا أبدًا على النصوص من الكتاب والسنة، فإذا بلغ النصُّ المسلمَ من كتاب اللَّه أو سنة رسوله بأي أمر من الأمور فإنه ينقاد له ويسلم له، ولا يتدخل بعقله، أو يقدم عقله، كما يفعله أهل البدع من المعتزلة ومن سار على نهجهم من بعض مفكري هذا العصر، الذين ردوا نصوصًا صحيحة في «صحيح البخاري» وغيره؛ لأنها - بزعمهم - تخالف عقولهم، فهذه فتنة عظيمة، هذه طريقة المنافقين، طريقة الزائغين، الذين يقدمون عقولهم وأفكارهم وأهواءهم على كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ، قال اللَّه تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٤٨- ٥١].

هذا فرق ما بين المؤمن والمنافق، المنافق يدعي الإيمان في الظاهر، وهو غير مؤمن في الباطن، ولذلك لا ينقاد لأوامر اللَّه وأوامر رسوله ﷺ، أما المؤمن فإنه ينقاد ظاهرًا وباطنًا، والمنافق ينقاد ظاهرًا ولا ينقاد باطنًا، فالواجب على المسلم أن يسلم لكلام اللَّه وكلام رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦].

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «يا أيها الناس اتهموا الرأي في الدين، فلقد رأيتني يوم أبي جَندل أرُدُّ أمر رسول اللَّه ﷺ وأجتهد رأيي

وما أَلَوتُ عن الحق»[١]. في يوم الحديبية، أو صلح الحديبية، شق على الصحابة، لأنهم رأوا أن هذا فيه غضاضة على المسلمين، رأوا أن رجوعهم وترك العمرة ومعاهدة المشركين فيه ذلة للمؤمنين، وفيه انتصار للكفار، بينما العكس، فصلح الحديبية صار عزًّا للإسلام والمسلمين وذلًّا على الكفار، صارت النتيجة للمسلمين، وسماه اللَّه فتحًا، فقال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ①﴾ [الفتح: ١].

هذا صلح الحديبية، وصار مقدمة لفتح مكة المشرفة، وتمت المعاهدة بين النبي ﷺ وبين المشركين على وضع الحرب وتَرْكِ الناس؛ فمن أراد أن يذهب إلى المدينة فليذهب، ومن أراد أن يذهب إلى قريش فليذهب، فالذين كانوا ممنوعين من الهجرة وممنوعين من الدخول في الإسلام سنحت لهم الفرصة فهاجروا قبل الفتح، قبل فتح مكة، وخف الأذى من المشركين على المسلمين الذين في مكة، صار فيه مصالح للمسلمين.

ولما تبين لعمر ﷺ بعد ذلك ندم على ما كان قاله في هذا اليوم، أما أبو بكر ﷺ فإنه مستسلم لما فعله الرسول ﷺ، ولم يعترض بشيء، وكان يهدئ من غضب أصحابه ويقول لهم: «هذا رسول اللَّه ﷺ، الزموا ما يقول».

وهذا علي بن أبي طالب ﷺ يقول: «لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه، ولكن رأيت رسول اللَّه ﷺ يمسح

(١) أخرجه البزار في «مسنده» (١٤٨)، من قول عمر ﷺ، وأخرجه البخاري (٣٠١٠، ٣٩٥٣)، ومسلم (١٧٨٥/ ٩٥، ٩٦)، من قول سهل بن حنيف ﷺ.

على أعلى الخف»(١).

فالواجب علينا التسليم بلا اعتراض، فالرسولُ ﷺ يمسح على أعلى الخف فعلينا أن نتبعه ونمسح على أعلى الخف، ولا نتدخل بأهوائنا ونقول: لا، أسفل الخف أولى؛ لأنه هو الذي يباشر الأرض، هو الذي يعلق به الغبار، فهو أولى بالمسح، أما أعلى الخف فهو نظيف، بعيد عن الأرض. لكن هذا أمر اللَّه ورسوله، واللَّه أعلم سبحانه وتعالى، فالواجب الاتباع وعدم التدخل، قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٥٠]. فإذا صحت النصوص يجب التسليم لها، ولو كانت تخالف عقل الإنسان أو فكره، لأن النصوص معصومة، حق من اللَّه ﷻ، أما الفكر والعقل فهو قاصر ومحل نقص، وكم من إنسان يرى اليوم رأيًا، ويرى أنه هو الصواب، ومن الغد، أو بعد ساعات، يرى أنه خطأ، يرى أن رأيه الأول خطأ، هذا شيء نمارسه نحن مع أنفسنا، يتراءى لنا أن الصواب كذا وكذا، ثم بعد دقائق، أو ساعات، يتبين لنا أن الرأي الأول خطأ، أما النصوص من كتاب اللَّه وسنة رسوله فإنها معصومة، ليس فيها خطأ، فهي صواب يقينًا؛ لأنها تنزيل من حكيم حميد، قال تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصّلت: ٤٢].

قال المصنف، حفظه الله: أحسن الله إليك، إن من أسباب رد النصوص في قلب الكلام وجعل الحق باطلًا والباطل حقًّا، كقول

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٦٠).

الرسول ﷺ: «إن مِن البيانِ لسحرًا»[١]. وكما قال لذلك الرجل الذي قال: كيف أغرم يا رسول اللّه من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل؟. فقال ﷺ: «إنما هذا مِن إخوانِ الكهّان»[٢]. ما تعليق سماحتكم؟

● **الجواب:**

نعم قصة حَمَلِ بن النابغة التي ذكرتم، نعم هي شاهد لهذا، حَمَلُ بن النابغة لمَّا كُلف بدفع دية الجنين الذي سقط من بطن أمه بسبب الجناية اعترض، كان الواجب عليه أن يستسلم ولا يعترض، هذا مقتضى الإيمان، ولكنه اعترض فقال: كيف أغرم من لا شرب ولا أكل، ولا ولا . . . إلى آخره. يعترض في النهاية، قال للنبي ﷺ: «مثل هذا يُطَلُّ». يعني يهدر، ليس له دية، حَمَلٌ يقول: ليس له دية مثل هذا. والشرع يقول: لا، هذا له دية؛ لأنه نفس معصومة محترمة، فَحَمَلٌ يعارض، فقال النبي ﷺ: «إنَّما هذا مِن إخوانِ الكُهَّانِ». إنكارًا من النبي ﷺ، لأن الكهان هم الذين يردون الحق، فهذا الرجل نحا منحى الكهان، واستعمل سجع الكهان الذي رد به الحق، فالسجع ليس مذمومًا لذاته، ولكنه يذم إذا قصد به معارضة الحق، وهو سجع الكهان الذي يرد به الحق، أما السجع الذي لا يرد به الحق فليس مذمومًا.

قال المصنف، حفظه الله:

أحسن الله إليك، هل إدخالُ العامة فيما يسمى بالسياسة بمفهومها المعاصر منهج شرعي سليم؟

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٥١)، من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه ص (٦٠).

● **قال سماحة الشيخ، حفظه الله:**

من أصول المعتزلة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ويفسرونها بالخروج على الأئمة، هم يسمونه أمرًا بمعروف ونهيًا عن المنكر، وهو ليس كذلك، ليس أمرًا بالمعروف، بل هو المنكر نفسه؛ لأنه يخالف ما أمر به النبي ﷺ؛ من عدم الخروج على ولاة الأمور الذين لم يكفروا، لم يُخرجهم عملُهم للكفر، الرسول ﷺ أمر بالسمع والطاعة، وأمر باحترام ولاة الأمور، وإن كانوا عصاة، وإن كانوا فساقًا، وإن كانوا جاهلين، ما داموا لم يكفروا؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «**إلا أن تَرَوا كفرًا بَواحًا**»[١]. فهذا مخالف، هذا هو المنكر، هم يسمونه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن في الحقيقة أن هذا هو المنكر، هذا أمر بالمنكر ونهي عن المعروف، نهي عن المعروف الذي أمر به النبي ﷺ، وهو من أصولهم، من أصول المعتزلة.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٦٦٤٧)، ومسلم (١٧٠٩/ ٤٢)من حديث عبادة بن الصامت ﷺ.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٩

القاعدة التاسعة

أن ظهور المسلمين وصلاح أحوالهم مربوط بأمرين: العلم النافع، والعمل الصالح

لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٣].

وقال في ضمن آيات الجهاد: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٢].

وفي «الصحيحين» من حديث أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«مثلُ ما بعثني اللهُ به مِن الهُدى والعلمِ، كمثَلِ الغيثِ الكثيرِ أصابَ أرضًا، فكان منها نَقِيَّةٌ قَبلتِ الماءَ، فأنبتتِ الكلأَ والعُشبَ الكثيرَ، وكانت منها أَجادِبُ أمسكتِ الماءَ، فنفعَ اللهُ بها الناسَ، فشَرِبوا وسَقَوا وزَرَعوا، وأصابَتْ منها طائفةً أخرى، إنما هي قِيعانٌ لا تمسكُ ماءً ولا تنبتُ كلأً، فذلك مَثَلُ من فَقُهَ في دينِ الله، ونفعه ما بعثني اللهُ به فعلِم وعلَّم، ومَثَلُ مَن لم يَرفعْ بذلك رأسًا، ولم يقبلْ هُدى اللهِ الذي أُرسِلْتُ به»**[(١)].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢/ ١٥).

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ من الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حتى إذا لم يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ الناسُ رؤوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**». أخرجاه من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما[(١)].

وعن زياد بن لَبِيد؛ قال: ذكر النبي ﷺ شيئًا، فقال: «**ذاك عند أوانِ ذَهابِ العلمِ**». قلت: يا رسول الله، وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونُقرِئه أبناءنا ويقرئه أبناؤنا أبناءهم، إلى يوم القيامة؟! قال: «**ثَكِلَتْك أمُّك زيادُ؛ إن كنتُ لأُراكَ من أفقه رجل بالمدينة، أوَ لَيسَ هذه اليهودُ والنصارى يقرؤون التوراةَ والإنجيلَ لا يعملون بشيءٍ مما فيهما**». رواه أحمد وابن ماجه[(٢)].

وفي حديث عدي بن حاتم: «**إن المغضوبَ عليهم اليهودُ وإن الضالين النصارى**». الحديث رواه أحمد والترمذي وغيرهما[(٣)].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «لا يأتي عليكم زمانٌ إلا وهو أشر مما كان قبله، أما إني لا أعني أميرًا خيرًا من أمير ولا عامًا أخصب من عام، ولكنْ علماؤكم وفقهاؤكم يذهبون، ثم لا تجدون منهم خَلَفًا، ويجيء قوم يُفتون في الأمور برأيهم»[(٤)].

---

(١) تقدم تخريجه ص ٥٩، ٦٠ .

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ١٦٠)، وابن ماجه (٤٠٤٨)، وانظر «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٢٧٢).

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ٣٧٨)، والترمذي (٢٩٥٣، ٢٩٥٤)، وانظر «الصحيحة» (٣٢٦٣).

(٤) أخرجه الدارمي (١٨٨).

قال سماحة الشيخ، حفظه الله:

وهذه القاعدة فيها أن صلاح الأمة وفلاحها مرتبط بأمرين لا بد منهما، فإن فقد أحدهما فلا صلاح للأمة ولا فلاح لها، وهما:

أولًا: العلم النافع. **وثانيًا**: العمل الصالح.

فإن هذين الأمرين هما اللذان بعث اللَّه بهما نبيه محمدًا ﷺ، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [الفتح:٢٨]. فالهدى: هو العلم النافع. ودين الحق: هو العمل الصالح. فهما مقترنان، لا ينفع علم بدون عمل، ولا ينفع عمل بدون علم، فالعلم بدون عمل ما نفع اليهود، فعندهم التوراة ويعلمون ما فيها، حُمِّلوها ولكنهم لم يعملوا بها، فقد شبههم اللَّه بالحمار الذي يحمل الكتب ولا ينتفع بها، قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥﴾ [الجمعة:٥].

وقد سماهم اللَّه مغضوبًا عليهم، لأنهم عصَوا اللَّه على بصيرة، فذلك غضب اللَّه عليهم، لأنهم أوتوا علمًا ولم يعملوا به، فكل من اتصف بهذه الصفة فإنه يستحق هذا الوعيد، ويكون مغضوبًا عليه، كل من علم ولم يعمل بعلمه فإن اللَّه يغضب عليه، سواء من اليهود أو من هذه الأمة.

وكذلك العمل بدون علم، العمل تبعًا للأهواء وتبعًا للتقليد الأعمى والعادات؛ هذا لا يغني شيئًا، وإن تعب صاحبه به، فإن العمل بدون علم ضلال، سماه اللَّه ضلالًا، وسمى الذين يعملون بدون علم ضالين، وهذا في آخر سورة الفاتحة: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ

﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾. ذكر ثلاث طوائف:

الطائفة الأولى: الذين أنعم اللَّه عليهم، وهم أهل الصراط المستقيم، الذين جمعوا بين العلم النافع والعمل الصالح، وهؤلاء هم الذين ذكرهم اللَّه في قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾ [النساء: ٦٩].

والطائفة الثانية: المغضوب عليهم، وهم الذين أخذوا العلم فقط، وتركوا العمل، هؤلاء مغضوب عليهم، لأن من يعلم ليس كمن لا يعلم، من عصى اللَّه وهو يعلم فإنه أشد ممن عصى اللَّه وهو لا يعلم.

الطائفة الثالثة: الضالون، وهم الذين أخذوا العمل وتركوا العلم، أخذوا العمل وأجهدوا أنفسهم به، ولكنهم على غير علم، ما يأخذون بالدليل من الكتاب والسنة، والعمل لا بد أن يكون مبنيًا على دليل، كل عبادة ليس عليها دليل فهي بدعة، قال ﷺ: «**مَن عَمِل عملاً ليس عليه أمرُنا فهو رَدٌّ**»(١). وقال: «**وإياكم ومُحْدَثاتِ الأمورِ، فإن كلَّ محدثةٍ بدعةٌ وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ**»(٢). فهؤلاء أتعبوا أنفسهم بالعمل وهم في ضلال، وعملهم باطل؛ لأنه لم يبن على أصل، ولم يبن على دليل من الكتاب والسنة.

فلم ينج إلا الطائفة الأولى، وهم الذين جمعوا بين العلم النافع والعمل الصالح، وهؤلاء هم الذين نسأل اللَّه في كل ركعة أن يهدينا صراطهم، وأن يجنبنا صراط الطائفتين المخالفتين.

---

(١) تقدم تخريجه (ص ١٢).

(٢) تقدم تخريجه (ص ٢٥، ٢٦).

وبالمناسبة، فإن من الصنف الثالث الذين يعبدون اللَّه على غير علم الصوفية، فالصوفية عندهم اجتهاد في الذكر والعبادة والتقشف، وتنطع كثير، لكنهم على غير علم، بل يَزْهَدون في العلم ويُزَهِّدون فيه، ويسخرون من الذين يعتنون بالعلم، ويقولون: هؤلاء يشغلون أنفسهم بالوسيلة ويتركون الغاية. فالغاية: عندهم العمل، والوسيلة: العلم، صحيح أن العمل غاية، وأن العلم وسيلة، ولكن الغاية لا يتوصل إليها إلا بالوسيلة، فإذا ضيعت الوسيلة لم يُتوصل إلى الغاية، ونحن لا نقول للناس: اشتغلوا بالعلم، واتركوا العمل. وإنما نقول لهم: اجمعوا بين الأمرين، بين العلم والعمل.

فهؤلاء الصوفية، ولا يزالون، هذه طريقتهم، يشتغلون بالعبادة وبالذكر، وبالأوراد وبالمصطلحات التي وضعوها لأنفسهم، أو وضعها لهم مشايخ الطرق، ويبايعون عليها، ويعاهدون عليها، وهي ضلال في ضلال؛ لأنها مبنية على غير علم، وأهلها لا يريدون العلم، بل هم أزهد الناس بالعلم، وهذا خداع من الشيطان، فالواجب الجمع بين العلم النافع والعمل الصالح.

ثم إن النبي ﷺ قسم الناس ثلاثة أقسام بالنسبة إلى ما جاء به ﷺ من العلم النافع والعمل الصالح:

القسم الأول: جمعوا بين رواية العلم، رواية النصوص وحفظها وإتقانها وإبعاد الدخيل عنها، وبين الفقه فيها، جمعوا بين الحفظ والتفقه فيها وشرحها وبيان معانيها وما تشتمل عليه، فهذا القسم هم أفضل الأقسام، وهم أهل الرواية والدراية، فقهاء المحدثين كالإمام أحمد والإمام البخاري والإمام الشافعي، وكل فقهاء المحدثين من هذا

الصنف، وهذه الطبقة العالية، نسأل اللَّه الكريم من فضله.

القسم الثاني: وهم دون الأول، لكن فيهم خير، وفيهم فضل، وهم الذين عُنُوا بالرواية والأسانيد، بدراسة الأسانيد وبيان الصحيح من غيره، حفظوا المتون وأتقنوها، ولكنهم لم يشتغلوا بالفقه، بل هم حفاظ فقط، هذه أمسكت الماء، ولكن لم تنبت كَلَأً، أما الطبقة الأولى فهي مثل الأرض الطيبة، التي أمسكت الماء وأنبتت الكلأ، فانتفع الناس بها، انتفعوا بالماء وانتفعوا بالكلأ، هذا رعي، وهذا شراب، والطائفة الثانية أمسكت الماء، نفعت الأمة بأنها قامت على حفظ الكتاب والسنة بأمانة، وهؤلاء هم علماء الرواية الذين اشتغلوا بالرواية فقط، وفيهم فضل، وفيهم خير كثير، وإن كانوا دون الطبقة التي قبلها، كما تقدم، لكنهم نفعوا الناس نفعًا عظيمًا، بحفظ النصوص وإتقانها وضبطها وإبعاد الزيف والدَّخَل عنها.

القسم الثالث: لا خير فيهم، مثل الأرض الجدبة التي لا تنبت ولا تمسك ماءً، يأتي عليها السيل فلا تمسك ماءً ولا تنبت كلَأً، بل هي لا تزال على حالها كأنها لم يأتها شيء من المطر! أجادب، فهؤلاء هم الذين لا علم عندهم، لا رواية ولا دراية، جهال الناس، الذين لا عناية لهم بالعلم، ولا يشتغلون به أبدًا، ولا يُعرفون به، هؤلاء لا خير فيهم ولا فائدة منهم.

وهذه أقسام الناس بالنسبة لما جاء به الرسول ﷺ، فالطبقة الأخيرة لم ترفع رأسًا بما جاء به الرسول ﷺ ولم تهتم به، لا رواية ولا دراية، فقدوا الأمرين، فهم لا فائدة منهم ولا خير فيهم.

وهذا أراد به النبي ﷺ حث الناس على طلب العلم والتفقه في

دين الله، وحذرهم من إهمال العلم والفقه، فإذا كان في الناس من الصنفين الأولين فهم في خير، فيهم علماء رواية ودراية، وعلماء رواية، الناس في خير، عندهم مصادر الخير، لكن إذا فُقد الصنفان الأولان ولم يبق إلا الصنف الثالث، الذين هم لا رواية ولا دراية، فإن الأمة تكون في شرٍّ، وهذا يكون في آخر الزمان، إذا قبض العلم بموت العلماء، ولم يبق للناس علماء يُرجع إليهم إلا من جنس الطبقة الثالثة، فإن الناس إلى أين يذهبون، ومن أين يستمدون العلم والعمل، ومَن يسألون إذا فُقد العلماء ورفع العلم؟ فإن هذا علامة شرٍّ في الأمة، فلا بقاء للأمة إلا بوجود العلم والعلماء، بوجود العلم والعمل، فإذا فقد العلم والعمل والعلماء فإن الأمة تكون في ظلام؛ يتخذون رؤوسًا جُهَّالًا، فيُسألون فيفتون بغير علم، فيَضِلُّون ويُضَلُّون.

والعلم أيضًا لا يأتي عفوًا، العلم يحتاج إلى طلب، إلى تعلم، ليس بالشيء السهل يحصل عليه الإنسان متى ما أراد، العلم له أصول وطرق، كما قال ﷺ: «**مَن سلك طريقًا يلتمسُ فيه علمًا سهَّل اللهُ له به طريقًا إلى الجنةِ**»(١).

لا بد من سلوك طريق التعلم، وأخذ العلم عن العلماء ما داموا موجودين، والعلم ما يؤخذ من الكتب، أو من القراءة، أو من الجهال، أو من المتعالمين، هذا ليس علمًا، هؤلاء يسمون قراء، في آخر الزمان يكثر القراء ويقل الفقهاء، وجود القراء ما يغني شيئًا ولا ينفع شيئًا، إذا عدم الفقهاء فإن وجود القراء يضر الناس أكثر مما ينفع، أو لا ينفع

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩/ ٣٨)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

أصلاً، فالعلم لا بد أن يؤخذ من العلماء، يؤخذ من أصوله، يؤخذ من متونه ومبادئه، لا بد من هذا.

- **خطر تبديل المفاهيم الشرعية:**

ثم قال المصنف، حفظه الله، تعليقًا:

هذا - كما لا يخفى على سماحتكم - بسبب الخلاف في مثل هذه الأصول خرجت عندنا مفاهيم جديدة في الدعوة إلى اللَّه على غير ما فهمناه من العلم، من كتاب اللَّه وسنة الرسول ﷺ، مفاهيم جديدة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غير ما علمناه من الكتاب والسنة، مفاهيم جديدة في الجهاد في سبيل اللَّه على غير ما فهمناه، يعني جميع مفاهيم الدين التي ورثناها عن النبي ﷺ والصحابة ﷺ، لأنها فسرت بغير تفسيرها وفهمت على غير وجهها.

ثم علق سماحة الشيخ، فقال حفظه اللَّه:

نعم، هذه من إفرازات ما ذكرنا، من اعتماد كثير من المنتسبين إلى طلب العلم، اعتمادهم على أنفسهم وعلى أمثالهم، وعدم رجوعهم إلى أهل العلم والبصيرة وأهل الفقه، فهم اختطوا لأنفسهم خططًا من عند أنفسهم ليس لها أصول من الشرع، ولم يراجعوا فيها أهل العلم وأهل البصيرة ويستنيروا برأيهم، فهذه نتيجة انفصال هؤلاء المنتسبين إلى طلب العلم، انفصالهم عن العلماء، وأخذ العلم من مصادره الصحيحة، صاروا يأخذون العلم من غير مصادره، فنتج عن هذا وجود هذه المناهج، وهذه الأساليب التي ابتكروها، لأن الجهل لا يولد إلا جهلاً، هذه هي المصيبة، إذا رجع الناس إلى غير العلماء حصلت المصائب، وكون الإنسان فيه غيرة وتحمس وحبٌّ للدين، هذا لا يكفي، لا بد أن

يكون مبنيًّا على علم صحيح، على توجيه سليم، لا بد من الرجوع إلى أهل العلم، يقول اللَّه جل وعلا: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

أما إن الجاهل يعتمد على نفسه وعلى فهمه وعلى كتبه التي عنده، أو يعتمد على من مثله من المتعالمين هذه هي المصيبة، يُذكر أنه لما كان أيام الفتنة، أيام الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ، نوصح بعض أهل البادية وقيل لهم: راجعوا العلماء. قالوا: عندنا مجموعة التوحيد تكفينا عن العلماء! هذه هي المصيبة، إذا كان الإنسان يعتمد على كتاب، وهو لا يزال مبتدئًا أو لا يعرف شيئًا، فهذه هي المصيبة، مجموعة التوحيد طيبة وفيها خير لا شك، لكن تحتاج إلى علماء يبينون ما فيها، يشرحون ما فيها، أما وجود الكتاب، وإن كان جيدًا وطيبًا، لا يكفي، لا بد من وجود عالم يبين ويوضح ما فيه، لو أراد أحدٌ أن يشتغل بالطب وعنده كل أدوات الطب، كل الأدوية، لكنه ما تعلم الطب، فهل يسوغ له أنه يشرِّح أجسام الناس، ويشق بطونهم؟ يقول: أنا عندي أدوية، وعندي أدوات طبية، وعندي كل الوسائل الطبية. لكنه ما تعلم الطب، هذا يهلك الناس، فإذا كان هذا في أمور الدنيا فكيف في أمور الدين؟!

أنت عندك كتب وعندك كل أدوات ووسائل العلم، لكن ما عندك مُعلم، ولا رجعت إلى المُعلمين الربانيين، هذا يفسد في الدين، ولهذا يقال: يفسد البلاد نصف فقيه، ونصف نحوي، ونصف طبيب، ونصف متكلم. هذا يفسد الأبدان وهو نصف طبيب، وهذا يفسد البلدان وهو نصف الفقيه، لأنه يفتي بغير علم، وهذا يفسد الأديان وهو نصف المتكلم، الذي تعلم المنطق وهو ما يحسن، يفسد الأديان؛ لأنه يدخل

في العقائد ويخربها، وهذا يفسد اللسان وهو نصف نحوي؛ لأن نصف النحوي يفسد اللغة، لا بد من نحوي كامل، يعني متكامل في العلم، لا بد من فقيه متكامل في الفقه، ولا بد من طبيب حاذق في الطب، وهكذا.

ثم قال المصنف، حفظه اللَّه :

أحسن الله إليك، هناك عبارة لبعض أهل العلم، ظهرت دعوات في نصف القرن الماضي في بعض الدول العربية تقول إنه ينبغي الدعوة إلى الإسلام بمفهومه العام، وتركوا الدعوة إلى التوحيد لأن التوحيد يحتاج إلى علم، وليس عندهم العلم الصحيح في التوحيد؟ ما تعليقكم حفظكم الله؟

فأجاب سماحة الشيخ، حفظه اللَّه:

كما ذكرنا، هذا لا يجدي أبدًا، إن الدعوة إلى الإسلام بالاسم العام لا تكفي، ما هو الإسلام؟ هل هو اسم فقط؟ نعم، الكل يدري أن الإسلام طيب وأن الإسلام دين صحيح، لكن الفائدة ما هو الإسلام؟ النبي ﷺ لما أرسل عليَّ بن أبي طالب ﵁ يوم خيبر وأعطاه الراية و قال له: «**انفُذْ على رِسْلِكَ حتى تنزلَ بساحتِهم ثم ادعُهُمْ إلى الإسلامِ وأخبِرْهم بما يجبُ عليهم مِن حقِّ اللهِ تعالى فيه**»(١). لم يقل ادعهم إلى الإسلام فقط، قال: «**وأخبرهم بما يجبُ عليهم**». يعني اشرح لهم الإسلام ما هو؟ أما الإسلام بالاسم العام فقط، فهذا لا يجدي شيئًا، كأن يفسر الإسلام بما

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤٧، ٣٤٩٨، ٣٩٧٣)، ومسلم (٢٤٠٦/ ٣٤) من حديث سهل بن سعد ﵁.

هو عليه، فإن أهل البدع يفسرون الإسلام بما هم عليه، الجهمية يفسرون الإسلام بما هم عليه، القبورية والصوفية يفسرون الإسلام بما هم عليه، يقولون: هذا هو الإسلام! لكن الإسلام الذي بُعث به محمد ﷺ إسلام صحيح يحتاج إلى معرفة، يحتاج إلى بصيرة، يحتاج أنْ يفصَّل للناس على بصيرة، أما الدعوة إلى الإسلام باسم عام، فإنها لا تغني شيئًا، بل ربما تضر؛ لأن كلًّا يفسر الإسلام بما هو عليه، حقًّا أو باطلًا.

* * *

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

١٠

القاعدة العاشرة

أنهم يعتقدون أن الجماعة أصل من أصول دينهم

لقول اللَّه تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

قال ابن مسعود ﷺ في تفسير الآية: «حبل الله: الجماعة». رواه ابن جرير[١]. وفي حديث الافتراق، لما سئل عن الفرقة الناجية قال: «**الجماعة**»[٢].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنَّ اللهَ تعالى يرضَى لكم ثلاثًا، ويَكْرَه لكم ثلاثًا: فيرضَى لكم أن تَعبدوه ولا تُشركوا به شيئًا، وأن تَعتصموا بحبلِ اللهِ جميعاً ولا تفرَّقوا، وأن تُناصِحُوا مَن ولَّاهُ اللَّه أمرَكم، ويَكره لكم: قيلَ وقال، وكثرةَ السؤالِ، وإضاعةَ المالِ**»[٣].

قال الشافعي رحمه الله: «فإن قلت: ما معنى أمر النبيِّ ﷺ في لزوم

(١) في «تفسيره» (٧/ ٧١).
(٢) تقدم تخريجه ص ٣١، ٣٢ .
(٣) أخرجه مسلم (١٧١٥/ ١٠).

جماعتهم؟

قلت: لا معنى له إلا واحدة.

فإن قلت: فكيف لا يحتمل إلا واحدة.

قلت: إذا كانت جماعتهم متفرقة في البلدان فلا يقدر أحد أن يلزم أبدان أقوام متفرقين، وقد وجدت الأبدان تكون مجتمعةً في المسلمين والكافرين والأتقياء والفجار، فلم يكن في لزوم جماعتهم معنى إلا ما عليه جماعتهم من التحليل والتحريم والطاعة فيهما، ومن قال بما تقول به جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم، ومن خالف ما تقول به جماعتهم فقد خالف جماعتهم التي أمر بلزومها»(١).

وقال أبو شامة رَحِمَهُ اللَّهُ: «حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة، فالمراد لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسِّك به قليلًا والمخالف له كثيرًا، لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، ولا ننظر إلى كثرة أهل الباطل من بعدهم»(٢).

وعن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ كَرِهَ من أَمِيرِهِ شيئًا فَلْيَصْبِرْ فإنه من خَرَجَ من السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**». أخرجه البخاري(٣). وفي رواية له: «**فإنه ليس أَحَدٌ يُفَارِقُ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَيَمُوتُ إلا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»(٤).

(١) «الرسالة» (ص٤٧٥، ٤٧٦).
(٢) «الباعث على إنكار البدع» (ص٢٢).
(٣) برقم (٦٦٤٥)، ومسلم (١٨٤٨/ ٥٣).
(٤) برقم (٦٧٢٤).

قال سماحة الشيخ، حفظه الله:

هذه القاعدة في بيان أنه لا بد للمسلمين من جماعة تجمعهم، ولا يصلح المسلمون وهم متفرقون، كلٌّ له طريقة، كلٌّ له منهج مستقل، لا بد أن يكون منهجهم واحدًا وطريقتهم واحدة.

ربما تسأل وتقول: أين الطريق وأين المنهج الذي يجمع الناس، الناس كلٌّ له رأي وله اتجاه، ليست عقولهم واحدة، ولا مداركهم واحدة حتى يجتمعوا على منهج واحد، هذا مستحيل، إن الناس يكونون على منهج واحد، وعقولهم مختلفة، ومداركهم مختلفة، كلٌّ يبتكر غير ما يبتكره الآخر، كل واحد يرى أن ما عليه صواب وما عليه الآخر خطأ؟

فنقول جوابًا على هذا :

إن اللَّه لم يكل الناس إلى عقولهم وإلى مداركهم، وإنما أنزل لهم كتابًا وبعث لهم نبيًّا يسيرون على نهجه، نهج الكتاب والسنة، ولا يعتمدون على عقولهم وأفكارهم واستحساناتهم، أو ما يبتكره لهم رؤساؤهم أو عشائرهم أو قبائلهم أو شعوبهم، لا، إن اللَّه لم يكل الناس إلى هذا، لو وكلهم إلى هذا لتفرقوا ولتقاتلوا ولتناحروا وضلوا، ولكن اللَّه أنزل لهم هدىً يسيرون عليه، فقال تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه:١٢٣ - ١٢٧].

فاللَّه لم يكلنا إلى عقولنا ومداركنا أو مدارك غيرنا، وإنما أنزل إلينا

كتابًا وأرسل إلينا رسولًا، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فإذا رجع الناس إلى كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ حصل الاجتماع، كما هو واقع في صدر هذه الأمة، كانوا متفرقين، العالم كله كان متفرقًا أشد التفريق، وخصوصًا العرب، فلما بعث اللَّه رسوله، وأنزل كتابه واجتمعوا عليه، صاروا مجتمعين متآلفين، قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

فلا يؤلف القلوب ويجمع الناس إلا الكتاب والسنة، بدون ذلك لا يمكن أن يجتمعوا، متى ما اختطوا مناهج من عند أنفسهم فإنهم لا يمكن أن يجتمعوا أبدًا، لا يوحد الناس إلا الكتاب والسنة واتباع منهج السلف الصالح، هذا هو المنهج الصحيح للاجتماع، وهذا هو الذي يرضاه اللَّه ﷻ، يقول اللَّه جل وعلا: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣].

وقال ﷺ: «**إن اللَّه يرضى لكم ثلاثًا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبلِ اللهِ جميعًا ولا تفرَّقوا، وأن تُناصِحوا مَن ولَّاه اللهُ أمرَكم**»(١). هذه الثلاثُ هي التي تجمع الناس، وتفصيلها كالآتي:

الأمر الأول: التوحيد، العقيدة الصحيحة، التي هي على وِفْقِ الكتاب والسنة، لا إله إلا الله، مدلولها ومعناها ومقتضاها، هذا هو الذي يجمع

---

(١) تقدم تخريجه ص (٧٩).

الناسَ، أما إذا صار لهم عقائد مختلفة فإنهم يتفرقون.

فالمصدر الأول العقيدة، تكون العقيدة واحدة هي عقيدة القرآن والسنة.

الأمر الثاني: المصدر الذي يرجعون إليه إذا تنازعوا واختلفوا، كما في قوله ﷺ: «**وأن تعتصموا بحبل اللّه جميعًا ولا تفرقوا**». وحبل الله: هو القرآن وسنة الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

الذي يقضي على النزاع هو الرجوع إلى الكتاب والسنة، أما الرجوع إلى مناهج الناس ومناهج البشر فإنه يفرق الناس، وأما الرجوع إلى الكتاب والسنة فهو الذي يحسم النزاع بين الناس، لأنه تنزيل من حكيم حميد، أنزله ليحكم به بين الناس فيما اختلفوا فيه، فهو الذي يحسم النزاع، ويرضي الجميع، لأنه من الرب سبحانه وتعالى، عدل وحكم وقسط، وصراط مستقيم.

الأمر الثالث: من مقومات الاجتماع: القيادة، طاعة القيادة، أن يكون للمسلمين قيادة موحدة، وهو الإمام المسلم، وأن يطيعوه ولا يخالفوه، قال ﷺ: «**وأن تُناصحوا مَن ولَّاه اللّهُ أمركم**»

فمِن مناصحته: طاعته وعدم الاختلاف عليه.

ومن مناصحته بيان الخطأ الذي يحصل حتى يجتنب، ودلالته على الخير.

ومن مناصحته القيام بما يكله إلى الرعية كي يقوم بالعمل على الوجه المطلوب، الوظيفة يؤديها على الوجه المطلوب حتى تتم المصالح.

ومن النصيحة لولي الأمر، أيضًا، الدعاء له بالصلاح والتوفيق

والتسديد. كل هذا من النصيحة لولي الأمر.

أما الذي يعصي ولي الأمر ويخالفه، أو يتكلم فيه أمام الناس، ويبغِّضُه للناس، ويحقد الناس عليه، هذا من الخيانة لولي الأمر، كذلك الذي يرى الخطأ يقع ولا يبلغ ولي الأمر عنه، يرى الخلل في الناس، يرى المخالفات في الناس ولا يبلغ ولي الأمر؛ من أجل تدارك هذا الشيء قبل أن يستفحل، هذا من خيانة ولي الأمر.

بهذه الأمور الثلاثة يتم الاجتماع:

١- العقيدة الصحيحة.

٢- الرجوع إلى الكتاب والسنة عند النزاع.

٣- طاعة ولي الأمر ونصيحته والنصح له.

بهذه الأمور يحصل الاجتماع، إذا اختل واحد منها حصل التفرق، حصل الاختلاف والنزاع، تشتتت الأمة.

فهذه القاعدة، قاعدة عظيمة وهي: أن المسلمين لا بد لهم من اجتماع، ولا اجتماع إلا على الكتاب والسنة، والعقيدة الصحيحة، والقيادة الصالحة التي تطاع وينقاد لها، بهذا تحصل المنافع والهيبة للمسلمين.

* * *

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

١١

القاعدة الحادية عشرة

أنهم يعتقدون أن أعظم أسباب الافتراق هو تشيُّع وتحزُّب بعض المسلمين إلى طائفة أو جماعة أو شخص غير رسول اللَّه ﷺ وصحابته الكرام

لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

قال ابن كثير[(١)]: «الظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين اللَّه وكان مخالفًا له، فإن اللَّه بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق».

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٣١، ٣٢].

قال ابن كثير[(٢)]: «وهذه الأمة أيضًا اختلفوا فيما بينهم على نِحَلٍ كلها ضالة إلا واحدة؛ وهم أهل السنة والجماعة، المتمسِّكون بكتاب اللَّه

(١) في «تفسيره» (٢/ ٢٦٢).
(٢) المصدر السابق (٣/ ٥٧٢)

وسنة رسوله ﷺ، وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين في قديم الدهر وحديثه، كما روى الحاكم في «مستدركه» أنه سئل صلى الله عليه وسلم عن الفرقة الناجية، فقال: «**مَن كان على ما أنا عليه اليومَ وأصحابي**»[(١)].

وفي حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**وأنا آمرُكم بخمسٍ اللهُ أمرني بهنَّ: السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة؛ فإنه من فارق الجماعة قِيْدَ شبرٍ فقد خلع رِبْقَةَ**[(٢)] **الإسلام من عنقه، إلا أن يرجع، ومن ادَّعى دعوى الجاهليةِ فإنه من جُثَى جهنم**[(٣)]». فقال رجل: يا رسول الله، وإن صلَّى وصام؟! قال: «**وإن صلَّى وصام، فادعوا بدعوى اللَّه الذي سمَّاكم: المسلمين، المؤمنينَ، عبادَ اللهِ**». رواه أحمد والترمذي، وقال الترمذي: حسن صحيح[(٤)].

وقيل لابن عباس: أنتَ على مِلَّةِ عليٍّ أو على مِلَّةِ عثمانَ؟ فقال: «بل أنا على مِلَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ»[(٥)].

---

(١) تقدم تخريجه، (ص ٣١، ٣٢).

(٢) **الربقة في الأصل**: عروة في حبل تجعل في عنق البهيمة أو يدها تمسكها، فاستعارها للإسلام، يعني ما يشد به المسلم نفسه من عرى الإسلام، أي: حدوده وأحكامه، وأوامره ونواهيه. «النهاية في غريب الآثر» (٢/ ١٩٠).

(٣) من جثى جهنم، بضم الجيم مقصور، أي: من جماعاتها، جمع جثوة بالحركات الثلاث، وهي: الحجارة المجموعة. ورُوي: من جُثِيِّ، بتشديد الياء وضم الجيم، جمع جاث، مِن جثى على ركبتيه يجثو ويجثي. «تحفة الأحوذي» (٨/ ١٣٢).

(٤) **صحيح**: أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٣٠، ٢٠٢)، والترمذي (٢٨٦٣، ٢٨٦٤)، وانظر «صحيح الجامع» (١٧٤٢).

(٥) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (١٣٢، ١٣٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٩٨-٢٩٩)، وابنُ حزم في «الإحكام» (٤/ ٣٢٨)، و(٦/ ١٧٤). وروى ابنُ حزم (٦/ ١٧٤، ١٧٥)=

● **تاريخ افتراق الأمة:**

«واعلم أنّه لما أظلمت الأرضُ وبَعُدَ عهدُ أهلِها بنورِ الوحي، وتفرَّقوا في الباطلِ فِرَقًا وأحزابًا، لا يجمعهم جامع ولا يحصيهم إلا الذي خلقهم؛ فإنهم فقدوا نورَ النبوةِ ورجعوا إلى مجردِ العقولِ، فكانوا كما قال النبي ﷺ فيما يروي عن ربِّه أنه قال: «**إني خلقتُ عبادي حنفاءَ، وإنهم أتتهم الشياطينُ فَاجْتَالَتْهُم**[(١)] **عن دينهم، وحرَّمَتْ عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرَتْهُم أن يشركوا بي ما لم أنزِّلْ به سلطانًا. وإن اللهَ نظر إلى أهلِ الأرضِ فمقتَهم عربَهم وعجَمهم إلا بقايا مِن أهلِ الكتابِ**»[(٢)]. فكان أهل العقول كلُّهم في مقته إلا بقايا متمسِّكين بالوحي، فلم يستفيدوا بعقولهم حين فقدوا نور الوحي إلا عبادةَ الأوثانِ، أو الصلبانِ، أو النيرانِ، أو الكواكبِ والشمسِ والقمرِ، أو الحَيْرةَ والشكَّ، أو السحرَ، أو تعطيلَ الصانعِ والكفرَ به! فاستفادوا بها مقتَ الربِّ سبحانه لهم وإعراضَه عنهم، فأطلع اللهُ شمسَ الرسالةِ في تلك الظلم سراجًا منيرًا، وأنعم بها على

= أيضًا بسنده، عن إبراهيم النَّخَعِيّ، قال: كان يُكره أن يُقال: سُنَّة أبي بكر وعمر. ولكن سنة الله وسنة رسوله. ثم قال ابنُ حزم: «فإذا كان الصحابة والتابعون ﷺ لا يستجيزون نسبة ما يعبدون به ربهم ولا مذاهبهم إلى أبي بكر ولا إلى عمر ولا إلى عثمان ولا إلى علي، ولا ينتسبون إلى أحد دون رسول الله ﷺ فكيف بهم لو شاهدوا ما نشاهده من المصائب الهادمة للإسلام على من امتحنه الله به من الانتماء إلى مذهب فلان وفلان والإقبال على أقوال مالك وأبي حنيفة والشافعي وترك أحكام القرآن وكلام النبي ﷺ ظِهْرِيًا ؟! والحمد لله على تثبيته إيانا على دينه وسنته التي مضى عليها أهل الأعصار المحمودة قبل أن تحدث بدعة التقليد وتفشو، وبالله نعتصم». اهـ.

(١) **فاجتالتهم**: أي اسْتَخَفُّوهم، فذهبوا بهم وأزالوهم عما كانوا عليه، وجالوا معهم في الباطل. «صحيح مسلم بشرح النووي» (٩/ ٢٤٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) ضمن حديث طويل، من حديث عياض بن حمار الأشجعي ﷺ.

أهل الأرض في عقولِهم وقلوبِهم ومعاشِهم ومعادِهم، نعمةً لا يستطيعون لها شكورًا، فأبصروا بنور الوحي ما لم يكونوا بعقولهم يبصرونه، ورأوا في ضوءِ الرسالةِ ما لم يكونوا بآرائهم يرونه، فكانوا كما قال اللَّه تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وقال: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ [إبراهيم: ١].

وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [الشورى: ٥٢].

وقال: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

فمضى الرعيلُ الأولُ في ضوءِ ذلك النورِ لم تطفئه عواصفُ الأهواءِ، ولم تلتبسْ به ظلمُ الآراءِ، وأوصَوا مَن بعدهم أن لا يفارقوا النورَ الذي اقتبسوه منهم، وأن لا يخرجوا عن طريقِهم، فلما كان في أواخرِ عصرِهم حدثت أهل البدع والخوارجُ والقدريةُ والمرجئةُ، فبعدوا عن النورِ الذي كان عليه أوائلُ الأمةِ، ومع هذا فلم يفارقوه بالكلية؛ بل كانوا للنصوص معظِّمين، وبها مستدلين، ولها على العقولِ والآراء مقدِّمين، ولم يدَّعِ أحدٌ منهم أن عنده عقلياتٍ تعارضُ النصوصَ، وإنما أُتُوا من سوء الفهم فيها، والاستبداد بما ظهر لهم منها دون مَن قبلهم، ورأوا أنهم إن اقتفوا أثرهم كانوا مقلدين لهم، فصاح بهم من أدركهم من الصحابةِ وكبارِ التابعين من كل قطرٍ، ورموهم بالعظائم، وتبرَّأوا منهم، وحذَّروا من سبيلهم أشدَّ التحذير، ولا يرون السلامَ عليهم ولا

مجالستَهم، وكلامُهم فيهم معروفٌ في كتبِ السنةِ، وهو أكثر من أن يُذْكَرَ هاهنا، فلما كثرت الجهميةُ في أواخر عصر التابعين كانوا هم أولَ من عارض الوحيَ بالرأي، ومع هذا كانوا قليلين أولًا، مقموعين مذمومين عند الأئمة، وأولهم شيخُهم الجَعْدُ بنُ درهم، وإنما نفق عند الناس بعض الشيء لأنه كان معلمَ مروانَ بنِ محمدٍ وشَيخَه، ولهذا كان يسمى مروان الجعدي، وعلى رأسه سلَبَ اللهُ بني أمية الملكَ والخلافةَ، وشتَّتهم في البلاد، ومزَّقهم كل ممزق، ببركة شيخ المعطِّلة النفاة! فلما اشتهر أمرُه في المسلمين طلبَه خالدُ بنُ عبدِ اللهِ القَسْرِيُّ - وكان أميرًا على العراق - حتى ظَفِر به، فخطَب الناسَ في يومِ الأضحى، وكان آخر ما قال في خطبته: «أيها الناس؛ ضحُّوا تقبَّلَ اللهُ ضحاياكم، فإني مضَحٍّ بالجعد بن درهم؛ فإنه زعم أنَّ اللَّه لم يكلِّمْ موسى تكليمًا، ولم يتَّخِذْ إبراهيم خليلًا! تعالى اللَّه عما يقول الجعد علوًّا كبيرًا». ثم نزل فذبحه في أصل المنبر، فكان ضحية.

ثم طفئت تلك البدعة فكانت كأنها حصاة رمي بها، والناس إذ ذاك عنق واحد[1]: أن اللَّه فوق سماواته على عرشه، بائن من خلقه، موصوف بصفات الكمال، ونعوت الجلال، وأنه كلَّم عبده ورسوله موسى تكليمًا، وتجلَّى للجبل فجعله دكًّا هشيمًا.

إلى أن جاء أول المائة الثالثة ووُلِّي على الناس عبد اللَّه المأمون، وكان يحب أنواع العلوم، وكان مجلسه عامرًا بأنواع المتكلِّمين في العلوم، فغلب عليه حبُّ المعقولات، فأمر بتعريب كتب يونان، وأقدم لها المترجمين من

(١) العنق: الجماعة الكثيرة. والمعنى أنهم مجتمعون على هذا الاعتقاد. وينظر: تاج العروس (ع ن ق).

البلاد فعربت له، واشتغل بها الناس، والمَلِكُ سوقٌ، ما سُوقَ فيه جُلِبَ إليه، فغلب على مجلسه جماعة من الجهمية ممن كان أبوه الرشيد قد أقصاهم وتبعهم بالحبس والقتل، فحشوا بدعةَ التجهم في أذنه وقلبه، فقبلها واستحسنها، ودعا الناس إليها، وعاقبهم عليها، فلم تَطُلْ مدتُه، فصار الأمر بعده إلى المعتصم - وهو الذي ضرب الإمامَ أحمدَ بنَ حنبلٍ - فقام بالدعوة بعده، والجهمية تصوِّب فعله، وتدعوه إليه، وتخبره أن ذلك هو تنزيه الربِّ عن التشبيه والتمثيل والتجسيم، وهم الذين قد غلبوا على قربه ومجلسه، والقضاة والولاة منهم، فإنهم تبع لملوكهم، ومع هذا فلم يكونوا يتجاسرون على إلغاء النصوص، وتقديم الآراء والعقول عليها، فإن الإسلام كان في ظهورٍ وقوةٍ، وسوقُ الحديثِ نافقةٌ، ورؤوس السنة على ظهر الأرض، ولكن كانوا على ذلك يحومون، وحوله يدندنون، وأخذوا الناس بالرغبة والرهبة، فمِن بين أعمى مستجيبٍ، ومن بين مُكْرَهٍ مقيّد نفسه منهم بإعطاء ما سألوه، وقلبه مطمئن بالإيمان.

وثبَّتَ اللَّه أقوامًا جعل قلوبهم في نصر دينه أقوى من الصخر وأشدَّ من الحديدِ، وأقامهم لنصر دينه، وجعلهم أئمة يقتدي بهم المؤمنون، لما صبروا وكانوا بآياته يوقنون، فإنه بالصبر واليقين تُنال الإمامةُ في الدينِ، قال اللَّه تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤]. فصبروا من الجهميةِ على الأذى الشَّديدِ، ولم يتركوا سنةَ رسولِ اللَّه ﷺ لما أرغبوهم به من الوعدِ، وما تهددوهم به من الوعيدِ.

ثم أطفأ اللَّه برحمتِه تلك الفتنةَ، وأخمد تلك الكلمةَ، ونصر السُّنة نصرًا عزيزًا، وفتح لأهلها فتحًا مبينًا، حتى خُرج بها على رؤوس

المنابر، ودُعي إليها في كل بادٍ وحاضرٍ، وصُنِّف ذلك الزمان في السنةِ ما لا يحصيه إلا اللهُ.

ثم انقضى ذلك العصرُ وأهلُه، وقام بعدهم ذريتُهم يدعون إلى كتابِ اللهِ وسنةِ رسولِهِ على بصيرة، إلى أن جاء ما لا قِبَل لأحد به، وهم جنودُ إبليسَ حقًّا، المعارضون لما جاءت به الرسل بعقولهم وآرائهم، من القَرَامِطَةِ والباطنيةِ والملاحدةِ، ودعوتهم إلى العقل المجرد، وأن أمور الرسل تعارض المعقول! فهم القائمون بهذه الطريقة حق القيام بالقول والفعل، فجرى على الإسلام وأهله منهم ما جرى، وكسروا عسكرَ الخليفةِ مرارًا عديدة، وقتلوا الحاج قتلاً ذريعًا، وانتهوا إلى مكةَ فقتلوا بها من وصل من الحاج إليها، وقلعوا الحجرَ الأسودَ من مكانِه، وقويت شوكتُهم، واستفحل أمرُهم، وعظمت بهم الرزيةُ، واشتدت بهم البليةُ.

وأصلُ طريقِهم: أن الذي أخبرت به الرسلُ قد عارضه العقلُ، وإذا تعارض العقلُ والنقلُ قدَّمنا العقلَ! قالوا: فنحن أنصارُ العقلِ، الدَّاعون إليه، المخاصمون به، المحاكمون إليه!

وفي زمانهم استولى الكفارُ على كثيرٍ من بلادِ الإسلام في الشرقِ والغربِ، وكاد الإسلامُ أن ينهدَّ ركنُه لولا دفاع الذي ضمن حفظَه إلى أن يرث الأرضَ ومن عليها، ثم خمدت دعوةُ هؤلاء في المشرق، وظهرت من المغرب قليلاً قليلاً حتى استفحلت وتمكَّنت، واستولى أهلُها على كثيرٍ من بلادِ المغربِ، ثم أخذوا يطوون البلادَ، حتى وصلوا إلى بلاد مصرَ فملكوها، وبنوا بها القاهرةَ، وأقاموا على هذه الدعوة مصرِّحين بها غير متحاشين منها، هم وولاتُهم وقضاتُهم وأتباعُهم، وفي زمانهم صُنِّفَتْ رسائل «إخوان الصفا» و«الإشارات» و«الشفا» وكُتُبُ ابنِ سينا،

فإنه قال: كان أبي من أهل الدعوة الحاكمية.

وعُطِّلَتْ في زمانهم السُّنةُ وكتُبها والآثارُ جملةً؛ إلا في الخفيةِ، بحيث يكون قارؤها وذاكرُها وكاتبُها على أعظمِ خطرٍ، وشعارُ هذه الدعوة: تقديم العقل على الوحي! واستولوا على بلادِ المغربِ ومصرَ والشامِ والحجازِ، واستولوا على العراق سنة، وأهل السنة فيهم كأهل الذمة بين المسلمين؛ بل كان لأهل الذمة من الأمان والجاه والعزّ عندهم ما لا يصل إليه أحد من أهل السنة ولا يطمع فيه، فكم أُغْمِدَتْ سيوفُهم في أعناق العلماء، وكم مات في سجونهم من ورثة الأنبياء، وكم ماتت بهم سُنَّة، وقامت بهم بدعة وضلالة! حتى استنقذ اللّه الأمة والملة من أيديهم في أيام نور الدين وابن أخيه صلاح الدين، فأَبَلَّ الإسلامُ من علته[1] بعد ما وطن المسلمون أنفسهم على العراء، وانتعش بعد طول الخمول حتى استبشر أهل الأرض والسماء، وأبدر هلالُه بعد أن دخل في المُحَاقِ[2]، وثابت إليه روحُه بعد ما بلغت التراقي، وقيل: مَن راق؟! واستنقذ اللّه سبحانه بعبده وجنوده بيت المقدس من أيدي عبدة الصليب، وأخذ كلٌّ من أنصارِ اللّه ورسولِه من نصرةِ دينِه بنصيبٍ، وعلت كلمةُ الإسلامِ والسنةِ، وأُذِن بها على رؤوس الأشهاد، ونادى المنادي: يا أنصار الله، لا تنكلوا عن الجهاد، فإنه أبلَغُ الزادِ ليومِ المعادِ.

فعاش الناس في ذلك النورِ مدةً، حتى استولت الظلمةُ على بلادِ الشرقِ، وطغي على نور النبوة والوحي، وقدموا العقولَ والآراءَ

---

(١) أبل المريض: برأ. الوسيط (ب ل ل).

(٢) المحاق - بضم الميم وكسرها -: آخر الشهر إذا امّحق الهلال فلم يُر. اللسان (م ح ق).

والسياسةَ والأذواقَ والرأيَ على الوحي، فظهرت فيهم الفلسفةُ والمنطقُ وتوابعُها، فبعث اللَّه عليهم عبادًا له أولي بأسٍ شديدٍ، فجاسوا خلال الديارِ، وعاثوا في القرى والأمصارِ، وكاد الإسلامُ أن يذهب اسمُه، وينمحي رسمُه.

وكان مشار هذه الفرقةِ وعالمُها الذي يرجعون إليه، وزعيمُها الذي يعولون عليه، شيخ شيوخ المعارضين بين الوحي والعقلِ، وإمامهم في وقته نصير الكفرِ والشرك الطوسي، فلم يُعْلَمْ في عصرِه أحدٌ عارض بين العقلِ والنقلِ معارضتَه، فرام إبطالَ السمعِ بالكليةِ، وإقامةَ الدعوةِ الفلسفيةِ، وجعل الإشاراتِ بدلًا عن السورِ والآياتِ، وقال: هذه عقلياتٌ قطعيةٌ برهانيةٌ، قد عارضت تلك النقليات الخطابية!

واستعرض علماءَ الإسلامِ وأهلَ القرآنِ والسنةِ على السيفِ، فلم يبق منهم إلا من أعجزه؛ قصدًا لإبطالِ الدعوةِ الإسلاميةِ، وجعَل مدارسَ المسلمين وأوقافَهم للنجسةِ السحرةِ والمنجمين، والفلاسفةِ والملاحدةِ والمنطقيين، ورام إبطالَ الأذان وتحويلَ الصلاةِ إلى القطبِ الشمالي، فحال بينه وبين ذلك من تكفَّل بحفظِ الإسلامِ ونصرِه.

وهذا كلُّه من ثمرةِ المعارضين بين الوحي والعقل، وتقديم العقل على السمع، ولتكن قصةُ شيخِ هؤلاء القديم منك على ذِكرٍ كلَّ وقتٍ، فإنه أولُ من عارض بين العقلِ والنقلِ، وقدَّم العقل، فكان من أمرِه[١] ما قصَّ اللَّه عليك، ووَرَّث هذا الشيخُ تلامذتَه هذه المعارضةَ فلم يزل يجري على الأنبياءِ وأتباعِهم منها كلُّ محنةٍ وبليةٍ.

---

(١) أي: من أمر الشيطان.

وأصلُ كلِّ بليةٍ في العالم، كما قال محمد الشهرستاني، من معارضة النصِّ بالرأي، وتقديمِ الهوى على الشرعِ، والناسُ إلى اليوم في شرورِ هذه المعارضةِ وشؤمِ عاقبتِها، فإلى اللَّه المشتكى وبه المستعان.

ثم إنه خرج مع هذا الشيخ المتأخر - المعارضِ بين العقل والنقل - أشياءُ لم تكن تعرف قبله: جُستُ[1] العميدي، وحقائق ابن عربي، وتشكيكات الرازي، وقام سوق الفلسفة والمنطق، وعلوم أعداء الرسل التي فرحوا بها لما جاءتهم رسلهم بالبينات، وصارت الدولة والدعوة لأرباب هذه العلوم.

ثم نظر اللَّه إلى عباده وانتصر لكتابه ودينه وأقام جندًا تغزو ملوكَ هؤلاء بالسيفِ والسِّنانِ، وجندًا تغزو علماءهم بالحجةِ والبرهانِ.

ثم نبغتْ نابغةٌ منهم في رأسِ القرنِ الثامنِ، فأقام اللَّه لدينه شيخَ الإسلامِ أبا العباسِ ابنَ تيميةَ، قدَّس اللهُ روحَه، فأقام على غزوِهم مدة حياته، باليدِ والقلبِ واللسانِ، وكشف للناسِ باطلَهم، وبين تلبيسَهم وتدليسَهم، وقابلهم بصريحِ المعقولِ، وصحيح المنقول، وشفى واشتفى، وبيَّن مناقضتهم ومفارقتهم لحكم العقل، الذي به يدلون، وإليه يدعون، وإنهم أتركُ الناسِ لأحكامِه وقضاياه، فلا وحي ولا عقل؛ فأَرْداهم في حُفَرِهم، ورَشَقَهم بسهامِهم، وبيَّن أن صحيحَ معقولاتهم خدمٌ لنصوصِ الأنبياءِ، شاهدةٌ لها بالصحةِ، وتفصيلُ هذه الجملةِ موجودةٌ في كتبه.

فمن نصحَ نفسَه ورغِبَ عن قولِه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ

(١) الجست: لفظة فارسية، معناها البحث. وقد أصبحت تطلق على نوع من أنواع الخلاف. (هامش وفيات الأعيان (٤/ ٢٥٧).

ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، يتبين له حقيقةُ الأمرِ، ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

والمقصودُ: أنَّ كلَّ بليةٍ طرَقت العالَمَ، عامةً أو خاصةً، فأصلُها من معارضةِ الوحي بالعقلِ، وتقديمِ الهوى على الأمرِ، والمعصومُ من عصمه الله[(١)].

قلت: إلى أن جاء القرنُ الثاني عشر فهيَّأ اللهُ الإمامَ المجددَ محمدَ بنَ عبدِ الوهابِ التميميَّ، فدعا إلى ما دعا إليه الأنبياءُ من التوحيدِ الخالصِ، ولا سيما في الأصولِ التاليةِ:

١- توحيدُ العبوديةِ، ويقال له الألوهية أيضًا، وقد كتب الشيخُ فيه عدةَ رسائلَ وكتبًا لأهميته، وكتب فيه بعده أولادُه وأحفادُه وتلاميذُه بتوسع، وشرح بعضُهم بعضَ كتبِ الشيخِ في هذا القسمِ من التوحيدِ.

٢- منعُ التوسلِ المبتدع، مع إقرارِه بالتوسلِ المشروعِ.

٣- منعُ شدِّ الرحالِ إلى غيرِ المساجدِ الثلاثةِ بقصدِ العبادةِ في مكانٍ ما، ولا يدخل في المنعِ سفرُ طلبِ العلمِ، أو سفرُ التجارةِ، وزيارةُ الأحياء: كالعلماءِ والعبَّادِ السائرين على طريقةِ السلفِ الصالحِ، وما في معنى هذه الأسفار مما لا يُقصد فيه مكان.

٤- منعُ البناءِ على القبورِ وكسوتِها وإسراجِها والعكوفِ عندها، كما جاءت بذلك السنةُ الصحيحةُ والآثارُ المستفيضةُ.

٥- تنزيهُ اللَّه وتقديسُه بالإيمانِ بأسمائه وصفاتِه، كما جاء في الآياتِ والأحاديثِ، والإقرارُ بها، وإمرارُها كما جاءت، من غير تشبيهٍ

---

(١) انظر: «الصواعق المرسلة»، لابن القيم (٣/ ١٠٦٨) وما قبلها وبعدها.

ولا تمثيلٍ ولا تعطيلٍ.

٦- إنكارُ البدع المستحدثة في العبادةِ والمنهجِ والدعوةِ.

٧- تقريبُ العلمِ للناسِ: بالتعليمِ وتصنيف الرسائل التي تناسب أفهامَ عامةِ الناسِ في بيانِ التوحيدِ وما يضاده من الشركِ، وكشفِ شبهاتِ المخالفين، فلم يكن خطابُه للنخبةِ فحسْب، بل كان عليه رحمة اللَّه إمامَ عامةٍ، على طريقةِ الأنبياءِ والرسلِ.

وقد أيده اللَّه بالإمامِ محمدِ بنِ سعودٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، فقبل الدعوةَ وأحبَّ الشيخَ، ووعده بالنصرةِ والوقوفِ معه على مَن خالفه في دعوتِه وإصلاحِه، فواصل الشيخُ عملَه بالدعوةِ والإصلاحِ، والإمامُ يناصرُه حاملًا سيفَه على من يعاند الحقَّ، فظهر أمرُ الشيخِ وانتشرتْ دعوتُه، وكان من آثارها قيامُ دولةٍ إسلاميةٍ سلفيّةٍ في قلبِ الجزيرةِ العربيةِ، ومكَّنها اللهُ في الأرضِ، فأمرتْ بالمعروفِ ونهت عن المنكرِ، فجدَّدت الحكمَ بشريعةِ الإسلامِ المندرسةِ، ولم يوجد في العالمِ المعاصرِ دولةٌ إسلاميّةٌ قامت على منهجها، وقد انتفع بهذه الدعوةِ كثيرٌ من المسلمين في العالم العربي والقارّة الهندية وقارّة إفريقيا، ولولا اللهُ ثم وجودُ هذه الدعوةِ لاندرستْ[1] معالمُ التوحيدِ في كثيرٍ من أقطارِ المسلمين، ولله الحمدُ مِن قبلُ ومِن بعدُ.

قال سماحة الشيخ، حفظه الله:

وهذه القاعدة مكملة للقاعدة التي قبلها، وهي: قاعدة الاجتماع، وأن دين المسلمين لا يقوم إلا على الاجتماع والألفة فيما بينهم.

(١) دَرَسَ الشيءُ واندرس: عفا وذهب أثرُه. الوسيط (د ر س).

هذه القاعدة فيها أن الشذوذ والانفراد عن الجماعة يولِّد شرًّا ويفتح ثغرة في جماعة المسلمين، فيجب على كل مسلم أن ينضم مع جماعة المسلمين، وأن لا يشذ برأي ولا مذهب ولا منهج، وإنما يكون منهجه وطريقته طريقة جماعة المسلمين، حتى لو أن له رأيًا في نفسه أو اجتهادًا رآه في نفسه، فإنه لا يظهره للناس، بل ليرجع لما عليه جماعة المسلمين، ويترك ويتهم رأيه واجتهاده، أما إذا صار لكل واحد حرية الاختيار، حرية التنقيب والظهور بآراء جديدة يبتكرها، حتى ولو كان يراها صحيحة، ما دامت تؤثر على اجتماع المسلمين وتشتت أفكارهم فلا يجوز له أن يظهرها.

فالصحابة ﷺ كانوا يتركون أراءهم، وإن كانت مبنية على الكتاب والسنة، يتركونها إذا كانت تخل باجتماع الكلمة، فهذا عبد اللَّه بن مسعود الصحابي الجليل ﷺ لما أتم أمير المؤمنين عثمان ﷺ الصلاة بمِنًى، وكان ابن مسعود ﷺ يرى القصر بمنى، فكان إذا صلَّى خلف عثمان ﷺ أتمَّ، فلما قيل له في ذلك، قال: «يا بني، الخلاف شرٌّ»[(١)].

فها هو ﷺ يصلى مع عثمان ﷺ ويتم الصلاة، مع أنه يرى أن الصلاة تقصر في منًى، تنازل عن رأيه إلى رأي أمير المؤمنين من أجل جمع الكلمة، هذا في شأن الصلاة التي هي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، فكيف بالذي يبتكر له اجتهادات جديدة وآراء جديدة، ثم يظهرها للناس، في صلاتهم، في أمور عباداتهم، فيحصل بذلك تشويش على الناس، يقول لهم: فلان قال، وفلان قال . . . الناس يسيرون على

(١) أخرجه البخاري (١٠٣٤)، ومسلم (٦٩٠/ ١٩) كلاهما بنحوه، وأبو داود (١٩٦٢) واللفظ له.

جادة واحدة، وعلى منهج واحد، ثم يأتي واحد ويظهر مخالفات وآراء جديدة توصَّل إليها باجتهاده أو برأيه، ويريد أن يقتنع بها الناس، لا شك أنه سيجد من يشذ معه، ويجد من يحبذ رأيه، فيحدث في الناس افتراق، فالواجب على المسلم أن يلاحظ هذا الشيء، وأن يحافظ على وحدة المسلمين، وعلى اجتماع المسلمين، أحيانًا يُترك الشيء الفاضل إلى الشيء المفضول، إذا كان المفضول يحصل عليه الاجتماع، فعليه أن يتنازل عن الشيء الفاضل ويسير إلى الشيء المفضول؛ من أجل اجتماع الكلمة واجتماع المسلمين، فهذا - كما ذكرت لكم - ابن مسعود ﷺ تنازل عن الذي يراه فاضلاً، وهو القصر، إلى الشيء المفضول، الذي هو التمام، من أجل جمع كلمة المسلمين، ما دام هذا لا يخل بالدين، أما إذا كان يخل بالدين فلا، فيجب على المسلم أن يتنازل عن رأيه واجتهاده، ولو كان يراه فاضلاً، فكيف إذا كان الذي عليه الجماعة هو الفاضل وما عليه هذا المخالف هو المفضول، أو غير صحيح؟!

فعلى طلبة العلم والمنتسبين إلى العلم أن يلاحظوا هذه القاعدة: أنه إذا كان عند المسلم آراء أو اجتهادات، وكان في إظهارها للناس تشويش ونزاع، فإنه لا يظهرها، ويسير على ما عليه جماعة المسلمين، فإنه أضمن له وأقرب إلى الحق.

المصنف، حفظه الله: نعم، هذا بلا شك في الفتن.

سماحة الشيخ، حفظه الله: لأنه إذا أدى إلى نزاع وافتراق فهو مذموم بلا شك، وإن كان هو يراه اجتهادًا، وأنه استنبطه من الكتاب والسنة، فنزوله على رأي الجماعة أفضل من رأيه وحده لأجل جمع الكلمة.

أنا أرى بعض طلبة العلم الآن ظهروا بمسائل شوشت على الناس: ماذا تقول يا فلان، وفلان يقول كذا، وفلان يقول كذا. . .، بينما الناس، ولله الحمد، سائرون على جادة واضحة، وعلى طريق سليم، وما حصل اختلاف.

فما نريد أن يأتي واحد أو اثنان أو أكثر ويحدثون أشياء، وإن كانوا يرونها حقًّا، فإن كان ولا بد فليعمل بها منفردًا ولا ينشرها على الناس، مع أن عمله مع الناس أفضل من انفراده بعمل مستقل، هذا الذي أراه.

المصنف، حفظه الله: سلمك الله، مقصودي من هذا: ما المقصود بالمرجعية هنا، هي اللجنة الدائمة، أم هيئة كبار العلماء؟، فقد تخالف اللجنةُ بعضَ أعضاء الهيئة.

سماحة الشيخ حفظه الله: اللجنة الدائمة ليست كلَّ شيء، لكن ما عليه مجتمع المسلمين ككل في هذه البلاد وفي غيرها، الناس يصلون ويصومون ويزكون ويضحون كل سنة، ويقيمون الأعياد، ما حصل بينهم اختلاف، أتى أُناس فأخرجوا مسائل جديدة فرقت بين الناس وشتَّتهم، هذا الذي نقصده، نقول: اتركوا المسلمين على ما هم عليه، أنتم ما تردونهم عن باطل، ولله الحمد، هي المسألة كلها اجتهاد، واجتهاد الجماعة أفضل من اجتهاد الفرد، والشيء الذي يفرق الناس، وإن كنت تراه أنه فاضلاً، فإن ما يترتب عليه من الفرقة شر عظيم، وكما تقدم قول عبد اللّه بن مسعود ﷺ يقول : «الخلاف شرٌّ». فالذي يؤدي إلى خلاف وإلى فتنة يجتنب، واللّه تعالى أعلم.

قال المصنف، حفظه الله: هناك موضوع مهم، وهو: قضية تحزب المسلمين وتشيعهم إلى طائفة أو جماعة، فهل يجوز التحزب يا شيخ والانتظام في جماعة؟

قال سماحة الشيخ، حفظه الله: قال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران:١٠٣]. كيف يجوز التحزب والله يقول: ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾. ويقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ [الأنعام:١٥٩]. أمر الله نبيه ﷺ أن يتبرأ من المتفرقين، وأنتم تسمعون في الخطب: يد الله على الجماعة، ومن شذ شذ في النار. ويقول تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٥٣﴾ [المؤمنون:٥٣]. المصيبة إذا صار كل واحد فرحًا بما هو عليه، لأنه إذا صار فرحًا بافتراقه فلن يرجع، لكن الذي يفترق وهو ليس مطمئنًا فإنه يمكن أن يرجع، يعني إن كان شاكًا فيما هو عليه فيمكنه الرجوع، لكن المشكلة إذا كان جازمًا بما هو عليه، وأنه هو الصواب، وفرح به، فهذه مصيبة، وما يرجا منه الرجوع، ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾. ما يرجا منهم اجتماع، وهم كذلك، نسأل الله العافية.

* * *

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

١٢

القاعدة الثانية عشرة

أنهم يعتقدون أن البيعةَ الشرعيّةَ لا تكون إلا لإمام مسلم بايعَه أهلُ الحَلِّ والعقدِ، والعامةُ تبعٌ لهم

لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩].

وعن أنسِ بن مالكٍ ﷺ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**اسمعوا وأطيعوا، وإن استُعمِل عليكم عبدٌ حبشيٌّ كأنَّ رأسَه زبيبةٌ، ما أقام فيكم كتابَ اللهِ**». رواه البخاري ومسلم(١).

وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**كانت بنو إسرائيل تَسُوسُهُمْ أنبياؤهم، كلما هَلَكَ نبيٌّ خَلَفَه نبيٌّ، وإنه لا نبيَّ بعدي، وستكون خلفاءُ فتكثرُ**». قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «**فُوا ببيعةَ الأولِ فالأولِ، وأعطوهم حقَّهم، فإن اللَّه سائلُهم عما استرْعاهم**». رواه البخاري ومسلم(٢).

وعن عَدي بن حاتم قال: قلنا: يا رسولِ الله، لا نسألك عن طاعةِ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٣) من حديث أنس ﷺ، وأخرجه مسلم (٤٨٦١) من حديث أبي ذر ﷺ، و(٤٨٦٤) من حديث أم حصين ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (٤٨٧٩).

من اتَّقى، ولكن من فعَل وفعَل. فذكَر الشرَّ، فقال: «**اتَّقُوا اللهَ، واسمَعُوا وأطيعوا**». رواه ابن أبي عاصم في كتاب «السنة»[(١)].

وعن عمرَ بنِ الخطابِ ﷺ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**مَنْ أراد بُحْبُوحَةَ الجنةِ**[(٢)] **فعليه بالجماعةِ، فإن الشيطانَ مع الواحدِ، وهو من الاثنين أبعدُ**». رواه الترمذي وغيره[(٣)].

وعن عبدُ اللّه بن عمر ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**السمعُ والطاعةُ على المرءِ المسلمِ فيما أحبَّ وكَرِهَ، ما لم يُؤْمَرْ بمعصيةٍ، فإذا أمر بمعصيةٍ فلا سَمْعَ ولا طاعةَ**». رواه البخاري[(٤)].

- **مفهوم البيعة عند أهل الحق والاتباع:**

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «المقصود من الإمامة إنما يحصل بالقدرة والسلطان فإذا بويع بيعة حصلت بها القدرة والسلطان صار إمامًا ولهذا قال أئمة السلف: من صار له قدرة وسلطان يفعل بهما مقصود الولاية فهو من أُولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم ما لم يأمروا بمعصية الله. فالإمامة مُلكٌ وسُلطان. والمُلك لا يصير مُلكًا بموافقة واحد ولا اثنين ولا أربعة إلا أن تكون موافقة هؤلاء تقتضي موافقة غيرهم بحيث يصير مَلكًا بذلك، وهكذا كل أمر يفتقر إلى المعاونة عليه لا يحصل إلا بحصول من يمكنهم التعاون عليه»[(٥)].

---

(١) صحيح: أخرجه ابنُ أبي عاصم في «كتاب السنة» (٢/ ٥٠٨)(١٠٦٩). وصححه الألباني في «ظلال الجنة في تخريج السنة» (٢/ ٢٥٤).

(٢) بحبوحة الجنة: وسطها. اللسان. (ب ح ح).

(٣) صحيح: أخرجه الترمذيُّ (٢١٦٥)، وابن حبان (٧٢٥٤)، وانظر «الصحيحة» (٤٣٠).

(٤) برقم (٢٧٩٦).

(٥) «منهاج السنة النبوية» (١/ ٥٢٧).

قال سماحة الشيخ، حفظه الله:

هذه القاعدة في مسألة السمع والطاعة لولاة الأمور، هذا أصل من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ينصُّون عليه في كتب العقائد، خلافًا للخوارج والمعتزلة وأهل البدع، أما أهل السنة والجماعة فإنهم يدينون بالسمع والطاعة لولاة أمر المسلمين، ولا يشقون عصا الطاعة، حتى لو جار ولي الأمر، أو ظلم، أو كان عاصيًا، ما لم يخرج إلى الكفر، وذلك لأن في السمع والطاعة والصبر على جورهم من المصالح، واجتماع الكلمة، ولَمِّ الشمل، والأمن والاستقرار، ما يُرَجِّح على الخروج عليهم، فإن الخروج على ولاة الأمور يترتب عليه أضرار عظيمة، ومفاسد كبيرة، كما حصل في عهد عثمان ﷺ، الخليفة الراشد، ثالث الخلفاء الراشدين.

لما قام عليه أهل البغي فقتلوه ﷺ، ماذا حصل من الفتن التي لا يزال المسلمون يعانون منها، وقد نهاهم علماء الصحابة، وبينوا لهم، ونصحوا لهم، ولكن تم الأمر ليكون عبرة للمسلمين، وما قام جماعة على إمامهم، أو أميرهم، إلا حصل من الفتن والشرور ما اللَّه به عليم.

وذلك أنه يجب أن ينظر بين المصالح والمفاسد، فإذا كانت المفاسد أكثر من المصالح فإنه لا يجوز ارتكاب المفاسد، بل يجب الصبر عليهم وطاعتهم، وإن جاروا، وإن ظلموا، نعم، لا شك أن الجور والظلم مفسدة، والمعصية مفسدة، ولكن في الخروج عليهم مفسدة أكبر، وما دامت المفسدة أكبر فإنه يُرتكب أخف الضررين لدفع أعلاهما.

هذا مع أئمة الجور والفساق، فكيف بأئمة العدل وأئمة الحق؛ مثل

عثمان ﷺ، ثالث الخلفاء الراشدين، وغيره من الولاة الصالحين، الذين صلاحهم أكثر مما عندهم من الخطأ، ثم إن خطأ الولاة أو معصيتهم إثمه وشرُّه قاصر عليهم، أما شق عصا الطاعة فإن شره ينتشر على الرعية، وعلى الأمة، ويحصل من القتل والهرج والظلم الشيء الكثير، فلذلك أهل السنة والجماعة على هذا الأصل العظيم، وأنهم يُصَلُّون خلفهم، ولو كانوا فسقة، في حين أنهم قالوا: لا تصح الصلاةُ خلف الفاسق، أي: من عوام الناس، أما الولاة فتصح الصلاة خلفهم؛ من أجل جمع الكلمة، وما يترتب على ذلك من المصالح.

أما ما تنعقد به الإمامة فتنعقد بثلاثة أمور، لا بأمر واحد:

الأمر الأول: البيعة من أهل الحل والعقد:

فالبيعة من أهل الحل والعقد وليست البيعة من كل أحد، بل، يكفي أهل الحل والعقد، أهل العلم، وأهل الرأي، وقادة الأمة، فإذا بايع أهل الحل والعقد لزمت البيعة لجميع المسلمين، لأن المسلمين جسد واحد، أمة واحدة، يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، فما يظنه بعض الجهال: من أن البيعة من كل أحد. فهذا خلاف مذهب أهل السنة والجماعة، وهذا لا يكون أيضًا، فليس لكل الناس دخل فيه، هذا من شأن أهل الحل والعقد، ينوبون عن الأمة في هذا.

وهذا النوع الأول - الانعقاد بالبيعة -، هو الذي تم في عهد أبي بكر الصديق ﷺ، فإن خلافته ثبتت بالبيعة والاختيار، ومن العلماء من يقول: ثبتت خلافته بالنص والإشارة من النبي ﷺ؛ حيث خلفه على الصلاة لما مرض، قالوا: فتخليفه على الصلاة إشارة إلى تخليفه على المسلمين، ولما قيل له: عمر ﷺ؛ لأن أبا بكر ﷺ يبكي ويرق إذا قام

في الصلاة. غضب ﷺ وكرر الأمر بأن يؤمر أبو بكر ﷺ أن يصلى بالناس، وأصر ﷺ على ذلك، ولهذا لما اختاره الصحابة قالوا: يرضاك رسول اللَّه ﷺ لديننا، ولا نرضاك لدنيانا؟!

واستدل القائلون بهذا القول أيضًا بما ثبت في الصحيح، أن امرأة أتت رسول اللَّه ﷺ، فكلمته في شيء فأمرها بأمر، فقالت: أرأيتَ يا رسولَ اللَّه إن لم أَجِدْكَ؟ قال: «**إن لم تجديني فأْتِي أبا بكرٍ**»[1].

قالوا: في هذا إشارة إلى استخلاف أبي بكر ﷺ من بعده.

وأيضًا هو أفضل الصحابة على الإطلاق، وهو الذي لازم النبيَّ ﷺ من بعثته إلى أن توفاه الله، مناصِرًا ومؤيدًا ومجاهِدًا، وأنفق الأموال في سبيل الله، وفي نشر الإسلام، وتأييد الرسول ﷺ، وغير ذلك، فهو الأولى بها.

الأمر الثاني: مما تثبت به الولاية، ولاية العهد:

أي إذا عهد ولي الأمر من بعده إلى شخص يخلفه لزمت إمامته بعهدِ مِن قِبله، وهذا مثل عَهْدِ أبي بكر ﷺ إلى عمر ﷺ، فإن أبا بكر ﷺ لما حضرته الوفاة عَهِدَ إلى عمر بن الخطاب ﷺ، وهو خير الصحابة ﷺ بعد أبي بكر ﷺ، فلزمت بيعتُه بذلك العهد.

الأمر الثالث: مما تثبت به البيعة، الغلبة:

فإذا غلب على الناس رجل بسيفه حتى أذعنوا له، لزمت طاعته، ولزمت إمامته؛ درءًا للفتنة والشر، ومثال ذلك: ولاية عبد الملك بن مروان، فإن عبد الملك بن مروان تغلب على الناس بسيفه وأطاعه

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٢٧)، من حديث الجبير بن مطعم ﷺ.

المسلمون وخضعوا له وصار خليفة بالغلبة.

هذا ما تثبت به الولاية عندهم: إما بالبيعة والاختيار، وإما بولاية العهد، وإما بالتغلب.

وتلزم طاعته ولو حصل منه ظلم وجور، ولو حصلت منه بعض المعاصي التي لا تصل إلى حد الكفر، أما إذا أمر بمعصية فإنه لا يطاع في المعصية، لكن يطاع فيما عداها، وليس معنى ذلك أنه إذا أمر بمعصية تنخلع طاعته نهائيًا، لا، لكن لا يطاع في هذه المعصية، ويطاع فيما عداها من المعروف، لا تنخلع بيعته، فليس معنى قوله ﷺ: «**لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالقِ**»(١)، أو: «**إنما الطاعةُ بالمعروفِ**»(٢) - أن ولي الأمر إذا صدر منه أمر بمعصية أنها تنخلع بيعته، لا، لكن لا يطاع في هذه المعصية، في هذا الأمر الخاص، وتبقى طاعته فيما عداها.

هذا ملخص ما يلزم في هذا الأمر والفقه فيه، وهو أمر مهم جدًا، وهو من أصول أهل السنة والجماعة؛ لأنه تترتب عليه ثمرات عظيمة، وتزول به شبهات كثيرة، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة بإجماعٍ، لم يخالف فيه أحد من أهل السنة والجماعة، بل يوصون به، ويحثون عليه، وإنما خالف في هذا أهل البدع: كالخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، وكالمعتزلة الذين جعلوا من أصولهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس المراد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما شرعه اللَّه في ذلك، وإنما مرادهم الخروج على الأئمة، سموا الخروج على الأئمة أمرًا بالمعروف ونهيًا عن

---

(١)، (٢) تقدم تخريجه (ص ٢٠).

المنكر، وهو في الواقع هو المنكر، والعياذ بالله، لأنه مخالف للكتاب والسنة وإجماع المسلمين، فهذا هو المنكر في الحقيقة.

قال المصنف، حفظه الله: أحسن الله إليك، هل يمكن حصول البيعة بغير هذه الأمور الثلاثة ، فإنه لا يخفى أن الجماعات تلزم أتباعها بالبيعة؟

قال سماحة الشيخ، حفظه الله: لا ، هذه باطلة، هذه باطلة، ولا حكم لها في الإسلام، ولا مستند لها في الإسلام، إلا ما ورد أن المسافرين يُؤَمِّرون عليهم أميرًا، وهذا لا يسمى ولي أمر، وليس له بيعة، وإنما هو يتولى تنظيم الرحلة: النزول، والسير، وإلا فهو ما يقيم الحدود عليهم، لا يجوز له أن يقيم الحدود عليهم، ولا أن يقيم القصاص، ليس له صلاحيات ولي الأمر، وإنما يتولى أمور السفر فقط ومؤقت، وهو داخل تحت ولاية ولي الأمر، حتى ولو في السفر، فليس لهم في هذا مستند، بل هذا من البدع.

وأيضًا، **من أصول أهل السنة والجماعة**: لو قُدِّر أن أحدًا ينازع وليَّ الأمر فإن أهل السنة والجماعة يوجبون على المسلمين أن يقاتلوا هذا الذي يريد منازعته وينضموا إليه في قتال هذا الذي ينازعه ويريد نَزْعَ الولاية الشرعية منه، وإذا جاء أحد ينازع فإنه يجب قتلُه من أجل دفع شرّه عن المسلمين، لقوله ﷺ: «**مَن أتاكم وأمركم جميعٌ على رجل واحد يريدُ أن يَشُقَّ عصاكم أو يُفرِّقَ جماعتكم فاقتلوه**»[(١)]. وذلك دفعًا لشره، ولقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى

(١) أخرجه مسلم (٤٩٠٤) من حديث عرفجة ﷺ.

﴿ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الحجرات: ٩]. فإنهم يوجبون عليهم أن ينضموا مع ولي الأمر، أو مع الفئة العادلة، ويقاتلوا معها هذا الباغي؛ دفعًا لشره. هذا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة حول هذا الأصل العظيم، وهو ما سبق في أن من انعقدت بيعته بأحد الأسباب الثلاثة - التي ذكرناها - وجبت طاعته والاستمرار معه، ولو حصل منه ظلمٌ وجورٌ وفسقٌ، لأن في الصبر عليه مصالح عظيمة، منها: اجتماع الكلمة، ولمُّ الشمل، ودرء الفتنة، وفي الخروج عليه مفاسد كبيرة، منها: سفك الدماء، وضياع الكلمة، وتسلط الأعداء، كما هو مشاهد في التاريخ، مما حصل من الفتن التي حصلت في عهد عثمان ﷺ، وفي قضية يزيد مع أهل المدينة، في وقعة الحَرَّة، التي حصلت لأهل المدينة لمَّا نقضوا بيعة يزيد، ونهاهم ابن عمر ﷺ، وذكَّرهم بقول الرسول ﷺ، ولكنهم أصرُّوا فحصل عليهم نكبة عظيمة، وانتُهكت المدينة والمحارم! وحصل على المسلمين شرٌّ كبير، بسبب خروجهم على يزيد، ونقضهم بيعته، هذا خطأ بلا شك، ترتَّب عليه شرٌّ كبير، لا يزال يذكر، وقعة الحرة وما فيها من الشرور، كله بسبب نقض البيعة، ولو أخذوا بوصية أو نصيحة عبد اللّه بن عمر، صاحب رسول الله ﷺ، ووفوا بالبيعة، وصبروا على أمر يزيد، لما حصل عليهم ما حصل، وإلى غير ذلك من وقائع التاريخ، وحتى في عصرنا هذا، ما قام شعب على وُلاتهم إلَّا حصل عليهم شرٌّ أكثر: في مصر ماذا حصل؟ في العراق ماذا حصل؟ في ليبيا ماذا حصل؟ في كل مكان، ما رأينا شعبًا قام على ولي الأمر، حتى ولو كان فاسقًا أو مستهترًا، إلَّا حصل من النكبات والشرور أضعاف ما لو صبروا على هذا الوالي إلى أن يأتي الفرج.

إن اللَّه جل وعلا مع الصابرين، فالواجب على الناس أن يصبروا حتى يأتي الفرج، والدنيا تارةً وتارة، عسر ويسر، شدة ورخاء، ولكن تحتاج إلى صبر، وعدم تسرع، حتى مع الولاة الذين ليسوا على مستوى من الإيمان، ومن الإسلام، لمَّا قامت عليهم شعوبهم ماذا حصل عليهم من الشرور والفتن العظيمة، التي لا يزالون يعانون منها، هذه تجارب يجب أخذ العبرة والعظة منها.

فمن حق الوالي المسلم - وإن كان عنده تساهل في بعض الأمور، أو معصية - أن لا يترك، بل يناصح، ويبين له طريق الصواب، فإن قبل فالحمد لله، وإن لم يقبل فلا يجوز لنا أن ننقض الأمر، ونثير الفتنة، ونشتت أمر المسلمين؛ لأن هذا شر أكبر، **وارتكاب أخف الضررين لدفع أعلاهما، قاعدة في الشريعة.**

قال المصنف، حفظه الله: أحسن الله إليك، كونه لا يحكم بشرع الله وتبين لنا بما لا يدع مجالًا للشك أنه كافر، لكن يغلب على الظن حدوث مفاسد عظيمة على المسلمين، فهل يسوغ الخروج عليه؟!

قال سماحة الشيخ، حفظه الله: لا، لو كان الوالي كافرًا، وهم ما عندهم استعداد لأن يقيموا بدله من يضبط الأمور فإنهم يصبرون ويكونون معذورين، فاللَّه جل وعلا يقول: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. فإنهم يصبرون، ولو كان الوالي كافرًا، وهم لا يستطيعون إزالتَه، أو ضبط الأمور إذا أزالوه، لا يجوز لهم المغامرة، حتى ولو مع الولاة الكفار إذا كان ليسوا عندهم استطاعة لإقامة البديل، وضبط الأمور، واللَّه جل وعلا يقول: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]. هذا شرٌّ محض بدون فائدة، فهذه المناوشات، وهذا التخريب، وهذا

الإرهاب الذي يحصل، لا يقره الإسلام، وإن كانوا يظنون أنهم يقاتلون واليًا كافرًا، لكن ما يستطيعون أن يؤمِّنوا ولاية للمسلمين قوية وبديلة عن هذا، ما داموا ما يستطيعون فعليهم أن يصبروا، فالنبيُّ ﷺ وأصحابه قبل الهجرة، وكانت الولاية للكفار، وما أمرهم أن يقاتلوا الكفار في مكة، ولا يناوشوهم، ولا يخربوا عليهم، لأنه قد يحصل من الضرر أكثر مما قد يظن أنه يحصل من المصلحة، وإن حصلت مصلحة، لكن لو قدِّرت المضرة لكانت أكثر، وكان النبي ﷺ في مكة منهيًّا عن القتال، وكان الصحابة منهيون عن القتال، واللَّه جل وعلا يأمرهم بالصبر، ويأمرهم بالانتظار، ويأمرهم بكف الأيدي: ﴿كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[النساء: ٧٧]. ولم يؤذن لهم بالجهاد إلا بعد الهجرة، بعد أن صار لهم أنصار وبلد ودولة، بعد ذلك أمروا بالجهاد، لكن يوم كانوا في مكة وهم منهيون عن القتال أُمر النبي ﷺ بالدعوة فقط، ولم يؤمر بقتال، مما يدل على أن المسلمين إذا كانوا مستضعفين، ولو كانوا تحت ولاية كافرة، فعليهم أن يصبروا إلى أن يأتي الله، جل وعلا، لهم بالفرج.

* * *

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

١٣

القاعدة الثالثة عشرة

أنهم لا يرون الخروج على الولاةِ الظَّلمةِ والفَسَقةِ؛ بل يذمُّون ذلك، ويذمُّون من خرج على الولاةِ دينًا ودنيا

لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥].

وقال تعالى: ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ [ق: ٤٥]. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوّٞ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [القصص: ١٩].

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**سيكون بعدي أمراءُ فتعرفون منهم وتُنْكِرُونَ، فمن أنكرَ فقد بَرِءَ، ومن كَرِهَ فقد سَلِمَ، ولكن من رَضِيَ وتابعَ**». قالوا: أفلا ننابِذُهم بالسيفِ؟ قال: «**لا؛ ما أقاموا فيكم الصلاةَ**». رواه مسلم[1].

---

(١) برقم (٤٩٠٦).

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**يكونُ بعدي أئمةٌ لا يهتدون بهديي، ولا يستنُّون بسُنَّتي، وسيكون فيكم رجالٌ قلوبُهم قلوبُ الشياطينِ في جثمانِ إنسٍ**». قلتُ: كيف أصنعُ إن أدركتُ ذلك؟ قال: «**تسمعُ وتطيعُ للأميرِ وإن ضربَ ظهرَكَ وأخذَ مالكَ؛ فاسْمَعْ وأَطِعْ**». رواه مسلم(١).

وعن عَرْفَجَةَ الأشجعي رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**من أتاكم وأمرُكم جميعٌ على رجلٍ واحدٍ، يريدُ أنْ يَشُقَّ عَصَاكم، ويُفَرِّقَ جماعتكم؛ فاقتلُوه**». رواه مسلم(٢).

وعن نافع قال: لما خلَع أهلُ المدينةِ يزيدَ بنَ معاويةَ جَمع ابنُ عمرَ حشَمَه وولدَه، فقال: سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول: «**يُنْصَبُ لكلِّ غادرٍ لواءٌ يومَ القيامةِ**». وإنا قد بايعْنا هذا الرجلَ على بيعِ اللهِ ورسولِه، وإني لا أعلمُ غدرًا أعظمَ من أن يُبايَعَ رجلٌ على بيعِ اللهِ ورسولِه ثم يُنْصَبُ له القتالُ، وإني لا أعلمُ أحدًا منكم خلَعه ولا تابع في هذا الأمرِ إلا كانت الفيصلَ(٣) بيني وبينه. رواه البخاري(٤).

- **الخروج على الأئمة منهاج المبتدعة:**

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ، عليه رحمة الله:

«والمبتدعُ الذي يظنُّ أنه على حقٍّ مثلُ الخوارجِ والنواصبِ الذين نصبوا العداوةَ والحربَ لجماعةِ المسلمين، فابتدعوا بدعةً وكفَّروا من لم يوافقْهم عليها، فصار بذلك ضررُهم على المسلمين أعظمَ من ضررِ

---

(١) برقم (٤٨٩١).
(٢) تقدم تخريجه (ص ١١٧).
(٣) الفيصل: القطيعة التامة. اللسان (ف ص ل).
(٤) برقم (٦٦٩٤).

الظَّلَمةِ الذين يعلمون أن الظلمَ محرَّمٌ، وإن كانت عقوبةُ أحدهم في الآخرة، لأجل التأويل، قد تكون أخفَّ، لكن أمرَ النبيُّ ﷺ بقتالِهم ونهى عن قتالِ الأمراءِ الظلمةِ، وتواترت عنه بذلك الأحاديثُ الصحيحةُ(١)، فقال في الخوارج: «**يَحْقِرُ أحدُكم صلاتَه مع صلاتِهم، وقراءتَه مع قراءتِهم، وصيامَه مع صيامِهم، يقرؤون القرآنَ لا يُجاوز حناجرَهم، يَمْرُقون من الإسلامِ كما يَمْرُقُ السَّهمُ من الرَّمِيَّةِ، أينما لقِيتُمُوهم فاقتُلُوهم**»(٢).

وقال في بعضهم: «**يقتلون أهلَ الإيمانِ، ويدَعُونَ أهلَ الأوثانِ**»(٣).

وقال للأنصار: «**إنكم ستَلْقَوْنَ بعدي أَثَرَةً، فاصبروا حتى تَلْقَوني على الحَوْضِ**»(٤). أي: تلقون من يَسْتأثرُ عليكم بالمالِ ولا يُنصِفُكم. فأمرهم بالصبرِ ولم يأذن لهم في قتالهم.

وقال أيضاً: «**سيكونُ عليكم بعدي أمراءُ يأخذون منكم حقَّهم ويمنعونكم حقَّكم**». قالوا: فما تأمُرُنا يا رسولَ اللهِ؟ قال: «**أدُّوا إليهم حقَّهم، واسألوا اللهَ حقَّكم**»(٥).

وقال: «**مَن رأى مِن أميرِه شيئًا فليصبر عليه، فإنه مَن فارق الجماعةَ قِيدَ شبرٍ فقد خلَع رِبْقَةَ الإسلامِ مِن عنقِه**»(٦). وقال: «**مَن خرَج عن الطاعةِ**

---

(١) في «منهاج السنة النبوية» (٥/ ١٤٩)

(٢) أخرجه البخاري (٣١٦٦)، ومسلم (١٠٦٤/ ١٤٧) وغيرهما، من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٣) جزء من الحديث السابق.

(٤) أخرجه البخاري (٢٢٤٧)، ومسلم (١٠٦١/ ١٣٩) من حديث عبد الله بن زيد ﷺ.

(٥) أخرجه البخاري (٦٦٤٤) من حديث عبد الله بن زيد ﷺ.

(٦) تقدم تخريجه (ص ٨٤).

وفارق الجماعةَ مات مِيتَةً جاهليةً»[١]. وقال: **«خيارُ أئمَّتِكم الذين تحبُّونهم ويحبُّونكم، وتصلُّون عليهم ويصلُّون**[٢] **عليكم، وشرارُ أئمتِكم الذين تُبْغِضُونَهُمْ ويُبْغِضُونَكُمْ، وتلعنونهم ويلعنونكم»**. قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: **«لا، ما صلَّوا»**[٣].

وهذه الأحاديثُ كلُّها في الصحيحِ إلى أحاديث أمثالها.

فهذا أمرُه بقتالِ الخوارجِ، وهذا نهيُه عن قتالِ الولاةِ الظَّلمةِ، وهذا مما يُستدلُّ به على أنه ليس كلُّ ظالم باغ يجوزُ قتالُه، ومن أسباب ذلك: أن الظالمَ الذي يستأثرُ بالمالِ والولاياتِ لا يقاتَلُ في العادةِ إلا لأجلِ الدنيا؛ يقاتلُه الناسُ حتى يعطيَهم المالَ والولاياتِ، وحتى لا يظلمُهم، ولم يكن أصلُ قتالِهم ليكون الدِّين كلُّه للهِ ولتكون كلمةُ اللهِ هي العليا، ولا كان قتالُهم من جنسِ قتالِ المحاربين قطَّاع الطريقِ الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ [المائدة: ٣٣]. وقال فيهم ﷺ: **«من قُتِلَ دون مالِه فهو شهيدٌ، ومن قُتِلَ دون حرمتِه فهو شهيدٌ»**[٤]. لأن أولئك معادون لجميعِ الناسِ، وجميعُ الناسِ يعينون على قتالِهم، ولو قدر أنه ليس كذلك العداوة والحرب؛

(١) تقدم تخريجه (ص ٨٤).
(٢) يصلون: يدعون. «صحيح مسلم بشرح النووي» (٦/ ٣٢٨).
(٣) أخرجه مسلم (١٨٥٥/ ٦٥) من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه.
(٤) أخرج شطره الأول البخاري (٢٣٤٨)، و مسلم (١٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وأخرجه بتمامه الترمذي (١٤٢١) وفيه (أهله) بدلا من (حرمته). وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٣٤٦).

فليسوا ولاة أمر قادرين على الفعل والأخذ، بل هم بالقتال يريدون أن يأخذوا أموالَ الناسِ ودماءهم، فهم مبتدئون الناس بالقتال، بخلافِ ولاةِ الأمورِ؛ فإنهم لا يبتدئون بالقتال للرعية، وفَرْقٌ بين مَن تقاتلُه دفعًا وبين من تقاتلُه ابتداءً.

وبالجملةِ، العادةُ المعروفةُ أن الخروجَ على ولاةِ الأمورِ يكون لطلبِ ما في أيديهم من المالِ والإمارةِ، وهذا قتالٌ على الدنيا، ولهذا قال أبو بَرْزَةَ عن فتنةِ ابنِ الزبيرِ، وفتنةِ القرَّاءِ مع الحَجَّاجِ، وفتنة مروانَ بالشامِ: «هؤلاءِ وهؤلاءِ وهؤلاءِ إنما يقاتلون على الدنيا»[١].

وأما أهلُ البدعِ، كالخوارجِ، فهم يريدون إفسادَ دينِ الناسِ، وقتالُهم قتالٌ على الدِّينِ، والمقصودُ بقتالِهم أن تكون كلمةُ اللَّه هي العليا، ويكون الدينُ كلُّه للهِ، ولهذا أمرَ النبيُّ ﷺ بهذا ونهى عن ذاك»[٢]اهـ. وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأنعام: ١٢٩].

قال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وتأمَّل حكمتَه تعالى في أن جعَل ملوكَ العباد وأمراءهم وولاتِهم من جنسِ أعمالِهم؛ بل كأن أعمالَهم ظهرت في صورِ ولاتِهم وملوكِهم، فإنِ استقاموا استقامتْ ملوكُهم، وإن عدلوا عدَلت عليهم، وإن جاروا جارتْ ملوكُهم وولاتُهم، وإن ظهَر فيهم المكرُ والخديعةُ فولاتُهم كذلك، وإن منعوا حقوقَ اللهِ لديهم وبخِلوا بها، منعَتْ ملوكُهم وولاتُهم ما لهم عندهم من الحقِّ وبخِلوا بما عليهم،

---

(١) أخرج هذا الأثر البخاري (٦٦٩٥).

(٢) «منهاج السنة» (٥/ ١٥٢).

وإن أخذوا ممن يستضعفونه ما لا يستحقونه في معاملتِهم أخذَتْ منهم الملوكُ ما لا يستحقونه، وضرَبتْ عليهم المكوسَ والوظائفَ، وكلما يستخرجونه من الضعيفِ يستخرجه الملوكُ منهم بالقوةِ، فعمالُهم ظهرَتْ في صورِ أعمالِهم، **وليس في الحكمةِ الإلهيةِ أن يولَّى على الأشرارِ الفجارِ إلا منْ يكونُ من جنسِهم**.

ولما كانَ الصدرُ الأول خيارَ القرونِ وأبرّها كانت ولاتُهم كذلك، فلما شابوا[(١)] شابت لهم الولاةُ، فحكمةُ اللهِ تأبى أن يولّى علينا في مثلِ هذه الأزمانِ مثلُ معاويةَ وعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ، فضلاً عن مثلِ أبي بكرٍ وعمرَ؛ بل ولاتُنا على قَدْرِنا، وولاةُ مَن قبلنا على قَدْرِهم، وكلٌّ مِن الأمرين موجبُ الحكمةِ ومقتضاها، ومن له فطنةٌ إذا سافر بفكره في هذا البابِ رأى الحكمةَ الإلهيةَ سائرةً في القضاءِ والقدرِ، ظاهرةً وباطنةً فيه، كما في الخلقِ والأمرِ سواءً.

فإيّاك أن تظنّ بظنك الفاسدِ أن شيئًا من أقضيتِه وأقداره عارٍ عن الحكمةِ البالغةِ؛ بل جميعُ أقضيتِه تعالى وأقدارِه واقعةٌ على أتمّ وجوه الحكمةِ والصوابِ»[(٢)].

وقال أيضًا: «واللّه تعالى قد جَرَتْ سُنَّتُه في خلقِه بأن يحرِّمَ الطيِّباتِ شرعًا وقدرًا على من ظلَم وتعدَّى حدودَه وعصى أمرَه، وأن ييسِّر للعسرى من بخِل بما أمره به فلم يفعلْه، واستغنى عن طاعتِه باتباعِ شهواتِه وهواه، كما أنه سبحانه ييسِّرُ لليسرى من أَعطى واتَّقى

---

(١) الشَّوْبُ: الخلط. «اللسان» (ش وب).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٥٣).

وصدَّق»[١].

وعن تميمٍ الداريّ ﵁ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«الدينُ النصيحةُ»**. قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: **«للهِ، ولكتابِه، ولرسولِه، ولأئمةِ المسلمين، وعامَّتِهم»**. رواه مسلم[٢].

وعن أنس ﵁ قال: نهانا كبراؤنا من أصحابِ محمد ﷺ، قالوا: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لا تسبُّوا أمراءكم، ولا تَغشُّوهم، ولا تُبغضوهم، واتقوا اللهَ واصبروا، فإن الأمرَ قريبٌ»**. رواه ابن أبي عاصم بسند صحيح[٣].

وعن معاذ بن جبل ﵁ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«خمسٌ مَن فعَل واحدةً منهن كان ضامنًا على اللهِ: مَن عاد مريضًا، أو خرَج في جنازةٍ، أو خرَج غازيًا، أو دخَل على إمامِه يريدُ تَعْزِيرَه وتوقيرَه، أو قعَد في بيتِه فسلِم منه الناسُ»**. رواه أحمد وابن أبي عاصم[٤].

وعن زيد بن ثابت ﵁ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«ثلاثُ خصالٍ لا يَغِلُّ عليهن قلبُ مسلمٍ: إخلاصُ العملِ للهِ، والنصيحةُ لولاةِ الأمرِ، ولزومُ جماعتِهم، فإن دعوتَهم تُحيط مِن ورائهم»** رواه ابن ماجه وغيره بسند صحيح[٥].

وقوله: **«مناصحة أئمة المسلمين»**. هذا أيضًا منافٍ للغلِّ والغِشِّ، فإن

---

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ٣٣٧).

(٢) برقم (٥٥).

(٣) **إسناده جيد**: أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٠١٥)، وانظر «ظلال الجنة» (٢/ ٢١٧).

(٤) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ٢٤١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٢١)، وانظر «ظلال الجنة» (٢/ ٢٢٢).

(٥) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٢٣٠)، وأحمد (٥/ ١٨٣)، وانظر «الصحيحة» (١٨٧).

النصيحة لا تجامع الغلّ، فهي ضده، فمن نصح الأئمة والأمة فقد برء من الغلّ.

وقوله: «**ولزوم جماعتهم**». هذا أيضًا مما يطهِّرُ القلبَ من الغلِّ والغشِّ، فإن صاحبَه بلزومه لجماعة المسلمين؛ يحبُّ لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لها، ويسوؤه ما يسوؤهم، ويَسرُّه ما يسُرُّهم، وهذا بخلاف من انحاز عنهم واشتغل بالطعن عليهم والعيب والذم لهم، كفعل أهل البدع والخوارج والمعتزلة وغيرهم، فإن قلوبهم ممتلئة عليهم غلًّا وغشًّا؛ تجد أهل البدع أبعد الناس من الإخلاص وأغشَّهم للأئمة والأمة، وأشدّهم بعدًا عن جماعة المسلمين». انتهى كلامه يرحمه الله[(١)].

قال سماحة الشيخ، حفظه الله:

هذه القاعدة جيدةٌ، والإتيان بها بعد ما سبق جيد، فليس معنى قول أهل السنة والجماعة أنه يصبر على جور الولاة والفساق ليس معناه السكوت عن النصيحة، بل إن النصيحة تبلغ لهم على أيدي الناصحين الأمناء، فيما بينهم وبينهم سرًّا، تبلغ سرًّا على أيدي الناصحين الأمناء، فإن هذا واجب، النصيحة واجبة، قال ﷺ: «**الدين النصيحة**». قلنا: لمن؟ قال: «**لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم**»[(٢)].

تجب مناصحتهم بالطرق الكفيلة بالمصلحة، بأن يناصحوا سرًّا، وتبلغ لهم الأمور سرًّا، فإن عملوا بها فالحمد لله، وإن لم يعملوا بها برأت الذمة، برأت ذمة الناصح، ولا يجوز التشهير بهم في المجالس، أو على

(١) انظر: «مفتاح دار السعادة» (١/ ٧٣).

(٢) تقدم تخريجه (ص ١٢٦).

المنابر، أو مع عامة الناس، أو عند الأشرار، هذا ليس من النصيحة، هذا من الغِيبة، ومن التشهير، ومن إثارة الفتنة، ولا يجدي شيئًا، بل يجدي العكس: الشر والتحريش، ويثير أهل الشر والمنافقين، الذين يريدون التربص بالمسلمين، ويستغلون مثل هذه الأمور، وهذه ليست نصيحة، هذه غِيبة وتشهير وإثارة فتنة، فلا تسمى الأمور بغير مسمياتها، فالنصيحة هي التي تبلغ للمنصوح سرًّا، فاللَّه جل وعلا قال لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [طه:٤٧]. فأمرهما أن يأتياه، فهل أمرهما أن يقفا في الأسواق، أو في مجمعات الناس، وينكرون على فرعون؟ لا، بل قال: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه:٤٤]. فقولا له، ما قال أمام الناس، أو في الشوارع، أو في مجمعات الناس، بل قال: ﴿فَقُولَا لَهُۥ﴾. يعني: مباشرة، وهكذا فعل موسى وهارون عليهما السلام، وهذا دين الأنبياء، وهذه هي النصيحة.

قال المصنف، حفظه الله: عن أنس ﷺ، قال: نهانا كبراؤنا من أصحاب محمد ﷺ قالوا: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لا تسبُّوا أمراءكم، ولا تغشُّوهم، ولا تبغضوهم، واتقوا اللَّه واصبروا، فإن الأمر قريب»**[1].

قال سماحة الشيخ، حفظه الله: هذا الأثر جيد، **«لا تسبوا أمراءكم»**، السب لا يأتي بخير، وهو ليس بنصيحة، سبٌّ وغِيبة وإثارة وشر، والذي يسميه نصيحة ظالم، ما هو بنصيحة.

قال المصنف، حفظه الله: وعن معاذ بن جبل ﷺ، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«خمسٌ من فعل واحدةً منهن كان ضامنًا على اللهِ: من عاد**

---

(١) تقدم تخريجه (ص ١١٧).

مريضًا، أو خرج في جنازةٍ، أو خرج غازيًا، أو دخَل على إمامِه يريدُ تعزِيرَه وتوقِيرَه، أو قعَد في بيتِه فسَلِمَ منه الناسُ»(١).

قال سماحة الشيخ، حفظه الله: التعزير المراد به: التوقير، كما قال تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح:٩]. يعني: الرسول ﷺ، تعزروه، يعني: توقروه، تحترموه، كما يطلق التعزير - أيضًا - على التأديب، فهو من الأضداد، يسمونه الأضداد، لأن في اللغة العربية ألفاظًا تستعمل لمعنيين متضادين، فيسمونها الأضداد.

قال المصنف، حفظه الله: وعن زيد بن ثابت ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«ثلاثُ خصالٍ لا يَغِلُّ عليهنَّ قلبُ مسلم: إخلاصُ العملِ للهِ، والنصيحةُ لولاةِ الأمرِ، ولزومُ جماعتِهم، فإن دعوتَهم تحيطُ مِن ورائهم»**(٢).

قال سماحة الشيخ، حفظه الله: هذا مثل الحديث الذي تقدم: **«إن اللهَ يَرْضَى لكم ثلاثًا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تُناصِحُوا مَن ولَّاه اللهُ أمرَكم، وأن تَعتَصِموا بحبلِ اللهِ جميعًا ولا تَفرَّقوا»**(٣).

قال المصنف حفظه الله: قال ابن القيم في شرح هذا الحديث: «وقوله: **«مناصحة أئمة المسلمين»**. هذا أيضًا منافٍ للغل والغش، فإن النصيحة لا تجامع الغل، فهي ضده، فمن نصح الأئمة والأمة فقد برئ من الغل، وقوله: **«ولزوم جماعتهم»**. هذا أيضًا مما يطهر القلب من الغِلِّ والغش، فإن صاحبه بلزومه لجماعة المسلمين يحبُّ لهم ما يحبُّ لنفسه، ويكره لهم ما يكره لها، ويسوؤه ما يسوؤهم، ويسرُّه ما يسرُّهم،

---

(١)، (٢) تقدم تخريجه (ص ١١٧).
(٣) تقدم تخريجه (ص ٧٩).

وهذا بخلاف من انحاز عنهم واشتغل بالطعن عليهم، والعيب والذم لهم، كفعل أهل البدع والخوارج والمعتزلة وغيرهم، فإن قلوبهم ممتلئة غلًّا وغشًّا، ولهذا تجد أهل البدع أبعد الناس من الإخلاص، وأغشهم للأئمة والأمة، وأشدهم بعدًا عن جماعة المسلمين» انتهى كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال سماحة الشيخ حفظه الله:

لا ينبغي أن يكون همُّ الإنسان الانتقاد والتماس العثرات وإشهارها ونشرها، هذا شأن المنافقين، هم الذين يلتمسون العثرات والانتقادات ويشهرونها، ويخفون الحسنات والمحاسن، أمّا أهل الإيمان فإنهم على العكس: يسترون العثرات، وينشرون الحسنات والمحاسن؛ جمعًا للكلمة وإذهابًا للغل والحقد على المسلمين، فالذي ليس همه إلا الانتقاد والتماس العثرات على ولي الأمر، أو على العلماء، أو على أفراد المسلمين، هذه صفة أهل النفاق، وهذا يريد الشرَّ؛ لأنه يفرح بالعثرات، ويفرح بالخطأ، ويجعله مجالًا لحديثه، هذا من أهل الشرِّ، والعياذ بالله، أمَّا الإنسان الذي يستر على المسلم ويناصحه، ما هو معنى أن يستر عليه؟ يسكت؟ لا، بل يناصحه، يناصح وليَّ الأمر، يناصح أخاه المسلم، يناصح من رأى عليه خطأ، ويبين له، فإن لم يناصحه فقد غشه، إذا لم تناصح أخاك فقد غششته، إذا سكتَّ وأنت تراه على خطأ فهذا غش وليس بنصيحة، النصيحة أن تُسر له، وتبين له فيما بينك وبينه، فإن قبل فالحمد الله، وإن لم يقبل فقد أديت الواجب وأبرأت ذمتك، والغالب أنه يقبل إذا أتيته بطريقة محببة، طريقة ليس فيها تجريح، وأبديت له المحبة والعطف، فالغالب أنه يقبل، ولكن إذا ناصبته العداوة وشهَّرت به وذكرت أخطاءه أمام الناس فإنه يزيد حقدًا عليك،

وبغضًا لك، ويسبب الفتنة بين الناس، والتباغض بينهم، أو بين الناس وولي أمرهم، فلا خير في إشاعة الانتقادات والعثرات، وتتبع الزلات، هذا أيضًا يفرح الأعداء، ويخدمهم؛ لأنهم يريدون إفساد المسلمين، وإفساد ما بينهم، فإذا جاء واحد يخدمهم من داخل المسلمين فإنهم يفرحون بهذا ويستريحون، فلا يجوز مثل هذه الأمور، وليس معنى هذا أننا نرضى بالمعاصي، أو المنكرات، لا، لكن معناه أننا نناصح بطريقة تحصل بها المصلحة، وتندفع بها المفسدة.

* * *

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

١٤

القاعدة الرابعة عشرة

أنهم يعتقدون أن اتِّباع الأهواء في الديانات - البدع - أعظمُ من اتِّباع الأهواء في الشهوات

فإن الأول حال الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين، كما قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم﴾ الآية، إلى قوله: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الروم: ٢٨، ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ﴾ الآية [الأنعام: ١١٩].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة: ١٢٠].

وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥].

وقال: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٩].

● **تعريف مصطلح أهل الأهواء:**

«ولهذا كان من خرج عن مُوْجَبِ الكتاب والسنة من المنسوبين إلى العلماء والعبّاد يُجعل من أهل الأهواء، كما كان السلف يسمُّونهم أهلَ الأهواء، وذلك أن كلَّ من لم يتَّبعِ العلمَ فقد اتبع هواه، والعلم بالدين لا يكون إلا بهدى اللَّه الذي بعث به رسوله ﷺ، ولهذا قال اللَّه تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١١٩]، وقال في موضع آخر: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

وقال النبي ﷺ: «**ثلاثٌ منجيات: خشيةُ اللهِ في السرِّ والعلانية، والقَصْدُ في الفقر والغنى، وكلمة الحق في الغضب والرضا، وثلاثٌ مهلكات: شحٌّ مطاعٌ، وهوىً مُتَّبَعٌ، وإعجابُ المرءِ بنفسه**»[(١)]. والحب والبغض يتبعه ذوقٌ، عند وجود المحبوب والمُبْغَضِ، ووَجْدٌ وإرادةٌ وغير ذلك، فمن اتَّبع ذلك بغير أمر اللَّه ورسوله فهو ممن اتَّبع هواه بغير هدى من الله؛ بل قد يتمادى به الأمر إلى أن يتخذ إلهه هواه.

فالواجب على العبد أن ينظر في نفس حبِّه وبغضِه ومقدار حبه وبغضه؛ هل هو موافق لأمر اللَّه ورسوله، وهو هدى اللَّه الذي أنزله على رسوله ﷺ، بحيث يكون مأمورًا بذلك الحب والبغض، لا يكون

---

(١) حسن: أخرجه البزار (٨٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٤٣) وغيرهما، وانظر: «الصحيحة» (١٨٠٢).

متقدّمًا فيه بين يدي اللّه ورسوله، فإنه قد قال تعالى: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١][١].

وفي مناظرة لشيخ الإسلام مع بعض أهل البدع، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فقال لي: البدعة مثل الزنا. وروى حديثًا في ذم الزنا، فقلت: هذا حديث موضوع علّى رسول اللّه صلى اللّه تعالى عليه وسلم، والزنا معصية، والبدعة شرٌّ من المعصية، كما قال سفيان الثورى: «البدعةُ أحبُّ إلى إبليسَ من المعصيةِ، فإن المعصية يُتَابُ منها، والبدعة لا يُتَابُ منها». وكان قد قال بعضهم: نحن نتوِّب الناس. فقلت: مماذا تتوِّبونهم؟ قال: من قَطْعِ الطريقِ والسرقةِ ونحو ذلك. فقلت: حالهم قبل تتويبكم خير من حالهم بعد تتويبكم، فإنهم كانوا فُسَّاقًا، يعتقدون تحريم ما هم عليه، ويرجون رحمة الله، ويتوبون إليه، أو ينوون التوبة، فجعلتموهم بتتويبكم ضالين مشركين خارجين عن شريعة الإسلام، يحبُّون ما يبغضه الله، ويبغضون ما يحبه الله.

وبيَّنْتُ أن هذه البدع التى هم وغيرهم عليها شرٌّ من المعاصى.

قلت - مخاطبًا للأمير والحاضرين -: أما المعاصى فمثل ما روى البخارى في «صحيحه» عن عمر بن الخطاب: «أنَّ رجلاً كان يُدْعَى حِمارًا، وكان يشرب الخمر، وكان يُضحِكُ النبىَّ ﷺ، وكان كلَّما أُتي به النبيُّ ﷺ جلده الحدَّ، فلعنه رجلٌ مرة، وقال: لعنه الله، ما أكثر ما يؤتى به إلى النبى ﷺ! فقال النبيّ ﷺ: «**لا تَلْعَنْه فإنَّه يُحبُّ اللهَ ورسولَه**»[٢].

قلت: فهذا رجل كثير الشرب للخمر، ومع هذا فلما كان صحيح

---

(١) انظر: «الاستقامة» لشيخ الإسلام (٢/ ٢٢٣).

(٢) أخرجه البخاريُّ (٦٣٩٨).

الاعتقاد، يحبُّ اللَّه ورسوله، شهد له النبيُّ صلى اللَّه تعالى عليه وسلم بذلك، ونهى عن لعنه.

وأما المبتدع؛ فمثل ما أخرجا في «الصحيحين» عن عليّ بن أبى طالب، وأبي سعيد الخدرى وغيرهما، دخل حديث بعضهم في بعض: «أن النبى صلى اللَّه تعالى عليه وسلم كان يَقْسِمُ، فجاءه رجل ناتِئُ[(١)] الجبين، كثُّ اللحية، محلوق الرأس، بين عينيه أثر السجود، وقال ما قال! فقال النبي صلى اللَّه تعالى عليه وسلم: «**يخرُجُ مِن ضِئْضِئِ[(٢)] هذا قومٌ يَحْقِرُ أحدُكم صلاتَه مع صلاتِهم، وصيامَه مع صيامِهم، وقراءتَه مع قراءتِهم، يَقرءون القرآنَ لا يُجاوزُ حناجرَهم، يَمْرُقُون من الإسلامِ كما يَمْرُقُ السهمُ من الرَّمِيَّةِ، لئن أدركتُهم لأقتُلَنَّهم قَتْلَ عادٍ**». وفي رواية: «**لو يعلمُ الذين يقاتلونهم ماذا لهم على لسانِ محمدٍ ﷺ لَنَكَلُوا عن العملِ**»[(٣)]. وفي رواية: «**شرُّ قتلى تحت أدِيمِ السماءِ، خيرُ قتلى مَن قتلوه**»[(٤)].

قلت: فهؤلاء مع كثرة صلاتهم وصيامهم وقراءتهم وما هم عليه من العبادة والزهادة، أمر النبي صلى اللَّه تعالى عليه وسلم بقتْلِهم، وقتَلَهم عليُّ بن أبى طالب ومن معه من أصحاب النبى صلى اللَّه تعالى عليه وسلم، وذلك لخروجهم عن سنة النبى وشريعته»[(٥)].

قلت: وفيه دليل لما اشتهر عن السلف: أن اللَّه لا يقبل من المبتدع

---

(١) ناتئ الجبين، من النتوء، أي: أنه يرتفع على ما حوله. فتح الباري (٨/ ٦٨).

(٢) الضئضئ: النسل والعقب. فتح الباري (٨/ ٦٩).

(٣) أخرجه مسلم (١٠٦٦/ ١٥٦) بنحوه.

(٤) راجع تخريج هذه الروايات في صفحة (٣٢).

(٥) انظر: «مجموع الفتاوى» (١١/ ٤٧٢).

عملاً، وأن الاتباع متعلق بالألوهيّة، كما تقدم في القاعدتين الأولين.

واعلم «أن الهوى ما خالط شيئًا إلا أفسده، فإن وقع في العلم أخرجه إلى البدعة والضلالة، وصار صاحبه من جملة أهل الأهواء، وإن وقع في الزهد أخرج صاحبه إلى الرياء ومخالفة السنة، وإن وقع في الحكم أخرج صاحبه إلى الظلم وصده عن الحق، وإن وقع في القسمة خرجت عن قسمة العدل إلى قسمة الجَوْر، وإن وقع في الولاية والعزل أخرج صاحبه إلى خيانة اللَّه والمسلمين؛ حيث يولي بهواه ويعزل بهواه، وإن وقع في العبادة خرجت عن أن تكون طاعة وقربة، فما قارن شيئًا إلا أفسده»(١)

قال سماحة الشيخ، حفظه الله:

إن الغلو داء خطير، وشر مستطير له آثار قبيحة، منها:

١- إنه يجر إلى الشرك بالله، وذلك كالغُلُوِّ في الأشخاص فإنه يفضي إلى عبادتهم من دون الله، كما حصل لقوم نوح لمَّا غَلَوا في الصالحين، وكما حصل للنصاري لمَّا غلَوا في المسيح، وكما حصل لعباد القبور من هذه الأمة لمَّا غَلَوا في الأولياء والصالحين فأصبحت قبورهم أوثانًا تعبد من دون الله في كثير من البلاد، حتى آل الأمر إلى أن من أنكر ذلك يعد من الغلاة الذين يكفرون المسلمين!

٢- إنه يحمل على تكفير المسلمين وسفك دمائهم، كما حصل للخوارج من هذه الأمة حتى قتلوا خيارها كعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وكثير من صحابة رسول الله ﷺ.

---

(١) «روضة المحبين» (١/ ٤٧٤).

٣- إنه يحمل على الخروج على ولي أمر المسلمين وشق عصا الطاعة وتفريق كلمة المسلمين، كما حصل ويحصل من الخوارج على مدار التاريخ، وقد أمر النبي ﷺ بقتل من يفعل ذلك في قوله: «**مَنْ جَاءَكم وأمرُكُم جميعٌ على واحدٍ منكم يُريدُ تفريقَ جماعتِكم فاقتلوه كائنًا مَن كان**»[1].

٤- إنه يزهِّد في السنة والوسطية والاعتدال - باعتبار ذلك تساهلاً في الدين والعبادة - كما في قصة الثلاثة الذين تَقَالُّوا عملَ النبيِّ ﷺ[2].

٥- إنَّه يحمل على التقنيط من رحمة الله، كما حصل من الذي قال: «والله لا يغفر الله لفلان!»[3].

٦- إنه يسبب الانقطاع عن العمل الصالح، وقد يحمل على الزيغ والانسلاخ من الدين، فإن النفس تضعف مع شدة العمل، وقد تعجز أو تمل من العمل فتتركه؛ ولهذا قال ﷺ عن المتشدد في الدين - فيما روي عنه -: «**فإن المُنبَتَّ**[4] **لا ظهرًا أبقى ولا أرضًا قطع**»[5] وقد رأينا من هذه النماذج في وقتنا الحاضر.

---

(١) تقدم تخريجه (ص ١٠٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٧٦) من حديث أنس ﷺ.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٢١ / ١٣٧) من حديث جندب ﷺ.

(٤) انبتَّ الرجل في السير: جهد دابته حتى أعيت، وهو يقال لمن يبالغ في طلب الشيء ويُفْرِطُ حتى ربما يُفَوِّته على نفسه. الوسيط (ب ت ت).

(٥) ضعيف: أخرجه البيهقي في السنن (٢/ ٣٧٨). «ضعيف الجامع» (٢٠٢٢)، وفي الباب ما يشهد له عند البخاري (٣٩) من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إن الدين يسر ولن يُشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه**» الحديث. وقوله: «يشاد»، أي: يُقاوِيه ويُقاومُه ويُكلِّف نفسه من العبادة فيه فوق طاقته. «النهاية» (٢/ ١١١٩).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

١٥

القاعدة الخامسة عشرة

أن دعوتهم ظاهرة للناس جميعًا، لا سِرِّيَّة فيها ولا تخصيص

لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨]. وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨].

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أوصني. قال: «**اعبدِ اللهَ ولا تشركْ به شيئًا، وأقِمِ الصلاةَ، وآتِ الزكاةَ، وصُمْ رمضانَ، وحُجَّ البيتَ واعتمرْ، واسمَعْ وأطِعْ، وعليك بالعلانيةِ، وإيَّاكَ والسِّرَّ**». رواه ابن أبي عاصم في كتاب «السنة» بسند صحيح(١).

وعن ثوبانَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا تزالُ طائفةٌ مِن أُمَّتِي ظاهرين على الحقِّ، لا يضرُّهم مَن خذَلهم حتى يأتيَ أمرُ اللهِ وهم كذلك**». رواه مسلم(٢).

(١) إسناده جيد: أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٧٠)، وانظر «ظلال الجنة» (٢/ ٢٥٥).

(٢) برقم (٥٠٥٩).

وقال **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا رأيتَ قومًا يتناجون في دينهم دون العامة، فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة». رواه الدارمي[١].

وقول اللَّه تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ الآية [الكهف:٢٨].

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**هل تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفائكم**». رواه البخاري[٢].

قال الإمام البخاري: «باب كَيف يُقْبَضُ العلمُ، وكتب عمرُ بن عبد العزيزِ إلى أبي بكرِ بن حزمٍ: انظر ما كان من حديث رسول اللَّهِ ﷺ فَاكتُبهُ، فإنِّي خِفْتُ دُرُوسَ العِلمِ[٣] وذهابَ العُلماءِ، ولا تَقْبَلْ إلا حديثَ النبي ﷺ، ولتُفْشُوا العلم ولَتَجلسوا حتى يُعَلَّمَ من لاَ يَعْلَمُ، فإن العلمَ لا يَهلِكُ حتى يكونَ سِرًّا»[٤].

قال سماحة الشيخ، حفظه الله:

التعليم - تعليم العلوم الشرعية، وبيان الدين للناس - يجب أن يكون علانية في المساجد، في مجامع الناس، يُشرح لهم الدين، وتُبين لهم الأحكام الشرعية؛ لينتفع الجميع، وينتشر الخير، هذا معنى دعوتهم عامة، الدعوة: تعليم الناس الخير، تعليمهم أمور الدين، وأمور العبادة، تعليمهم المعاملات الصحيحة، والمعاملات الفاسدة، تعليمهم

(١) في «سننه» برقم (٣٠٧).

(٢) برقم (٢٧٣٩)، وأخرجه أحمد (٥/١٩٨) وغيره، من حديث أبي الدرداء ﷺ بلفظ: «ابغوني الضعفاء، فإنما ترزقون وتُنصرون بضعفائكم».

(٣) دروس العلم، أي: ذهابه. مقدمة فتح الباري (١/١١٦).

(٤) «صحيح البخاري» (١/٤٩).

الأخلاق الفاضلة، ونهيهم عن الأخلاق السيئة، هذه الأمور يجب أن تكون عامة، يعم النفع بها، تكون علانية في المساجد، في تجمعات الناس؛ لأن فيها مصلحة، أمَّا إذا خصت في ناس فقط معينين، كأن يقولوا: نخرج برحلة، بمخيم، نعتزل عن الناس لأجل الدعوة. فنقول لهم: هذا ما يجوز، ما دام أنكم تأمرون بالخير، وتعلمون الناس الخير، فلماذا تعتزلون وتحرمون الناس الخير، تحرمون آباءكم وإخوانكم وجيرانكم الخير؟ ما دام عندكم خير اجعلوه في المسجد، عند الناس، أو أنهم يجتمعون في غرفة أو مكان، يقولون: نتعلم. هذا ما يجوز، هذه سرية، ما دام أنه خير وليس فيه ضرر انشروه على الناس، لا تختفون به وتسرونه، هذا أنزله اللَّه للجميع، فلماذا تختصون به أنتم دون إخوانكم وهم بحاجة إليه؟! هذا من ناحية. الناحية الثانية: أنكم إذا اعتزلتم في مكان ما فتحتم بابًا لسوء الظنِّ بكم، وتخويف الناس منكم، يقولون: ما اجتمعوا إلا لشرٍّ!. أما إذا كان شيئًا معلَنًا به في المسجد، أمام الناس، فهذا يرفع التهمة، واللَّه جل وعلا نهى عن النجوى؛ لأن النجوى تحزن المؤمنين، ولهذا يقول ﷺ: «**لا يتناجى اثنان دون الثالث**»(١). لئلا يصير عنده شك ويتوهم أنهم ما اجتمعوا إلا لسوء رأيهما فيه،أو لدَسِيسَةٍ غائلةٍ له، لكن عندما يُحكى في المجلس ويستمع الجميع تزول الريبة، فإن كان هذا الأمر مصلحة عمت الجميع، وإن كان خطأ نهاه الحاضرون، فالاجتماعات السرية في أمور الخير وأمور الدعوة

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٣٠)، ومسلم (٢١٨٣/ ٣٦) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ولفظه: «**إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه**».

منهي عنها في الإسلام، لا تجوز، فهناك فرق بين النصيحة المختصة بشخص وبين تعليم الناس الخير، ونشر الخير، وتعليم الناس الأحكام الشرعية، هذا علانية، يجب أن يكون علانية لا سرًّا، وأما أمر النصيحة والأمور الخاصة بالشخص فإنها تستر.

* * *

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

١٦

القاعدة السادسة عشرة

أنهم يعتقدون أن التمكينَ في الأرضِ مِنْحَةٌ مِنَ اللَّه سبحانه وتعالى، يمنحها لمن قام بما أوجب اللَّه عليه من العلم النافع والعمل الصالح

- **التمكين في الأرض وسيلة لا غاية:**

لقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥].

فاشترط للتمكين والأمن تحقيق التوحيد وموافقة شرعه، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الحج: ٤١].

فالخلافة الراشدة لا يمكن وقوعها في المسلمين إلا بمنهج الخلافة الراشدة الأولى، القائم على المنهج النبوي، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«تكونُ النبوةُ فيكم ما شاء اللهُ أن تكون، ثم يرفَعُها اللهُ إذا شاء أن يرفَعَها، ثم تكونُ خلافةٌ على منهاجِ النبوةِ، فتكون ما شاء اللَّهُ أن تكون، ثم يرفَعُها اللهُ إذا شاء أن يرفَعَها، ثم تكون مُلكًا عاضًا، فيكون ما شاء اللَّهُ أن يكون، ثم يرفَعُها اللهُ إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا جبريًا، فيكون ما شاء اللَّه أن يكون، ثم يرفَعُها اللهُ إذا شاء أن يرفَعَها، ثم**

تكون خلافةً على منهاجِ النبوةِ» ثم سكت. رواه أحمد[١].

قال سماحة الشيخ، حفظه الله:

هذه القاعدة معناها: أن التمكين في الأرض إنما يكون بالعلم النافع والعمل الصالح، وهذا مأخوذ من قول الله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

وفي قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ﴾ [النور: ٥٥].

أسباب التمكين في الأرض:

الإيمان والعمل الصالح، والإيمان يتضمن العلم، لأنه لا يمكن الإيمان الصحيح إلا بعلم، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾. الإيمان والعمل الصالح، وعبادة اللَّه لا شريك له: ﴿يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ﴾. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، هذه أسباب التمكين في الأرض، فيجب على المسلمين أن يحققوا هذه الأمور حتى يتحقق لهم وعْدُ اللَّه ﷻ، فإذا نقصوا شيئًا من هذه الأمور نقص التمكين، أو زال.

وتعاقب الأدوار التي ذكرها رسول الله ﷺ في هذا الحديث: خلافة، ثم ملك، ثم خلافة، ثم كذا، تعاقب هذه الأدوار لتغير أحوال الناس، فإذا صلحوا وحققوا هذه الأمور تحقق لهم الخير والأمن

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٣)، انظر «الصحيحة» (٥).

والاستقرار، والتمكين في الأرض، وإذا فقدوا هذه الأمور فقدوا التمكين نهائيًا، وإذا نقصوا هذه الأمور نقص تمكينهم في الأرض؛ لأن الجزاء من جنس العمل، وإذا وجد السبب وجد المسبَّب، وإذا فقد السبب فقد المسبَّب، أو إذا نقص السبب نقص المسبَّب، هذه حكمة اللَّه سبحانه وتعالى.

* * *

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

١٧

القاعدة السابعة عشرة

أنهم يأمرون بالمعروفِ وَينْهَون عن المنكرِ بالعلمِ والرفقِ والصبرِ، بقصدِ الإصلاحِ

لقول اللّه تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**مَن رأى منكم منكرًا فليُغَيِّرْه بيدِه، فإن لم يَستطِعْ فبلسانِه، فإن لم يَستطِعْ فبقلبِه؛ وذلك أضعفُ الإيمانِ**». رواه مسلم(١).

وعن أبي بكر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إن الناسَ إذا رأَوا المنكرَ ولا يغيرونه أوشك أن يعمَّهم اللهُ بعقابِه**». رواه أحمد(٢).

وقول اللّه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ١١]. وقوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ [النحل: ١١٦].

وعن عبد اللّه بن المغفل رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إن اللّهَ تعالى رفيقٌ**

---

(١) برقم (٧٨٤٩).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٢، ٥، ٩)، وانظر «الصحيحة» (١٥٦٤).

يحبُّ الرفقَ، ويُعطي عليه ما لا يُعطي على العنفِ». رواه أبو داود(١).

وقول اللَّه تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

وقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [الأعراف: ١٣٧]. وقوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الروم: ٦٠].

وقوله تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [هود: ٨٨]. وقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ﴾ [النساء: ٧٧].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟﴾ [المائدة: ٨].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فيُقتَنَعُ بالخيرِ اليسيرِ إذا لم يحصلِ الكثيرُ، ويُدرأُ الشرُّ الكبيرُ بالشرِّ اليسيرِ، واللهُ تعالى بعَث الرسلَ بتحصيلِ المصالحِ وتكميلِها، وتعطيلِ المفاسدِ وتقليلِها، والنبيُّ ﷺ دعا الخلقَ بغايةِ الإمكان»(٢).

- **صفات الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر:**

وقال: «والقيام بالواجبات - من الدعوة الواجبة وغيرها - يحتاج إلى شروط يقام بها، ينبغي لمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، أن يكون عالمًا بما يأمر به عالمًا بما ينهى عنه، رفيقًا فيما يأمر به رفيقًا فيما ينهى

(١) برقم (٤٨٠٧)، ورواه البخاري (٦٥٢٨)، ومسلم (٢٥٩٣/ ٧٧) من حديث أم المؤمنين عائشة ﵂.

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٩٦).

عنه، حليمًا فيما يأمر به حليمًا فيما ينهى عنه، فالعلم قبل الأمر، والرفق عند الأمر، والحلم بعد الأمر، فإن لم يكن عالمًا لم يكن له أن يَقْفُ ما ليس له به علم، وإن كان عالمًا ولم يكن رفيقًا كان كالطبيب الذي لا رفق فيه فيغلظ على المريض، فلا يقبل منه، وكالمؤدب الغليظ الذي لا يقبل منه الولد، وقد قال تعالى لموسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤]. ثم إذا أمر أو نهى؛ فلا بد أن يؤذى في العادة فعليه أن يصبر ويحلُم، كما قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

وقد أمر اللَّه نبيه بالصبر على أذى المشركين في غير موضع، وهو إمام الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، فإن الإنسان عليه أولًا أن يكون أمره لله، وقصده طاعة اللَّه فيما أمر به، وهو يحب صلاح المأمور، وإن فعل ذلك لطلب الرياسة في نفسه ولطائفته وتنقيص غيره، كان ذلك حمية لا يقبله الله، وكذلك إذا فعل ذلك لطلب السمعة والرياء، كان عمله حابطًا، ثم إذا رد عليه ذلك أو أوذي أو نسب إلى أنه مخطئ وغرضه فاسد، طلبت نفسه الانتصار لنفسه وأتاه الشيطان، فكان مبدأ عمله لله ثم صار له هوىً يطلب به أن ينتصر على من آذاه، وربما اعتدى على ذلك المؤذي، وهكذا يصيب أصحاب المقالات المختلفة إذا كان كلٌّ منهم يعتقد أن الحقَّ معه وأنه على السُّنة، فإن أكثرهم قد صار لهم في ذلك هوىً أن ينتصر جاهُه أو رياستُه وما نُسب إليهم، لا يقصدون أن تكون كلمة اللَّه هي العليا، وأن يكون الدين كله لله؛ بل يغضبون على من خالفهم، وإن كان مجتهدًا معذورًا، لا يغضب اللَّه عليه، ويرضون عمن كان يوافقهم وإن كان جاهلًا سيئ القصد، ليس له

علم ولا حسن قصدٍ، فيفضي هذا إلى أن يحمَدوا من لم يحمَدْه اللهُ ورسولُه، ويذمُّوا من لم يذمَّه اللهُ ورسولُه، وتصير موالاتهم ومعاداتهم على أهواء أنفسهم لا على دين اللَّه ورسوله، وهذا حال الكفار الذين لا يطلبون إلا أهواءهم، ويقولون: هذا صديقنا، وهذا عدونا! لا ينظرون إلى موالاة اللَّه ورسوله، ومعاداة اللَّه ورسوله، ومن هنا تنشأ الفتن بين الناس، قال اللَّه تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٣٩]. فإن لم يكن الدين كله لله كانت فتنة.

وأصل الدين أن يكون الحب لله والبغض لله، والموالاة لله والمعاداة لله، والعبادة لله والاستعانة بالله، والخوف من اللَّه والرجاء بالله، والإعطاء لله والمنع لله، وهذا إنما يكون بمتابعة رسول اللَّه الذي أمرُه أمرُ اللهِ، ونهيُه نهيُ اللهِ، ومعاداتُه معاداةُ الله، وطاعتُه طاعةُ اللهِ، ومعصيتُه معصيةُ اللهِ.

وصاحب الهوى يُعميه الهوى ويصمُّه، فلا يستحضر ما لله ورسوله في ذلك ولا يطلبه، ولا يرضى لرضى اللَّه ورسوله، ولايغضب لغضب اللَّه ورسوله؛ بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه، ويكون مع ذلك معه شُبهة دين: أن ما يرضى له ويغضب له هو السنة وهو الحق وهو الدين، فإذا قُدِّرَ أن الذي معه هو الحق المحض دين الإسلام، ولم يكن قصدُه أن يكون الدينُ كلُّه للهِ، أو أن تكون كلمةُ اللهِ هي العليا؛ بل قَصَد الحميةَ لنفسه وطائفتِه، أو الرياء، أو أن يُعظَّمَ أو يُثْنَى عليه، أو فعل ذلك شجاعةً وطبعًا، أو لغرضٍ من الدنيا - لم يكن لله ولم يكن مجاهدًا في سبيل الله، فكيف إذا كان الذي يدَّعي الحق والسنة هو كنظيره معه حق وباطل وسُنَّة

وبدعة، ومع خصمه حق وباطل وسنة وبدعة! وهذا حال المختلفين الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شيعًا، وكفَّر بعضهم بعضًا وفسَّق بعضهم بعضًا، ولهذا قال تعالى فيهم: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾» [البينة: ٤، ٥][(١)].

والناس هنا ثلاثة أقسام:

قوم لا يقومون إلا في أهواء نفوسهم، فلا يَرضَون إلا بما يُعطَونه ولا يغضبون إلا لما يُحَرمونه، فإذا أعطي أحدهم ما يشتهيه من الشهوات الحلال أو الحرام؛ زال غضبه وحصل رضاه، وصار الأمر الذي كان عنده منكرًا، ينهى عنه ويعاقب عليه، ويذم صاحبه ويغضب عليه - مرضيًا عنه، وصار فاعلاً له وشريكًا فيه، ومعاونًا عليه ومعاديًا لمن ينهى عنه وينكر عليه.

وهذا غالبٌ في بني آدم: يرى الإنسانُ ويسمع من ذلك ما لا يحصيه إلا الله، وسببه: أن الإنسان ظلوم جهول، فلذلك لا يعدل؛ بل ربما كان ظالمًا في الحالين، يرى قومًا ينكرون على المتولي ظلمَه لرعيته واعتداءه عليهم، فيَرضَى أولئك المنكرون ببعض الشيء من منصب أو مال، فينقلبون أعوانًا له، وأحسن أحوالهم أن يسكتوا عن الإنكار عليه.

وكذلك تراهم ينكرون على من يشرب الخمر ويزني ويسمع الملاهي حتى يُدخِلوا أحدَهم معهم في ذلك، أو يرضوه ببعض ذلك، فتراه حينئذ قد صار عونًا لهم.

---

(١) «منهاج السنة النبوية» (٥/ ٢٥٦).

وهؤلاء قد يعودون بإنكارهم إلى أقبح من الحال التي كانوا عليها، وقد يعودون إلى ما هو دون ذلك أو نظيره.

وقوم يقومون قومة ديانة صحيحة يكونون في ذلك مخلصين لله مصلحين فيما عملوه، ويستقيم لهم ذلك حتى يصبروا على ما أوذوا، فهؤلاء هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وهم من خير أمة أُخْرِجَتْ للناس، يأمرون بالمعروف ويَنْهَوْنَ عن المنكر ويؤمنون بالله.

وقوم يجتمع فيهم هذا وهذا وهم غالب المؤمنين، فمن فيه دين وله شهوة تجتمع في قلوبهم إرادة الطاعة وإرادة المعصية، وربما غلب هذا تارة وهذا تارة.

وهذه القسمة الثلاثية، كما قيل: الأنفس ثلاث: أمارة، ومطمئنة، ولوامة. فالأولون هم أهل الأنفس الأمَّارة التي تأمرهم بالسوء، والأوسطون هم أهل النفوس المطمئنة التي قيل فيها: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر:٢٧-٣٠]. والآخرون هم أهل النفوس اللوَّامة التي تفعل الذنب ثم تلوم عليه، وتتلون تارة كذا وتارة كذا، أو تخلط عملاً صالحًا وآخر سيئًا، وهؤلاء يُرْجَى أن يتوب عليهم إذا اعترفوا بذنوبهم، كما قال اللّه تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [التوبة:١٠٦]»[١].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإذا كان الكفر والفسوق والعصيان سبب الشر والعدوان، فقد يُذنب الرجلُ أو الطائفةُ ويسكتُ آخرون عن الأمر

---

(١) «الاستقامة» (٢/ ٢٤٩).

والنهي، فيكون ذلك من ذنوبهم، وينكر عليهم آخرون إنكارًا منهيًا عنه، فيكون ذلك من ذنوبهم، فيحصل التفرُّقُ والاختلافُ والشرُّ، وهذا من أعظم الفتن والشرور قديمًا وحديثًا؛ إذ الإنسان ظلوم جهول، والظلم والجهلُ أنواعٌ، فيكون ظلمُ الأول وجهلُه من نوعٍ، وظلمُ كلٍّ من الثاني والثالث وجهلِهما من نوعٍ آخر وآخر، ومَن تدبَّر الفتنَ الواقعة رأى سببَها ذلك، ورأى أن ما وَقَع بين أمراءِ الأمة وعلمائها ومَنْ دخل في ذلك من ملوكها ومشايخها ومن تبعهم من العامة- من الفتنِ هذا أصلُها»[١].

قال سماحة الشيخ، حفظه الله:

وهذه القاعدة من أصول أهل السنة والجماعة، وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمراد بالمعروف: كل طاعة. والمراد بالمنكر: كل معصية. كل طاعة مشروعة فهي معروف؛ لأن العقول تعرفها، والفطر تقبلها، وأما المنكر فهو كل ما نهى اللَّه عنه، كل معصية؛ لأن الفطر والعقول تنكرها ولا تقبلها، والمراد العقول السليمة والفطر السليمة، لا الفطر المنحرفة، أو العقول المنحرفة، وإلا فقد يكون هناك فطر تقبل الشر، وعقول تقبل الشر، لكن نقول هذه منحرفة ليست على أصلها ومغيَّرة، هذا هو المعروف الممكن، وقد أمر اللَّه بالمعروف، ونهى عن المنكر، ووصف المؤمنين بذلك، ووصف الرسول ﷺ أنه يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]. فهم يأمرون بكل طاعة وبكل خير، وينهون عن كل معصية وكل شر، ولكن على ما

---

(١) «الاستقامة» (٢/ ٢٤١).

توجبه الشريعة.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند أهل السنة والجماعة يجب أن يكون على ما توجبه الشريعة، لا على طريقة المبتدعة من المعتزلة والخوارج الذين يسمون خروجهم على ولاة الأمور وشق عصا الطاعة، أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر، هذا هو الأمر بالمنكر نفسه والنهي عن المعروف.

والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر بحسَب الاستطاعة، كما قال ﷺ: «**مَن رأى منكم منكرًا فليغيِّرْه بيدِه، فإن لم يَستطِعْ فبلسانِه، فإن لم يستطِع فبقلبِه**»[١]. بحسَب الإمكان، لا يكلف اللَّه نفسًا إلا وسعها، فالذي عنده سلطة وقدرة يغير المنكر بيده، فولي الأمر له سلطة، ونواب ولي الأمر، ورجال الحِسْبَة لهم سلطة، فبحسب ما أُعطوا ومُنحوا من الصلاحيات يغيرون باليد، وصاحب البيت له سلطة على بيته، يغير باليد، قال ﷺ: «**مُروا أولادَكم بالصلاةِ لسَبْعٍ، واضرِبوهم عليها لعشْرٍ**»[٢]. فصاحب البيت، له سلطة على من في بيته، يؤدبهم ويضربهم إذا أخطئوا واستحقوا الضرب، والزوج له سلطة على زوجته يضربها، قال اللَّه تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤]. فهذا له سلطة.

أما الذي ليس له سلطة، وهو يقدر على البيان، يعرف الحلال والحرام، ويميز بين هذا وهذا، يتكلم وينصح ويبين للناس ما يقعون فيه، وإن كان الأمر يختص بفرد فإنه يناصحه سرًّا، وإن كان الأمر عامًّا،

(١) تقدم تخريجه (ص ١٣٧).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ١٨٧)، وأبو داود (٤٩٤، ٤٩٥) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وانظر «الإرواء» (٢٤٧).

والمخالفة عامة، فإنه ينكر على الجميع إنكارًا عامًّا، ولكن لا يخصِّص أشخاصًا ويسميهم؛ لأن النبي ﷺ كان يقول: «**ما بالُ أقوامٍ يفعلون كذا وكذا**»(١). ولا يُخصِّصُ؛ لأن التخصيص يلزم منه مفاسد، ويلزم منه نفرة الشخص الذي يُخَصَّصُ أمام الناس، لكن يُعَمِّمُ، ويقول: ما بال أقوام فعلوا كذا، هداهم الله، أو نحو ذلك .

أما التشهير والتعيير والتحريش، والكلام في المجالس عن فلان وغيره، وأنهم يعملون كذا، هذا لا يأتي بخير، بل هذا من إشاعة الفاحشة، فالناس ما سمعوا عن هذا الشيء وأنت تنشره عليهم، تقول: فلان فعل كذا، والمحل الفلاني فيه كذا، فالناس ما سمعوا عن هذه الأمور، هذه الأمور تفرح المنافقين والأشرار، والله جلا وعلا يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور: ١٩]. فليس من إنكار المنكر إشاعته على الناس، خاصة على من لم يسمع به، وتنبيه المنافقين الذين يتربصون بالمسلمين، هذا أمر لا يجوز، ولا يزيد المنكر إلا منكرًا، لكن يعالج المنكر بالعلاج النافع، العلاج المناسب.

فإذا لم تستطع هذا ولا ذاك: لا السلطة ولا اللسان، فعليك أن تنكر المنكر بقلبك، لا ترضى بالمنكر، بل تكون مبغضًا له، ومبتعدًا عنه، لأن الإنكار ما يسقط أبدًا، وأضعف الإيمان أن يعلم الله من قلبك أنك مبغض لهذا المنكر، وأنك لو كان لك قدرة لعملت على إزالته، ولكنك

---

(١) انظر «صحيح البخاري» (٤٤٤، ٧١٧، ٥٧٥٠، ٦٨٧١)، و«سنن أبي داود» (٩١٣، ٤٧٨٨).

لا تقدر، فهذا يكفي منك، لا يكلف اللَّه نفسًا إلا وسعها، واللَّه تعالى أعلم .

وأضاف الشيخ حفظه الله: كلام شيخ الإسلام واضح في **منهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو:**

أولًا: يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر عاملًا بذلك في نفسه وفي أهله، قال تعالى: ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾. [الصَّف: ٢، ٣]. فيبدأ بنفسه أولًا.

ثانيًا: أن يخلص النية لله، لا يكون قصده من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحصيل رياسة، أو تحصيل مال وراتب، أو مطمع دنيوي، أو تحصيل مدح من الناس، فإن هذا لا خير فيه، كيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهذا قصده؟! هذا مقصد دني، لا، يجب أن يكون قصده لله ﷻ.

ثالثًا: أن يكون قصده انتصار الحق لا انتصار نفسه، وأن يكون قصده نشر الخير، ونفع الناس، ما يكون قصده الانتصار لنفسه، بحيث إنه إذا أوذي أو ناله ضرر ينتقم لنفسه، لا، هو ما جاء يريد نصر نفسه، بل جاء يريد نصر الدين، ونشر الخير، ونفع الناس، فإذا أصابه شيء فليصبر على ذلك، ولا يطالب بالانتصار لنفسه، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧].

وقال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]. ﴿تواصوا بالحق﴾ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ على ما

يصيبهم من جرَّاء ذلك، فيكون قصده نشر الخير، ونفع الناس، وعلامة هذا أنه إذا أصابه شيء صبر، لأنه ما جاء يريد الانتصار لنفسه، إنما جاء يريد نشر الخير، ونفع الناس، فهذه مقومات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وكذلك من مقومات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

أنه ما ييئس إذا أمر ونهى ولم ير له أثرًا؛ وذلك لأمرين:

أولًا: أنه برئت ذمته.

وثانيًا: أنه ينتظر من اللَّه حصول النتائج، ولو في المستقبل، ولو فيما بعد، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأعراف: ١٦٤].

فالنبي ﷺ لما جاءه ملك الجبال في مرجعه من الطائف واستأذنه أن يُطبِقَ الأَخْشَبَين على أهل مكة الذين أخرجوه وضايقوه، قال له ﷺ: **«لا، بل أَسْتأْني بهم، لعلَّ اللهَ يُخرِجُ مِن أصلابِهم مَن يعبده لا يشرِكُ به شيئًا»**(١). فلم ييئس عليه الصلاة والسلام، بل انتظر الفرج من اللَّه ﷻ، وقد تحقق له ﷺ ذلك.

فهذه مقومات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باختصار، واللَّه أعلم، وصلى اللَّه وسلم على نبينا محمد.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٣٠٥٩) ومسلم (٤٧٥٤) بنحوه من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

١٨

القاعدة الثامنة عشرة

ويدعون كل من تصدَّى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى اعتبار المصالح والمفاسد بميزان الشريعة

قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الأنعام: ١٠٨].

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾ [الإسراء: ٥٩].

وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لولا أَنَّ قومَك حديثو عهدٍ بجاهليةٍ لأنفقتُ كنزَ الكعبةِ في سبيلِ اللهِ، ولجعلتُ بابَها بالأرضِ، ولأدخلتُ فيها مِن الحِجْرِ**». رواه مسلم[(١)].

وفي قصة المنافقين من حديث جابر، لما قيل للنبي ﷺ: ألا تقتلهم؟ قال: «**لا يتحدثُ الناسُ أن محمدًا يقتلُ أصحابَه**». رواه البخاري[(٢)].

«وعلى هذا إذا كان الشخص أو الطائفة جامِعين بين معروف ومنكر،

(١) برقم (٣٣٠٧).

(٢) أخرجه البخاريُّ (٣٣٣٠، ٤٦٢٢، ٤٦٢٤)، ومسلمٌ (٢٥٨٤/ ٦٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

بحيث لا يفرقون بينهما؛ بل إما أن يفعلوهما جميعًا أو يتركوهما جميعًا، لم يجز أن يُؤمَروا بمعروف ولا أن يُنهَوا عن منكرٍ؛ بل ينظر:

فإن كان المعروفُ أكثرَ أُمر به؛ وإن استلزم ما هو دونه من المنكر، ولم يُنهَ عن منكر يستلزمُ تفويتَ معروفٍ أعظمَ منه؛ بل يكون النهيُ حينئذ من باب الصدِّ عن سبيلِ اللهِ والسعيِ في زوالِ طاعتِه وطاعةِ رسولِه ﷺ، وزوال فعلِ الحسنات.

وإن كان المنكر أغلبَ؛ نهي عنه، وإن استلزم فوات ما هو دونه من المعروف، ويكون الأمر بذلك المعروف المستلزم للمنكر الزائد عليه أمرًا بمنكر وسعيًا في معصية اللَّه ورسوله.

وإن تكافأ المعروفُ والمنكرُ المتلازمانِ لم يُؤمرْ بهما ولم يُنه عنهما.

فتارةً يصلح الأمرُ وتارةً يصلحُ النهي، وتارةً لا يصلحُ لا أمرٌ ولا نهيٌ، حيث كان المنكرُ والمعروفُ متلازمَين، **وذلك في الأمور المعينة الواقعة.**

وأما مِن جهةِ النوعِ فيُؤمرُ بالمعروفِ مطلقًا ويُنهى عن المنكرِ مطلقًا، وفي الفاعل الواحدِ والطائفةِ الواحدةِ يؤمرُ بمعروفِها ويُنهى عن منكرِها، ويُحمدُ محمودُها ويُذمُّ مذمومُها، بحيث لا يتضمنُ الأمرُ بمعروفٍ فواتَ معروفٍ أكبرَ منه، أو حصولَ منكر فوقَه، ولا يتضمن النهيُ عن المنكرِ حصولَ ما هو أنكرَ منه، أو فواتَ معروفٍ أرجحَ منه، وإذا اشتبه الأمر استثبتَ المؤمنُ حتى يتبين له الحق، فلا يقدُمُ على الطاعةِ إلا بعلم ونيةٍ، وإذا تركها كان عاصيًا، فتركُ الأمرِ الواجبِ معصيةٌ، وفعلُ ما نُهي عنه من الأمرِ معصيةٌ، وهذا باب واسع، ولا حول ولا قوة الا بالله.

ومن هذا البابِ إقرارُ النبي ﷺ لعبدِ اللهِ بنِ أُبيٍّ وأمثالِه من أئمةِ النفاقِ

والفجورِ، لما لهم من الأعوانِ، فإزالةُ منكرِه بنوعٍ من عقابِه مستلزمةٌ إزالةَ معروفٍ أكبرَ من ذلك: بغضبِ قومِه وحميّتهم، وبنفورِ الناسِ إذا سمِعوا أن محمدًا يقتلُ أصحابَه.

وجماعُ ذلك داخلٌ في القاعدةِ العامةِ: فيما إذا تعارضت المصالحُ والمفاسدُ، والحسنات والسيئات، أو تزاحمت؛ فإنه يجبُ ترجيحُ الراجحِ منها فيما إذا ازدحمت المصالحُ والمفاسدُ، أو تعارضتْ المصالحُ والمفاسدُ، فإن الأمرَ والنهيَ وإن كان متضمنًا تحصيل مصلحة ودفع مفسدة، فينظر في المعارض له؛ فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر؛ لم يكن مأمورًا به، بل يكون محرّمًا إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته، **لكنَّ اعتبارَ مقاديرِ المصالحِ والمفاسدِ هو بميزانِ الشريعةِ**، فمتى قَدَرَ الإنسانُ على اتباعِ النصوصِ لم يَعدِلْ عنها، وإلا اجتهد رأيه لمعرفة الأشباه والنظائر، وقلَّ أن تعوز النصوص من يكون خبيرًا بها وبدلالِتها على الأحكامِ»[١].

* * *

(١) «الاستقامة» (٢/ ٢١٧).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

١٩

القاعدة التاسعة عشرة

أنهم يعتقدون أن الجهادَ فريضةٌ ماضيةٌ إلى يوم القيامة

ويكون بالقَلب، والدَّعوةِ، والحُجَّةِ، والبيانِ، والرَّأي، وَالتَّدبيرِ، والبدنِ، والمال، فيجبُ بغايةِ ما يمكنهُ، وجهاد الكفار ابتداء بالسِّنان له شروط لا يصح ويكون مشروعًا إلا بها كالتالي:

- **قواعد وشروط الجهاد الشرعي:**

أولًا: أن يكون القصدُ منه والدافعُ له إعلاءَ كلمةِ اللهِ، فقد سئل النبيُّ ﷺ عن الرجل يُقَاتِلُ شجاعةً، ويقاتل حميَّةً، ويقاتل رياءً؛ أيُّ ذلك في سبيلِ اللهِ؟ فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «**مَن قاتَل لتكونَ كلمةُ اللهِ هي العليا فهو في سبيلِ اللَّهِ**». أخرجاه من حديث أبي موسى رضي الله عنه(١). وقال عليه السلام: «**أمرتُ أنْ أقاتلَ الناسَ حتى يقولوا: لا إله إلا اللهُ. فمن قال: لا إله إلا اللهُ. عصَم منّي مالَه ونفسَه إلا بحقِّه، وحسابُه على اللهِ**». أخرجاه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه(٢).

ثانيًا: ظهورُ العلم النافع والعمل الصالح بين المسلمين، قال تعالى:

(١) أخرجه البخاري (١٢٣)، ومسلم (١٩٠٤/١٤٩، ١٥٠، ١٥١).
(٢) أخرجه البخاري (١٣٣٥)، ومسلم (٢٠/٣٢، ٢١/٣٣ - ٣٥).

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٣]. فاشترط لظهورِ المسلمين على غيرِهم وجودَ العلمِ النافعِ والعملِ الصالحِ.

قال البخاري في «صحيحه»: «بَابٌ: عَمَلٌ صالحٌ قبل القتالِ. وقال أبو الدَّرداءِ: إنما تُقاتِلونَ بأعمالكم».

وقولهُ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ [الصف: ٢-٤]»[(١)].

ثالثًا: الإعداد العسكري الذي يُرْهِبُ الكفَّارَ، وذلك حسَب الإمكان، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال: ٦٠]. وإلا فلا يقدمون على القتال، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ [النساء: ٧٧].

وذلك أنه تعالى نهى المؤمنين في مكَّة عن الانتصار باليد، وأمرهم بالعفو والصَّفح، لئلَّا يكون انتصارهم ذريعة إلى وقوع ما هو أعظم مفسدة من مفسَدة الإغضاء واحتمال الضَّيم، ومصلحة حفظ نفوسهم ودينهم وذريَّتهم راجحةٌ على مصلحةِ الانتصارِ والمقابلة.

---

(١) صحيح البخاري (٣/ ١٠٣٣).

رابعاً: اجتماعُ المسلمين على إمام يقودُهم، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦)﴾ [البقرة:٢٤٦].

وقال ﷺ: «**الإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِن وَرَائِهِ وَيُتَّقى بِهِ، فإن أمر بِتقوى اللَّهِ وَعَدَلَ فإن له بِذَلِكَ أَجرًا، وَإن قال بِغيرِهِ فإن عليه منه**». أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه[(١)].

وقال ﷺ: «**تلزَمُ جماعةَ المُسلِمين وإمامَهم**». قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «**فاعتزِلْ تلك الفرق كلَّها، ولو أن تعَضَّ بأصلِ شجرةٍ حتى يُدْرِكَكَ الموتُ وأنت على ذلك**». أخرجه البخاري ومسلم من حديث حذيفة[(٢)].

وقوله ﷺ: «**وإنَّ اللَّهَ ليُؤَيِّدُ هذا الدِّينَ بالرَّجُلِ الفَاجِرِ**». أخرجه البخاري، من حديث أبي هريرة[(٣)].

وأما جهاد الدفع فإن حكمه يختلف باختلاف الظروف المحيطة به، وذلك بالنظر إلى تزاحم المفاسد، فإن كانت مفاسدُ تَرْكِ القتال أعظمَ وجب، وإن كانت المفاسد بالقتال أعظم لم يجب؛ بل قد يحرم، قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ ۗ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٦)﴾ [التغابن:١٦]. وهذا إذا لم يستنفر

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٩٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٧٣)، ومسلم (١٨٧٤/ ٥١).

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٩٧)، ومسلم (١١١/ ١٧٨).

الإمام الناس، وإلا فيجب، وإن عدم الإمام اجتمع أهل العلم والرأي والتدبير ودعوا المسلمين للأصلح وعليهم تنصيب إمام لهم.

«والشجاعة ليست هي قوة البدن، فقد يكون الرجل قوي البدن ضعيف القلب، وإنما هي قوة القلب وثباته، فإن القتال مداره على قوة البدن وصنعته للقتال، وعلى قوة القلب وخبرته به، والمحمود منهما ما كان بعلم ومعرفة دون التهور الذي لا يفكر صاحبه ولا يميز بين المحمود والمذموم، ولهذا كان القوي الشديد هو الذي يملك نفسه عند الغضب؛ حتى يفعل ما يصلح دون ما لا يصلح، فأما المغلوب حين غضبه فليس هو بشجاع ولا شديد»[١].

* * *

(١) انظر: «الاستقامة» (٢/ ٢٧١، ٢٧٢).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٢٠

القاعدة العشرون

ويؤمنون بما دلَّ عليه القرآن من سُنَّة اللَّه الكونيّة القدريّة في قول اللَّه تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [آل عمران: ١٤٠].

إن ابتلاء المؤمنين بغلبة عدوهم لهم وقهرهم وكسرهم لهم أحيانًا فيه حكمة عظيمة، لا يعلمها على التفصيل إلا اللَّه ﷻ:

فمنها: استخراج عبوديتهم وذلهم لله وانكسارهم له وافتقارهم إليه، وسؤاله نصرهم على أعدائهم، ولو كانوا دائمًا منصورين قاهرين غالبين لبطروا وأَشِرُوا، ولو كانوا دائمًا مقهورين مغلوبين منصورًا عليهم عدوّهم لما قامت للدِّين قائمة، ولا كانت للحق دولة، فاقتضت حكمة أحكم الحاكمين أن صرفهم بين غلبهم تارة وكونهم مغلوبين تارة، فإذا غُلِبوا تضرَّعوا إلى ربهم وأنابوا إليه، وخضعوا له وانكسروا له وتابوا إليه، وإذا غَلَبوا أقاموا دينه وشعائره، وأمروا بالمعروف ونَهَوا عن المنكر، وجاهدوا عدوَّه ونصروا أولياءه.

ومنها: أنهم لو كانوا دائمًا منصورين غالبين قاهرين لدخل معهم من

ليس قَصْدُه الدين ومتابعة الرسول ﷺ، فإنه إنما ينضاف إلى من له الغلبة والعزة، ولو كانوا مقهورين مغلوبين دائمًا لم يدخل معهم أحد، فاقتضت الحكمة الإلهية أن كانت لهم الدولة تارة، وعليهم تارة، فيتميز بذلك بين من يريد اللَّه ورسوله ومن ليس له مراد إلا الدنيا والجاه.

ومنها: أنه سبحانه يحب من عباده تكميل عبوديتهم على السراء والضراء، وفي حال العافية والبلاء، وفي حال إدالتهم والإدالة عليهم، فلله سبحانه على العباد في كلتا الحالين عبودية بمقتضى تلك الحال، لا تحصل إلا بها، ولا يستقيم القلب بدونها، كما لا تستقيم الأبدان إلا بالحر والبرد، والجوع والعطش، والتعب والنصب، وأضدادها، فتلك المحن والبلايا شرط في حصول الكمال الإنساني والاستقامة المطلوبة منه، ووجود الملزوم بدون لازمه ممتنع.

ومنها: أنَّ امتحانهم بإدالة عدوّهم عليهم يمحّصهم ويخلّصهم ويهذّبهم، كما قال تعالى في حكمة إدالة الكفار على المؤمنين يوم أُحد: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩ - ١٤٤].

فذكر سبحانه أنواعًا من الحِكَمِ التي لأجلها أُديل عليهم الكفار، بعد

أن ثبَّتهم وقوَّاهم وبشَّرهم بأنهم الأَعْلَوْنَ، بما أُعطوا من الإيمان، وسلّاهم بأنهم وإن مسَّهم القَرْحُ في طاعته وطاعة رسوله؛ فقد مس أعداءهم القرح في عداوته وعداوةِ رسولِه، ثم أخبرهم أنه سبحانه بحكمته يجعل الأيام دُوَلًا بين الناس، فيصيب كلًّا منهم نصيبُه منها، كالأرزاق والآجال، ثم أخبرهم أنه فعل ذلك ليعلم المؤمنين منهم، وهو سبحانه بكل شيء عليم، قبل كونه، وبعد كونه، ولكنه أراد أن يعلمهم موجودين مشاهدين، فيعلم إيمانهم واقعًا، ثم أخبر أنه يحب أن يتخذ منهم شهداء، فإن الشهادة درجة عالية عند اللَّه ومنزلة رفيعة لا تنال إلا بالقتل في سبيله، فلولا إدالة العدو لم تحصل درجة الشهادة التي هي من أحب الأشياء إليه وأنفعها للعبد، ثم أخبر سبحانه أنه يريد تمحيص المؤمنين، أي: تخليصهم من ذنوبهم، بالتوبة والرجوع إليه، واستغفاره من الذنوب التي أُديل بها عليهم العدو، وأنه مع ذلك يريد أن يمحق الكافرين، ببغيهم وطغيانهم وعدوانهم إذا انتصروا، ثم أنكر عليهم حسبانهم وظنَّهم دخولَ الجنة بغير جهاد ولا صبر، وأن حكمته تأبى ذلك، فلا يدخلونها إلا بالجهاد والصبر، ولو كانوا دائمًا منصورين غالبين لما جاهدهم أحد، ولما ابتلوا بما يصبرون عليه من أذى أعدائهم، فهذه بعض حِكَمِهِ في نصرة عدوهم عليهم وإدالته في بعض الأحيان»[1].

- **أسباب غلبة وتسلط الكفار على المسلمين:**

«وأما الغلبة فإن اللَّه تعالى قد يديل الكافرين على المؤمنين تارة، كما يديل المؤمنين على الكافرين، كما كان يكون لأصحاب النبى ﷺ مع

---

(١) «إغاثة اللهفان» (٢/ ١٩١).

عدوهم، لكن العاقبة للمتقين، فإن اللَّه يقول: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١]. وإذا كان في المسلمين ضعفٌ وكان عدوهم مستظهرًا عليهم، كان ذلك بسبب ذنوبهم وخطاياهم، إما لتفريطهم في أداء الواجبات باطنًا وظاهرًا، وإما لعدوانهم بتعدِّي الحدود باطنًا وظاهرًا، قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾ [آل عمران: ١٥٥].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤٠، ٤١]»[1].

وقد نبَّهَ القرآن العظيم إلى حلّ ثلاث مشكلات هي من أعظم ما يعانيه العالَم في جميع المعمورة ممن ينتمي إلى الإسلام؛ تنبيهًا بها على غيرها:

المشكلة الأولى:

هي ضَعْفُ المسلمين في أقطار الدنيا في العَدَدِ والعُدَدِ عن مقاومة الكفار، وقد هدى القرآن العظيم إلى حل هذه المشكلة بأقوم الطرق وأعدلها، فبيَّن أن علاج الضعف عن مقاومة الكفار إنما هو بصدق التوجه إلى اللَّه تعالى وإفراده بالتعلق، وقوة الإيمان به والتوكل عليه، لأن اللَّه قوي عزيز، قاهر لكل شيء، فمن كان من حزبه على الحقيقة

(١) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٦٤٥).

لا يمكن أن يغلبه الكفار، ولو بلغوا من القوة ما بلغوا، فمن الأدلة المبينة لذلك: أن الكفار لما ضربوا على المسلمين ذلك الحصار العسكري العظيم في غزوة الأحزاب، المذكور في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب: ١٠، ١١].

كان علاج ذلك هو ما ذكرنا، فانظر شدة هذا الحصار العسكري وقوة أثره في المسلمين، مع أن جميع أهل الأرض في ذلك الوقت مقاطعوهم سياسة واقتصادًا، فإذا عرفت ذلك فاعلم أن العلاج الذي قابلوا به هذا الأمر العظيم، وحلُّوا به هذه المشكلة العظمى، هو ما بيّنه جلّ وعلا في سورة الأحزاب بقوله: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب: ٢٢].

فهذا الإيمان الكامل وهذا التسليم العظيم لله جلّ وعلا، ثقةً به وتوكلًا عليه، هو سبب حل هذه المشكلة العظمَى، وقد صرَّح القرآن بنتيجة هذا العلاج بقوله تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [الأحزاب: ٢٥- ٢٧].

وهذا الذي نصرهم الله به على عدوهم ما كانوا يظنونه ولا يحسبون أنهم يُنصرون به؛ وهو الملائكة والريح، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ﴾ [الأحزاب: ٩].

ولما علم جلَّ وعلا من أهل بيعة الرضوان الإخلاص الكامل، ونوه عن إخلاصهم بالاسم المبهم الذي هو الموصول في قوله: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح:١٨]. أي: من الإيمان والإخلاص؛ كان من نتائج ذلك ما ذكره اللَّه جلَّ وعلا في قوله: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الفتح:٢١].

فصرَّح جلَّ وعلا في هذه الآية بأنهم لم يقدِرُوا عليها، وأن اللَّه جلَّ وعلا أحاط بها فأقدرهم عليها، وذلك من نتائج قوة إيمانهم وشدة إخلاصهم.

المشكلة الثانية:

هي تسليط الكفار على المؤمنين بالقتل والجراح وأنواع الإيذاء، مع أن المسلمين على الحق والكفار على الباطل، وهذه المشكلة استشكلها أصحاب النَّبي ﷺ، فأفتى اللَّه جل وعلا فيها وبيَّن السبب في ذلك بفتوى سماوية تتلى في كتابه، جلَّ وعلا، وذلك أنه لما وقع ما وقع بالمسلمين يوم أُحد، فقُتِلَ عَمُّ رسول اللَّه ﷺ وابن عمته ومُثِّلَ بهما، وقُتِلَ غيرهما من المهاجرين، وقُتِلَ سبعون رجلًا من الأنصار، وجُرِحَ ﷺ وشُقَّت شفتُه وكُسرت رَبَاعيتُه، وشُجَّ ﷺ - استشكل المسلمون ذلك، وقالوا: كيف ينال منَّا المشركون ونحن على الحق وهم على الباطل؟! فأنزل اللَّه قوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران:١٦٥].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾. فيه إجمال بينه تعالى بقوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ

وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا﴾ إلى قوله: ﴿لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

ففي هذه الفتوى السماوية بيان واضح بأنَّ سببَ تسليط الكفار على المسلمين هو فشل المسلمين وتنازعهم في الأمر وعصيانهم أمره ﷺ، وإرادة بعضهم الدنيا مقدِّمًا لها على أمر الرسول ﷺ، ومن عرف أصل الداء عرف الدواء، كما لا يخفى.

المشكلة الثالثة:

هي اختلاف القلوب الذي هو أعظم الأسباب في القضاء على كيان الأمة الإسلامية؛ لاستلزامه الفشل، وذهاب القوة والدولة، كما قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٤٦﴾ [الأنفال: ٤٦]. فترى المجتمع الإسلامي اليوم في أقطار الدنيا يضمر بعضهم لبعض العداوة والبغضاء، وإن جامل بعضهم بعضًا، فإنه لا يخفى على أحد أنها مجاملة، وأن ما تنطوي عليه الضمائر مخالف لذلك، وقد بيَّن تعالى في سورة الحشر أن سبب هذا الداء الذي عَمَّت به البلوى إنما هو ضعف العقل، قال تعالى: ﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ﴾ [الحشر: ١٤]. ثم ذكر العلة لكون قلوبهم شتى بقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ﴾.

ولاشك أن داء ضعف العقل الذي يصيبه فيضعفه عن إدراك الحقائق، وتمييز الحق من الباطل، والنافع من الضار، والحسن من القبيح، لا دواء له إلا إنارته بنور الوحي، لأن نور الوحي يحيا به من كان ميتًا، ويضيء الطريق للمتمسِّك به، فيريه الحق حقًّا والباطل باطلًا، والنافع نافعًا والضار ضارًّا، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا

لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣][1].

* * *

(١) «أضواء البيان» (٣/ ٥٠. وما بعد).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٢١

القاعدة الحادية والعشرون

أن الاقتصاد بالعمل والاعتصام بالسنة عليهما مدار الدين

قال اللَّه تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [المائدة: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١].

وقال تعالى: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

وقال تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾ [الأعراف: ٥٥]. وقال: ﴿۞يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٨٩﴾ [البقرة: ١٨٩].

وقال تعالى: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧﴾ [البقرة: ١٩٧].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قال رسول اللَّه ﷺ غداة العقبة وهو على ناقته: «**القُطْ ليَ حصىً**». فلقطت له سبع حصيات من حصى الخَذْفِ فجعل ينفضهن في كفه ويقول: «**أمثالَ هؤلاء فارموا**». ثم قال: «**أيها الناسُ، إياكم والغلوَّ في الدِّين؛ فإنما أَهْلَكَ الذين مِن قبلكم الغلوُّ في

الدِّينِ». رواه الإمام أحمد والنسائي[١].

وقال أنس ﷺ: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تشدِّدوا على أنفسكم فيشدِّدَ اللهُ عليكم، فإن قومًا شدَّدوا على أنفسهم فشدَّدَ اللهُ عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات** ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧]»[٢].

فنهى النبيُّ ﷺ عن التشديد في الدين، وذلك بالزيادة على المشروع، وأخبر أن تشديد العبد على نفسه هو السبب لتشديد اللَّه عليه؛ إما بالقدر وإما بالشرع: فالتشديد بالشرع كما يشدد على نفسه بالنذر الثقيل فيلزمه الوفاء به. وبالقدر: كفعل أهل الوسواس، فإنهم شدَّدوا على أنفسهم فشدَّد عليهم القدر حتى استحكم ذلك وصار صفة لازمة لهم.

فالفقه كل الفقه الاقتصاد في الدين والاعتصام بالسنة، قال أُبَيّ بن كعب ﷺ: «عليكم بالسبيل والسُّنَّة، فإنه ما مِنْ عَبْدٍ على السبيل والسُّنة ذكر اللَّه ﷻ فاقشعرَّ جلده من خشية اللَّه تعالى، إلا تحاتَّتْ عنه خطاياه كما يتحاتّ عن الشجرة اليابسة ورقها، وإن اقتصادًا في سبيلٍ وسُنَّةٍ خيرٌ من اجتهاد في خلاف سبيل وسُنَّة، فاحرصوا إذا كانت أعمالكم اقتصادًا أن تكون على منهاج الأنبياء وسنتهم»[٣][٤].

* * *

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٢١٥، ٣٤٧)، والنسائي (٥/ ٢٦٨)، وابن ماجه (٣٠٢٩) واللفظ له، وانظر «الصحيحة» (١٢٨٣).

(٢) صحيح: أخرجه أبوداود (٤٩٠٤)، وانظر «الصحيحة» (٣١٢٤).

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٦٩٨) - زوائد نعيم - واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٣٥) وغيرهم.

(٤) «إغاثة اللهفان» (١/ ١٣٢).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٢٢

القاعدة الثانية والعشرون

أنهم يحثُّون الأمة على فهم القرآن والحديث

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾ [البقرة: ٧٨]. وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

وقال: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾ [محمد: ١٦]. وقال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

وقال عليه السلام: «**من يُرِدِ اللَّه بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ**». أخرجاه من حديث معاوية رضي الله عنه[(١)].

- **من أعظم أسباب نهوض الأمة:**

يحتاج المسلمون إلى شيئين:

أحدهما: معرفة ما أراد اللَّه ورسوله ﷺ بألفاظ الكتاب والسنة بأن يعرفوا لغة القرآن التي بها نزل.

والآخر: معرفة ما قاله الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر علماء المسلمين في معاني تلك الألفاظ، فإن الرسول ﷺ لما خاطبهم بالكتاب

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧/ ٩٨).

والسنة عرَّفهم ما أراد بتلك الألفاظ، وكانت معرفة الصحابة لمعاني القرآن أكمل من حفظهم لحروفه، وقد بلَّغوا تلك المعاني إلى التابعين أعظم مما بلَّغوا حروفه، فإن المعاني العامة التي يحتاج إليها عموم المسلمين، مثل معنى التوحيد، ومعنى الواحد والأحد، والإيمان والإسلام، ونحو ذلك - كان جميع الصحابة يعرفون ما أحب اللَّه ورسوله ﷺ من معرفته، ولا يحفظ القرآن كله إلا القليل منهم، وإن كان كل شيء من القرآن يحفظه منهم أهل التواتر»[١].

قال مالك: «إن أقوامًا ابتغوا العبادة وأضاعوا العلم، فخرجوا على أمة محمد بأسيافهم، ولو ابتغوا العلم لحجزهم عن ذلك». قال: «وكتب أبو موسى الأشعري إلى عمر بن الخطاب: إنه قرأ القرآن عندنا عدد كذا وكذا. فكتب إليه عمر: «أنِ افرض لهم من بيت المال». فلما كان في العام الثاني كتب إليه: إنه قد قرأ القرآن عندنا عدد كثير. لأكثر من ذلك، فكتب إليه عمر: أن امحهم من الديوان، فإني أخاف من أن يسرع الناس في القرآن أن يتفقهوا في الدين فيتأولوه على غير تأويله»[٢].

قلت: وهذا ما وقع فيه الخوارج، وبه يظهر معنى قوله عليه السلام: «**لا يجاوز حناجرهم**»[٣].

* * *

(١) «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٣٥٣).
(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١١٩).
(٣) تقدم تخريجه (ص ١١٣).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٢٣

القاعدة الثالثة والعشرون

أنهم يحثُّون على دراسة السنة النبوية والعمل بها، ويحذِّرون من هجرها

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣]. وقال ﷺ: «**لَا يَزَالُ النَّاس بِخَيرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطْرَ**». أخرجاه من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه[(١)].

قال الإمام البخاري: «باب: كيف يُقبَضُ العِلمُ؟ وكتب عُمَرُ بنُ عبدِ العزيزِ إلى أبي بكرِ بن حزم: «انظُر ما كان من حديث رسول اللَّهِ ﷺ فَاكتُبه، فإنِّي خِفتُ دروسَ العلْمِ وذهَاب العُلَمَاء، ولا تَقبل إلا حَدِيث النبي ﷺ، ولتفشوا العلم ولتجلسوا حتى يُعَلَّمَ من لا يَعلَمُ، فإن العِلمَ لا يَهلِكُ حتى يكونَ سِرًّا»[(٢)].

قال ابن القيم: «فإن السنة حصن اللَّه الحصين الذي من دخله كان من الآمنين، وبابه الأعظم الذي من دخله كان إليه من الواصلين، تقوم بأهلها وإن قعدت بهم أعمالهم، ويسعى نورها بين أيديهم إذا طفئت لأهل البدع والنفاق أنوارهم، وأهل السنة هم المُبْيَضَّةُ وجوههم إذا اسودَّت وجوه أهل البدعة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]. قال ابن

(١) أخرجه البخاري (١٨٥٦)، ومسلم (١٠٩٨/٤٨).

(٢) تقدم تخريجه (ص ١٣٠).

عباس: «تبيضُّ وجوه أهل السنة والائتلاف، وتسودُّ وجوه أهل البدعة والتفرُّق». وهي الحياة والنور اللذان بهما سعادة العبد وهداه وفوزه، قال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام:١٢٢]. والخارجون عن طاعة الرسل صلوات اللَّه وسلامه عليهم ومتابعتهم يتقلبون في عشر ظلمات: ظلمة الطبع، وظلمة الجهل، وظلمة الهوى، وظلمة القول، وظلمة العمل، وظلمة المدخل، وظلمة المخرج، وظلمة القبر، وظلمة القيامة، وظلمة دار القرار، فالظلمة لازمة لهم في دورهم الثلاثة»(١).

قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [القصص:٥٠]. فقسَّم الناسَ إلى مستجيبين للرسول، ومتَّبعٍ هواه، فمن ترك استجابته إذا ظهرت له سنة وعدل عنها إلى خلافها فقد اتبع هواه.

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام:١٥٣]. وهذا الصراط المستقيم الذي وصَّانا باتباعه هو الصراط الذي كان عليه رسول اللَّه صلى اللَّه تعالى عليه وآله وسلم وأصحابه، وهو قصد السبيل، وما خرج عنه فهو من السُّبل الجائرة، وإن قاله من قاله، لكن الجور قد يكون جورًا عظيمًا عن الصراط، وقد يكون يسيرًا، وبين ذلك مراتب لا يحصيها إلا الله، وهذا كالطريق الحِسِّي؛ فإن السالك قد يعدل عنه ويجور جورًا فاحشًا، وقد يجور دون ذلك، فالميزان الذي

---

(١) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٩).

يعرف به الاستقامة على الطريق والجور عنه هو ما كان رسول اللَّه ﷺ وأصحابه عليه، والجائر عنه إما مفرط ظالم، أو مجتهد متأول، أو مقلد جاهل، فمنهم المستحق للعقوبة، ومنهم المغفور له، ومنهم المأجور أجرًا واحدًا، بحسَب نيَّاتهم ومقاصدهم واجتهادهم في طاعة اللَّه تعالى ورسوله أو تفريطهم»(١).

قال شيخ الإسلام: «وهذا سبب ظهور البدع في كل أمة، وهو خفاء سنن المرسلين فيهم، وبذلك يقع الهلاك، ولهذا كانوا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة.

قال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: السنة مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلَّفَ عنها هلك. وهذا حقٌّ؛ فإن سفينة نوح إنما ركبها من صدَّق المرسلين واتبعهم، وإنَّ من لم يركبها فقد كذَّب المرسلين، واتِّباع السنة هو اتّباع الرسالة التي جاءت من عند الله، فتابعها بمنزلة من ركب مع نوح السفينة باطنًا وظاهرًا، والمتخلِّف عن اتباع الرسالة بمنزلة المتخلِّف عن اتباع نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وركوب السفينة معه»(٢).

«لكن أعظم المهم في هذا الباب وغيره: تمييز السنة من البدعة؛ إذ السنة ما أمر به الشارع، والبدعة ما لم يشرعه من الدين، فإن هذا الباب كَثُرَ فيه اضطراب الناس في الأصول والفروع، حيث يزعم كل فريق أن طريقه هو السنة وطريق مخالفه هو البدعة، ثم إنه يحكم على مخالفه بحكم المبتدع! فيقوم من ذلك من الشر ما لا يحصيه إلا الله»(٣).

---

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ١٣١).
(٢) «مجموع الفتاوى» (٤/ ١٣٧).
(٣) «الاستقامة» (١/ ١٣).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٢٤

القاعدة الرابعة والعشرون

أنهم يقرِّرون أن مقاصد الشريعة ثلاثة:
الأول: درء المفاسد، المعروف عند أهل الأصول بالضروريات
والثاني: جلب المصالح، المعروف عند أهل الأصول بالحاجيات.
والثالث: الجري على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات، المعروف عند أهل الأصول بالتحسينيات والتتميمات.

وكل هذه المصالح الثلاث هدى فيها القرآن العظيم للطريق التي هي أقوم الطرق وأعدلها.

المقصد الأول: الضروريات التي هي درء المفاسد، إنما درؤها عن ستة أشياء:

الأولى: الدين، وقد جاء القرآن بالمحافظة عليه بأقوم الطرق وأعدلها، كما قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣]. وفي آية الأنفال: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]. وقال تعالى: ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ [الفتح: ١٦].

وقال ﷺ: «**أُمرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله**». الحديث[١]. وقال ﷺ: «**مَن بدَّل دينَه فاقتلوه**»[٢]. إلى غير ذلك من الأدلة

(١) تقدم تخريجه (ص ١٥٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٥٤، ٦٥٢٤)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

الدالَّة على المحافظة على الدين.

والثانية: النفس، وقد جاء القرآن بالمحافظة عليها بأقوم الطرق وأعدلها، ولذلك أوجب القصاص؛ درءًا للمفسدة عن الأنفس، كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة:١٧٩]. وقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى﴾ [البقرة:١٧٨].

وقال: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [الإسراء:٣٣].

الثالثة: العقل، وقد جاء القرآن بالمحافظة عليه بأقوم الطرق وأعدلها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾. إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة:٩٠،٩١].

وقال ﷺ: «**كلُّ مسكرٍ حرامٌ**»(١). وقال: «**ما أسكَر كثيرُه فقليلُه حرامٌ**»(٢). وللمحافظة على العقل أوجب ﷺ حد الشارب؛ درءًا للمفسدة عن العقل.

الرابعة: النسب، وقد جاء القرآن بالمحافظة عليه بأقوم الطرق وأعدلها، ولذلك حرَّم الزنا وأوجب فيه الحدَّ الرادعَ، وأوجب العدة على النساء عند المفارقة بطلاق أو موت؛ لئلَّا يختلط ماءُ رجلٍ بماءِ آخَرَ في رحم امرأة؛ محافظةً على الأنساب، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء:٣٢]. ونحو ذلك من الآيات، وقال تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور:٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٨٧، ٤٠٨٨)، ومسلم (١٧٣٣/ ٧٠، ٢٠٠١/ ٧٢) من حديث أبي موسى وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم.

(٢) صحيح: أخرجه أبوداود (٣٦٨١)، والنسائي في الكبرى (٥١١٧، ٥١١٨، ٦٨٢٠)، والترمذي (١٨٦٥)، وابن ماجه (٣٣٩٢ ـ ٣٣٩٤) عن عدد من الصحابة، وانظر «صحيح ابن ماجه» (٢٧٣٧).

وقال تعالى في إيجاب العدة؛ حفظًا للأنساب: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة:٢٢٨]. وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة:٢٣٤]. ولأجل المحافظة على النسب منع سقي زرع الرجل بماء غيره؛ فمنع نكاح الحامل حتى تضع، قال تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق:٤].

الخامسة: العِرْض، وقد جاء القرآن بالمحافظة عليه بأقوم الطرق وأعدلها، فنهى المسلم عن أن يتكلم في أخيه بما يؤذيه، وأوجب عليه إن رماه بفِرْيَةٍ حدَّ القذف ثمانين جلدة.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات:١٢]. وقبح جلَّ وعلا غِيبةَ المسلم غاية التقبيح بقوله: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات:١٢].

وقال: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات:١١].

وقال في إيجاب حد القاذف: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ [النور: ٤، ٥].

السادسة: المال، وقد جاء القرآن بالمحافظة عليه بأقوم الطرق وأعدلها، ولذلك منع أخذه بغير حق شرعي، وأوجب على السارق حد السرقة، وهو قطع اليد، كما سيأتي، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النساء:٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [البقرة:١٨٨].

وقال: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [المائدة:٣٨]. وكل ذلك محافظةً على المال ودرءًا للمفسدة عنه.

المقصد الثاني: جَلْب المصالح، وقد جاء القرآن بجلب المصالح بأقوم الطرق وأعدلها، ففتح الأبواب لجلب المصالح في جميع الميادين، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة:١٠].

وقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة:١٩٨] وقال: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل:٢٠]. وقال: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾. ولأجل هذا جاء الشرع الكريم بإباحة المصالح المتبادلة بين أفراد المجتمع على الوجه المشروع، ليستجلب كلٌّ مصلحته من الآخر؛ كالبيوع والإجارات والأكرية والمساقاة والمضاربة، وما جرى مجرى ذلك.

المقصد الثالث: الجري على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات، وقد جاء القرآن بذلك بأقوم الطرق وأعدلها، والحض على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات كثير جدًا في كتاب اللَّه وسنة نبيه ﷺ، ولذلك لما سُئلت عائشة ﵂ عن خُلقه ﷺ، قالت: «كان خُلقه القرآن»(١). لأن القرآن يشتمل على جميع مكارم الأخلاق، لأن اللَّه تعالى يقول في نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم:٤]. فدلَّ مجموع الآية وحديث عائشة ﵂ على أن المتَّصف بما في القرآن من مكارم الأخلاق أنه يكون على خُلُقٍ عظيم، وذلك لعظم ما في القرآن من مكارم الأخلاق»(٢).

(١) أخرجه مسلم (٧٤٦/ ١٣٩) بنحوه.

(٢) «أضواء البيان» (٣/ ٥٠. وما بعدها).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٢٥

القاعدة الخامسة والعشرون

بيان بعض الأسباب الداعية لترويج وقبول الباطل

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [البقرة: ١١٨].

وقال تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الذاريات: ٥٣]

قال ابن القيم في بيان الأسباب المروِّجة للباطلِ: «**السبب الأول:** أنْ يأتي بهِ صاحبه مموَّهًا مزخرفَ الألفاظ، مُلفَّق المعاني، مكسوًّا حُلّة الفصاحة والعبارة الرشيقة، فتسرع العقول الضعيفة إلى قبوله واستحسانه، وتبادر إلى اعتقاده وتقليده، ويكون حاله في ذلك حال من يعرض سلعة مموَّهة مغشوشة على من لا بصيرة له بباطنها وحقيقتها، فيحسِّنها في عينه ويحببها إلى نفسه، وهذا الذي يعتمده كل من أراد ترويج باطل؛ فإنه لا يتم له ذلك إلا بتمويهه وزخرفته وإلقائه إلى جاهل بحقيقته، قال اللّه تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام: ١١٢].

فذكر سبحانه أنهم يستعينون على مخالفة أمر الأنبياء بما يزخرفه

بعضهم لبعض من القول، فيغتر به الأغمار[١] وضعفاء العقول، فذكر السبب الفاعل والقابل، ثم ذكر سبحانه انفعال هذه النفوس الجاهلة به بصغوها وميلها إليه ورضاها به؛ لِما كُسي من الزخرف الذي يغرّ السامع، فلما أصغت إليه ورضيته اقترفت ما تدعو إليه من الباطل قولًا وعملًا، فتأمَّلْ هذه الآيات وما تحتها من هذا المعنى العظيم القدر، الذي فيه بيان أصول الباطل، والتنبيه على مواقع الحذر منها، وعدم الاغترار بها، وإذا تأمَّلْتَ مقالات أهل الباطل رأيتهم قد كَسَوها من العبارات وتخيَّروا لها من الألفاظ الرائقة، ما يسرع إلى قبوله كلُّ من ليس له بصيرة نافذة، وأكثر الخلق كذلك؛ حتى إن الفجار ليسمون أعظم أنواع الفجور بأسماء لا ينبو عنها السمع ويميل إليها الطبع.

السبب الثاني: أن يُخرج المعنى الذي يريد إبطاله بالتأويل في صورة مستهجنة تنفر عنها القلوب، وتنبو عنها الأسماع، فيتخير له من الألفاظ أكرهها وأبعدها وصولًا إلى القلوب، وأشدَّها نفرة عنها، فيتوهم السامع أن معناها هو الذي دلت عليه تلك الألفاظ؛ فكذلك أهل البدع والضلال من جميع الطوائف، هذا معظم ما يُنَفِّرون به عن الحق، ويدعون به إلى الباطل، ولهذا اخترعوا لأهل السنة الألقاب القبيحة، فسمّوهم: حشوية، ونوابت، ونواصب، ومجبرة، ومجسّمة، ومشبِّهة، ونحو ذلك.

السبب الثالث: أن يعزو المبتدع تأويله وبدعته إلى جليل القدر، نبيه الذكر، من العقلاء، أو من آل البيت النبوي، أو مَن حلَّ له في الأمة ثناء جميل، ولسان صدق، ليحليه بذلك في قلوب الأَغْمَار والجهال، فإن من

---

(١) الأغمار، جمع غُمْر: الجاهلُ الغِرُّ الذي لم يُجَرِّب الأمور. اللسان (غ م ر).

شأن الناس تعظيم كلام من يعظم قدره في نفوسهم، وأن يتلقوه بالقبول والميل إليه، وكلما كان ذلك القائل أعظم في نفوسهم كان قبولهم لكلامه أتم، حتى إنهم ليقدّمونه على كلام اللَّه ورسوله، ويقولون: هو أعلم باللَّه ورسوله منا!

وإذا تأملتَ هذا السبب رأيتَه هو الغالب على أكثر النفوس، وليس معهم سوى إحسان الظن بالقائل؛ بلا برهان من اللَّه ولا حجة قادتهم إلى ذلك، وهذا ميراث بالتعصيب من الذين عارضوا دين الرسل بما كان عليه الآباء والأسلاف، فإنهم لحُسْنِ ظنّهم بهم وتعظيمهم لهم آثروا ما كانوا عليه على ما جاءتهم به الرسل، وكانوا أعظم في صدورهم من أن يخالفوهم ويشهدوا عليهم بالكفر والضلال، وإنهم كانوا على الباطل، وهذا شأن كل مقلد لمن يعظمه فيما خالف فيه الحق إلى يوم القيامة.

السبب الرابع: أن يكون ذلك التأويل قد قَبِلَهُ ورَضِيَهُ مبرز في صناعة من الصناعات، أو علم من العلوم الدقيقة أو الجليلة، فيعلو له بما برز به ذكر في الناس ويشتهر له به صيت، فإذا سمع الغُمْرُ الجاهلُ بقبوله لذلك التأويل وتلك البدعة واختياره له أحسن الظن به وارتضاه مذهبًا لنفسه، ورضي من قبله إمامًا له، وقال: إنه لم يكن ليختار - مع جودة قريحته وذكائه وصحة ذهنه ومهارته بصناعته وتبريزه فيها على بني جنسه - إلا الأصوب والأفضل من الاعتقادات، والأرشد والأمثل من التأويلات، وأين يقع اختياري من اختياره؟! فرضيت لنفسي ما رضيه لنفسه، فإن عقله وذهنه وقريحته إنما تدلُّه على الصواب كما دَلَّتْه على ما خفي عن غيره من صناعته وعلمه!

وهذه الآفة قد هلك بها أمم لا يحصيهم إلا الله؛ رأوا الفلاسفة قد

برزوا في العلوم الرياضية والطبية، واستنبطوا بعقولهم وجودة قرائحهم وصحة أفكارهم ما عجز أكثر الناس عن تعلُّمه، فضلاً عن استنباطه، فقالوا: للعلوم الإلهية والمعارف الربانية أسوة بذلك. فحالهم فيها مع الناس كحالهم في هذه العلوم سواء!

فلا إله إلا الله! كم أهلكت هذه البلية من أمة، وكم ضربت من دار، وكم أزالت من نعمة، وجلبت من نقمة، وجرَّأت كثيرًا من النفوس على تكذيب الرسل واستجهالهم، وما عرف أصحاب هذه الشبهة أن اللَّه سبحانه قد يعطي أجهل الناس به وبأسمائه وصفاته وشرعه من الحذق في العلوم الرياضية والصنائع العجيبة ما تعجز عنه عقول أعلم الناس به ومعارفهم، وقد قال النبي ﷺ: «**أنتم أعلم بدنياكم**»(١). وصدق صلوات اللَّه وسلامه عليه، فإن العلوم الرياضية والهندسية وعلم الأرتماطيقي(٢) والموسيقى والجغرافيا وإيرن، وهو علم جرّ الأثقال، ووزن المياه وحفر الأنهار، وعمارة الحصون وعلم الفلاحة وعلم الحُمِّيات وأجناسها، ومعرفة الأبوال وألوانها وصفائها وكدرها وما يدل عليه، وعلم الشِّعر وبحوره وعلله وزِحَافه، وعلم الفنيطة، ونحو ذلك من العلوم - هم أعلم بها وأحذق فيها.

وأما العلم باللَّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتفاصيل ذلك فإلى الرسل، قال اللَّه تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الروم: ٧٦].

---

(١) أخرجه مسلم (١٤١/٢٣٦٣) بنحوه، من حديث أنس ﵁.

(٢) هو علم يبحث في معرفة خواص العدد وما يطابقها من معاني الموجودات. «أبجد العلوم» (٤١٤/٢).

قال بعض السلف: يبلغ من علم أحدهم بالدنيا أنه ينقر الدرهم بظفره فيعلم وزنه، ولا علم له بشيء من دينه!

وقال تعالى في علوم هؤلاء واغترارهم بها: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [غافر:٨٣]. وقد فاوت اللَّه سبحانه بين عباده فيما تناله عقولهم وأذهانهم أعظم تفاوت، والعقل يعطي صاحبه فائدته في النوع الذي يلزمه به ويشغله به ويقصره عليه - ما لا يعطيه في غيره، وإن كان غيره أسهل منه بكثير، كما يعطيه همته وقريحته في الصناعة التي هو معنيٌّ بها ومقصور العناية عليها ما لا يعطيه في صناعة غيرها، وكثيرًا ما تجد الرجل قد برز في اللطيف من أبواب العلم والنظر، وتخلَّف في الجليل منهما، وأصاب الأغمض الأدق منها، وأخطأ الأجلَّ الأوضح، هذا أمر واقع تحت العيان، فكيف وعلوم الأنبياء ومعارفهم من وراء طور العقل! والعقل وإن لم يستقل بإدراكها فإنه لا يحيلها؛ بل إذا أوردت عليه أقر بصحتها، وبادر إلى قبولها، وأذعن بالانقياد إليها، وعلم أن نسبة العلوم التي نالها الناس بأفكارهم إليها دون نسبة علوم الصبيان ومعارفهم إلى علوم هؤلاء بما لا يدرك.

السبب الخامس: الإغراب على النفوس بما لم تكن عارفة به من المعاني الغريبة، التي إذا ظفر الذهن بإدراكها ناله لذة من جنس لذة الظفر بالصيد الوحشي الذي لم يكن يطمع فيه، وهذا شأن النفوس؛ فإنها موكلةٌ بكل غريب تستحسنه وتؤثره وتنافس فيه، حتى إذا كَثُر ورخص وناله المثري والمقل زهدت فيه، مع كونه أنفع لها وخيرًا لها، ولكن لرخصه وكثرة الشركاء فيه، وتطلب ما تتميز به عن غيرها للذة التفرد والاختصاص، ثم اختاروا لتلك المعاني الغريبة ألفاظًا أغرب منها وألقوها في مسامع

الناس، وقالوا: إن المعارف العقلية والعلوم اليقينية تحتها. فتحركت النفوس لطلب فهم تلك الألفاظ الغريبة، وإدراك تلك المعاني، واتفق أن صادفت قلوبًا خالية من حقائق الإيمان وما بَعَثَ اللهُ به رسوله، فتمكنت منها، فعزَّ على أطباء الأديان استنقاذها منها، وقد تحكمت فيها، كما قيل:

تاللَّه ما أسَرَ الهوى من وامقٍ إلا وعَزَّ على الوَرَى استنقاذُه

ولمكان الاستغراب وقبول النفس لكل غريب لَهَجَ الناس بالأخبار الغريبة، وعجائب المخلوقات، والألغاز، والأحاجي، والصور الغريبة، وإن كانت المألوفة أعجب منها وأحسن وأتم خلقة.

السبب السادس: تقديم مقدمات قبل التأويل تكون كالأطناب والأوتاد لفسطاطه، فمنها:

ذم أصحاب الظواهر وعيبهم والإزراء بهم وأنهم قوم جهال لا عقول لهم، وإنما هم أصحاب ظواهر سمعية.

ومنها: قولهم: إن أدلة القرآن والسنة أدلة لفظية وهي لا تفيد علمًا ولا يقينًا، والعلم إنما يستفاد من أدلة المعقول وقواعد المنطق!

ومنها: قولهم: إذا تعارض العقل والنقل قُدِّمَ العقلُ على النقلِ!

فهذه المقدمات ونحوها هي أساس التأويل، فإذا انضمت هذه الأسباب بعضها إلى بعض وتقاربت، فيا محنة القرآن والسنة! وقد سلكا في قلوب قد تمكنت منها هذه الأسباب فهنالك التأويل والتحريف والتبديل والإضمار والإجمال»[1].

(١) «الصواعق المرسلة»، (٢/ ٤٥١ - وما بعدها).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٢٦

القاعدة السادسة والعشرون

أنهم يحذِّرون من الابتداع في الدين ومن القول على اللَّه بلا علم

قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الحديد: ٢٧].

قال شيخ الإسلام: «وليس في ذلك مدح للرهبانية ولا لمن بدَّل دين المسيح، وإنما فيه مدح لمن اتبعه بما جعل اللَّه في قلوبهم من الرحمة والرأفة، حيث يقول: ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [الحديد: ٢٧].

ثم قال: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ﴾. أي: وابتدعوا رهبانية ما كتبناها عليهم.

وهذه الرهبانية لم يشرعها اللَّه ولم يجعلها مشروعة لهم؛ بل نفى جعله عنها كما نفى ذلك عما ابتدعه المشركون بقوله: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [المائدة: ١٠٣].

وهذا الجعل المنفي عن البدع هو الجعل الذي أثبته للمشروع بقوله

تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨].

وقوله: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ [الحج:٦٧].

فالرهبانية ابتدعوها لم يشرعها اللّه، ثم قال: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد:٢٧]. أي: لم يكتب عليهم إلا ابتغاء رضوان الله، وابتغاء رضوان اللّه بفعل ما أمر به لا بما يبتدع، وهذا يسمى استثناءً منقطعًا»(١).

وثبت في «**الصحيحين**»: أن نفرًا من أصحاب النبي ﷺ قال أحدهم: أما أنا فأصوم لا أفطر. وقال آخر: أما أنا فأقوم لا أنام. وقال آخر: أما أنا فلا أتزوج النساء. وقال آخر: أما أنا فلا آكل اللحم. فقام النبي ﷺ خطيبًا، فقال: «**ما بال رجال يقول أحدهم كذا وكذا، لكني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوج النساء، وآكل اللحم، فمن رَغِبَ عن سُنَّتِي فليس منّي**»(٢).

وفي «**صحيح البخاري**» أن النبيَّ ﷺ رأى رجلًا قائمًا في الشمس، فقال: «**ما هذا؟**» قالوا: هذا أبو إسرائيل، نذر أن يقوم في الشمس ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم. فقال: «**مروه فلْيَجلِسْ ولْيَستظلَّ ولْيَتكلَّمْ ولْيُتمَّ صومَه**»(٣).

وثبت في «**صحيح مسلم**» عن النبي ﷺ أنه كان يقول في خطبته: «**خيرُ الكلامِ كلامُ اللهِ، وخيرُ الهدي هديُ محمدٍ، وشرُّ الأمورِ محدثاتُها، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ**»(٤). وقال عليه السلام لأبي بُرْدَةَ بن نِيَارٍ: «**شَاتُكَ شَاةُ لَحمٍ**».

---

(١) «الجواب الصحيح» (٢/ ١٩١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٧٦)، ومسلم (١٤٠١/ ٥) بنحوه من حديث أنس ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٢٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه مسلم (٨٦٧/ ٤٣) بنحوه من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

أخرجاه من حديث البراء[١]، والمعنى: أنها لم تقع الموقع الشرعي الذي يحبه الله.

«قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]. فالقول على اللَّه بلا علم أشد هذه المحرمات تحريمًا وأعظمها إثمًا، ولهذا ذُكر في المرتبة الرابعة من المحرَّمات التي اتفقت عليها الشرائع والأديان ولا تباح بحال؛ بل لا تكون إلا محرمة، وليست كالميتة والدم ولحم الخنزير الذي يباح في حال دون حال، فإن المحرمات نوعان: مُحرَّمٌ لذاته، لا يباح بحال. ومحرَّمٌ تحريمًا عارضًا في وقت دون وقت، قال اللَّه تعالى في المحرم لذاته: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾. ثم انتقل منه إلى ما هو أعظم منه، فقال: ﴿وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾. ثم انتقل منه إلى ما هو أعظم منه فقال: ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. فهذا أعظم المحرمات عند اللَّه وأشدّها إثمًا، فإنه يتضمن الكذب على اللَّه ونسبته إلى ما لا يليق به، وتغيير دينه وتبديله، ونفي ما أثبته وإثبات ما نفاه، وتحقيق ما أبطله وإبطال ما حقَّقه، وعداوة من والاه وموالاة من عاداه، وحب ما أبغضه وبغض ما أحبه، ووصفه بما لا يليق به في ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله، فليس في أجناس المحرَّمات أعظم عند اللَّه منه ولا أشد إثمًا، وهو أصل الشرك والكفر، وعليه أُسّست البدع والضلالات.

فكل بدعة مضلة في الدين أساسها القول على اللَّه بلا علم، ولهذا

---

(١) أخرجه البخاري (٩١٢، ٩٤٠، ٥٢٣٦)، ومسلم (١٩٦١/ ٤).

اشتدَّ نكير السلف والأئمة لها وصاحوا بأهلها من أقطار الأرض وحذَّروا فتنتهم أشد التحذير، وبالغوا في ذلك ما لم يبالغوا مثله في إنكار الفواحش والظلم والعدوان؛ إذ مضرَّة البدع وهدمها للدين ومنافاتها له أشد، وقد أنكر تعالى على من نسب إلى دينه تحليل شيء أو تحريمه من عنده بلا برهان من الله، فقال: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ الآية [النحل:١١٦]»(١).

- **ضرر إنحراف أهل العلم على المجتمعات المسلمة:**

«**وكل من آثر الدنيا من أهل العلم واستحبها فلا بد أن يقول على الله غير الحق في فتواه وحكمه، في خبره وإلزامه**، لأن أحكام الرب سبحانه كثيرًا ما تأتي على خلاف أغراض الناس، ولا سيما أهل الرياسة والذين يتَّبعون الشُّبهات؛ فإنهم لا تتم لهم أغراضهم إلا بمخالفة الحق ودفعه كثيرًا، فإذا كان العالم والحاكم محبين للرياسة متبعين للشهوات لم يتم لهم ذلك إلا بدفع ما يضاده من الحق، ولا سيما إذا قامت له شبهة فتتفق الشبهة والشهوة ويثور الهوى، فيخفى الصواب وينطمس وجه الحق، وإن كان الحق ظاهرًا لا خفاء به ولا شبهة فيه أقدم على مخالفته، وقال: لي مخرج بالتوبة! وفى هؤلاء وأشباههم قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [مريم:٥٩]. وقال تعالى فيهم أيضًا: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [الأعراف:١٦٩].

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٣٧٢).

فأخبر سبحانه أنهم أخذوا العرض الأدنى مع علمهم بتحريمه عليهم، وقالوا: سيغفر لنا. وإن عَرَضَ لهم عَرَضٌ آخر أخذوه، فهم مصرُّون على ذلك، وذلك هو الحامل لهم على أن يقولوا على اللَّه غير الحق، فيقولون: هذا حكمه وشرعه ودينه. وهم يعلمون أن دينه وشرعه وحكمه خلاف ذلك، أَوَلا يعلمون أن ذلك دينه وشرعه وحكمه؟! فتارة يقولون على اللَّه ما لا يعلمون، وتارة يقولون عليه ما يعلمون.

وأما الذين يتقون فيعلمون أن الدار الآخرة خير من الدنيا، فلا يحملهم حب الرياسة والشهوة على أن يؤثروا الدنيا على الآخرة، وطريق ذلك أن يتمسكوا بالكتاب والسنة، ويستعينوا بالصبر والصلاة، ويتفكروا في الدنيا وزوالها وخستها، والآخرة وإقبالها ودوامها.

وهؤلاء لا بد أن يبتدعوا في الدين مع الفجور في العمل، فيجتمع لهم الأمران، فإن اتباع الهوى يعمي عين القلب فلا يميز بين السنة والبدعة، أو ينكسه فيرى البدعة سنة والسنة بدعة، فهذه آفة العلماء إذا آثروا الدنيا واتبعوا الرياسات والشهوات»[(١)].

«**وبالجملة** فكل من أبغض شيئًا من الكتاب والسنة ففيه من عداوة النبي ﷺ بحسَب ذلك، وكذلك من أحب ذلك ففيه من الولاية بحسَب ذلك»[(٢)].

* * *

(١) «الفوائد» لابن القيم (ص١٠١).
(٢) «درء تعارض العقل» (٥/ ٢١٩).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رقمه
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٢٧

القاعدة السابعة والعشرون

أنهم يحذِّرون من طريقة أهل البدع في رميهم العلماء السائرين على طريقة السلف الصالح بالغِلظة والشدَّة بقصد التنفير منهم

قال تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾﴾ [الإسراء: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [التوبة: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الأحزاب: ١٩].

وقال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾ [النساء: ٦٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ما ذكرتم من لين الكلام والمخاطبة بالتي هي أحسن فأنتم تعلمون أني من أكثر الناس استعمالاً لهذا، لكن كل شيء في موضعه حسن، وحيث أمر اللَّه ورسوله بالإغلاظ على المتكلِّم لبغيه

وعدوانه على الكتاب والسنة فنحن مأمورون بمقابلته، لم نكن مأمورين أن نخاطبه بالتي هي أحسن، ومن المعلوم أن اللَّه تعالى يقول: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٣٩﴾ [آل عمران: ١٣٩]. فمن كان مؤمنًا فإنه الأعلى بنص القرآن.

وقال: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]. وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ۝٢٠ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢٠، ٢١]. واللَّه محقّق وعده لمن هو كذلك، كائنًا من كان.

ومما يجب أن يعلم أنه لا يسوغ في العقل ولا الدين طلب رضى المخلوقين؛ لوجهين:

أحدهما: أن هذا غير ممكن، **قال الشافعي**: «رضا الناس غاية لا تُدْرَكُ، فعليك بالأمر الذي يصلحك؛ فالزمه ودع ما سواه ولا تُعانِهِ»(١).

والثاني: أنَّا مأمورون بأن نتحرَّى رضا اللَّه ورسوله، ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢].

وعلينا أن نخاف اللَّه فلا نخاف أحدًا إلا الله، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]. وقال: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤]. وقال: ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [النحل: ٥١]. ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ [البقرة: ٤١].

فعلينا أن نخاف اللهَ ونتقيه في الناس فلا نظلمهم بقلوبنا ولا جوارحنا، ونؤدي إليهم حقوقهم بقلوبنا وجوارحنا، ولا نخافهم في اللَّه فنترك ما أمر اللَّه به ورسوله خيفة منهم، ومن لزم هذه الطريقة كانت

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١٢٣).

العاقبة له، كما كتبت عائشة إلى معاوية ﵄ : «أما بعد؛ فإنه من التمس رضى الناس بسخط اللَّه سخط اللَّه عليه وأسخط عليه الناس، وعاد حامدُه من الناس ذامًا، ومن التمس رضى اللَّه بسخط الناس رضي اللَّه عنه وأرضى عنه الناس»(١). فالمؤمن لا تكون فكرته وقصده إلا رضى ربه واجتناب سخطه، والعاقبة له، ولا حول ولا قوة إلا بالله»(٢).

وقال: «وهكذا الرد على أهل البدع إن لم يُقصد فيه بيانُ الحقِّ وهدى الخلق ورحمتُهم والإحسانُ إليهم؛ لم يكن عمله صالحًا، وإذا غلّظ في ذمِّ بدعةٍ ومعصيةٍ كان قصده بيان ما فيها من الفساد ليحذَرها العباد، كما في نصوص الوعيد وغيرها، وقد يُهجر الرجل؛ عقوبةً وتعزيرًا، والمقصود بذلك ردعه وردع أمثاله؛ للرحمة والإحسان، لا للتشفِّي والانتقام، كما هجر النبي ﷺ أصحابه الثلاثة الذي خُلِّفوا، لما جاء المتخلّفون عن الغزاة يعتذرون ويحلفون وكانوا يكذبون، وهؤلاء الثلاثة صدقوا وعوقبوا بالهجر، ثم تاب اللَّه عليهم ببركة الصدق»(٣).

وقال: «فإذا رأيت إمامًا قد غَلَّظ على قائلِ مقالته أو كفَّره فيها فلا يعتبر هذا حكمًا عامًّا في كل من قالها، إلا إذا حصل فيه الشرط الذي يستحق به التغليظ عليه والتكفير له؛ فإن من جحد شيئًا من الشرائع الظاهرة وكان حديثَ العهدِ بالإسلام، أو ناشئًا ببلدِ جهلٍ، لا يكفر حتى

(١) صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٥/ ٢٥٧)(٢٥٨٤٦)، (٦/ ١٩٨) (٣٠٦٣٧)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (١١/ ٤٥١) (٢٠٩٧٨) كلاهما بلفظه، والترمذي (٢٤١٤)، وانظر «الصحيحة» (٢٣١١).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٢٣٣).

(٣) «منهاج السنة النبوية» (٥/ ٢٣٩).

تبلُغَه الحُجَّةُ النبويةُ، وكذلك العكس: إذا رأيت المقالة المخطئة قد صدرت من إمام قديم فاغتفرت لعدم بلوغ الحجة له، فلا يغتفر لمن بلغته الحجة ما اغتفر للأول، فلهذا يبدَّعُ من بلغته أحاديث عذاب القبر ونحوها إذا أنكر ذلك، ولا تُبَدَّعُ عائشةُ ﵄ ونحوها ممن لم يعرف بأن الموتى يسمعون في قبورهم؛ فهذا أصل عظيم فتدبره فإنه نافع»[١].

* * *

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٦/ ٦١).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٢٨

القاعدة الثامنة والعشرون

أنهم لا يوالون ويعادون في غير مرضاة اللَّه

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنفال: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

وقال ﷺ: **«ثَلاثٌ من كُنَّ فيه وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: مَن كان اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إليه مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لَا يُحِبُّهُ إلا لِلَّهِ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إذ أَنْقَذَهُ اللَّه كما يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ»**. أخرجاه(١).

وقال ﷺ: **«إن أوثقَ عُرَى الإسلام: أن تُحِبَّ في اللَّه وتُبْغِضَ في الله»** رواه أحمد وغيره، وهوحديث حسن(٢).

قال شيخ الإسلام: «وذلك يجري [أي من يوالي ويعادي من أجل هواه] فيمن يحب صاحب بدعة لكونه له داعية إلى تلك البدعة يحوجه إلى أن ينصر الباطل الذي يعلم أنه باطل وإلا عاداه، ولهذا صار علماء

(١) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣/٦٧) من حديث أنس ﷺ.
(٢) حسن: أخرجه أحمد (٤/٢٨٦)، وانظر «الصحيحة» (٩٩٨).

الكفار وأهل البدع - مع علمهم بأنهم على الباطل - ينصرون ذلك الباطل لأجل الأَتباع والمحبين، ويعادون أهل الحق ويهجَنون[1] طريقهم، فمن أحب غير اللَّه ووالى غيره كره محبَّ اللَّه ووليَّه، ومن أحب أحدًا لغير اللَّه كان ضررُ أصدقائه عليه أعظمَ من ضرر أعدائه، فإن أعداءه غايتهم أن يحولوا بينه وبين هذا المحبوب الدنيوي، والحيلولة بينه وبينه رحمة في حقه، وأصدقاؤه يساعدونه على نفي تلك الرحمة وذهابها عنه، فأيُّ صداقةٍ هذه، ويحبون بقاء ذلك المحبوب ليستعملوه في أغراضهم وفيما يحبونه، وكلاهما ضرر عليه؟! قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾ [البقرة:١٦٦].

قال الفضيل بن عياض، عن ليث، عن مجاهد: «هي المَوَدَّات التى كانت لغير الله، والوَصَلات التى كانت بينهم في الدنيا».

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧].

فالأعمالُ التى أراهم اللَّه حسراتٍ عليهم هي الأعمالُ التى يفعلها بعضُهم مع بعضٍ في الدنيا كانت لغير الله، ومنها الموالاةُ والصحبةُ والمحبةُ لغير الله، فالخيرُ كلُّه في أن يُعبد اللهُ وحده، لا يشرك به شيئًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[2].

«ولهذا تجد قومًا كثيرين يحبُّون قومًا ويبغضون قومًا لأجل أهواءٍ لا يعرفون معناها ولا دليلها، بل يوالون على إطلاقها، أو يعادون، من غير

---

(١) هَجَن الأمرَ: قبَّحه وعابه. المعجم الوسيط (هـ ج ن).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٦٠٦- وما بعدها).

أن تكون منقولة نقلاً صحيحًا عن النبي ﷺ وسلف الأمة، ومن غير أن يكونوا هم يعقلون معناها ولا يعرفون لازمها ومقتضاها.

وليس لأحد أن يُنَصِّبَ للأمة شخصًا يدعو إلى طريقته ويوالي ويعادي عليها غير النبي ﷺ، ولا يُنَصِّبَ لهم كلامًا يوالي عليه ويعادي غيرَ كلامِ اللهِ ورسولِه، وما اجتمعت عليه الأمة، بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصًا أو كلامًا يفرقون به بين الأمة؛ يوالون به على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون، والخوارج إنما تأولوا آيات من القرآن على ما اعتقدوه وجعلوا من خالف ذلك كافرًا؛ لاعتقادهم أنه خالف القرآن، فمن ابتدع أقوالًا ليس لها أصل في القرآن وجعل مَن خالفها كافرًا كان قوله شرًّا من قول الخوارج»[١].

* * *

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٠/ ١٦٤).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٢٩

القاعدة التاسعة والعشرون

أنهم يحذِّرون من جعلِ الدين وسيلة للحصول على الدنيا

قال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الإسراء: ١٨].

وقال: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [الأعراف: ١٦٩]. وقال: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَـٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ﴿٢٠٠﴾﴾ [البقرة: ٢٠٠].

وقال ﷺ: «**تَعِسَ عبدُ الدِّينارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إن أُعْطِيَ رضي، وَإِنْ لم يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وإذا شِيكَ فلا انْتَقَشَ**». أخرجه البخاري[1].

«فصاحب البدعة يبقى صاحب هوىً يعمل لهواه لا ديانةً، ويصدر

---

(١) برقم (٢٧٣٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

عن الحق الذي يخالفه هواه، فهذا يعاقبه اللَّه على هواه، ومثل هذا يستحق العقوبة في الدنيا والآخرة، ومن فسَّق من السلف الخوارجَ ونحوهم، كما روي عن سعد بن أبي وقاص أنه تأول فيهم قوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [البقرة: ٢٦، ٢٧]. فقد يكون هذا قصده، لاسيما إذا تفرق الناس فكان ممن يطلب الرياسة له ولأصحابه، وإذا كان المسلم الذي يقاتل الكفار قد يقاتلهم شجاعة وحميَّةً ورياءً، وذلك ليس في سبيل الله، فكيف بأهل البدع الذين يخاصمون ويقاتلون عليها، فإنهم يفعلون ذلك شجاعة وحميَّةً، وربما يعاقبون لما اتبعوا أهواءهم بغير هدى من اللَّه لا لمجرد الخطأ الذي اجتهدوا فيه»[(١)].

وقال: «وكثيرًا ما يخالط النفوس من الشهوات الخفية ما يفسد عليها تحقيق محبتها لله وعبوديتها له وإخلاص دينها له، كما قال شداد بن أوس: «يا بقايا، العرب إن أخوف ما أخافُ عليكم الرياء والشهوة الخفية»[(٢)]. قيل لأبى داود السجستاني: وما الشهوة الخفية؟ قال: «حب الرئاسة»[(٣)]، وعن كعب بن مالك عن النبى ﷺ أنه قال: **«ما ذئبان جائعان أُرْسِلَا في زَرِيبة غنمٍ بأفسدَ لها مِن حرصِ المرءِ على المالِ والشرفِ لدينهِ»**[(٤)].

(١) «منهاج السنة النبوية» (٥/ ٢٥١).
(٢) أخرجه البيهقيُّ في «الشعب» (٦٥٥٩، ٦٥٦٠).
(٣) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/ ٥٨).
(٤) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٤٥٦، ٤٦٠)، والترمذي (٢٣٧٦)، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (١٧١٠).

فبيَّنَ أن الحرص على المال والشرف في فساد الدين لا يَنقُصُ عن فساد الذئبين الجائعين لزريبة الغنم، وذلك بيِّنٌ؛ فإن الدين السليم لا يكون فيه هذا الحرص، وذلك أن القلب إذا ذاق حلاوة عبوديته لله ومحبته له لم يكن شيء أحب إليه من ذلك حتى يقدمه عليه، وبذلك يصرف عن أهل الإخلاص لله السوء والفحشاء، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤] اهـ»[١].

«وغاية مريد الرياسة أن يكون كفرعون، وجامع المال أن يكون كقارون، وقد بين اللّه تعالى في كتابه حال فرعون وقارون، فقال تعالى: ﴿۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾﴾ [غافر: ٢١]. وقال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣].

فإن الناس أربعة أقسام:

القسم الأول: يريدون العلوّ على الناس والفساد في الأرض، وهو معصية الله، وهؤلاء الملوك والرؤساء المفسدون كفرعون وحزبه، وهؤلاء هم شرار الخلق، قال اللّه تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص: ٤].

وروى مسلم في «صحيحه» عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**لا يدخلُ الجنةَ مَن في قلبِه مثقالُ ذرةٍ مِن كِبْرٍ، ولا يدخلُ**

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٢١٥).

النارَ مَن في قلبِه مثقالُ ذرةٍ من إيمانٍ». فقال رجل: يا رسول الله؛ إني أحبُّ أن يكون ثوبي حسنًا ونعلي حسنًا، أفمن الكبر ذاك؟ قال: «**إنَّ اللهَ جميلٌ يحبُّ الجمالَ، الكِبْرُ بَطَرُ الحقِّ وغَمْطُ الناسِ**»(١). فبَطَرُ الحقِّ: دفعه وجحدُه. وغَمْطُ الناس: احتقارُهم وازدراؤهم، وهذا حال من يريد العلو والفساد.

والقسم الثاني: الذين يريدون الفساد بلا علوٍّ؛ كالسراق والمجرمين من سفلة الناس.

والقسم الثالث: يريدون العلو بلا فساد، كالذين عندهم دين يريدون أن يعلوا به على غيرهم من الناس.

وأما القسم الرابع: فهم أهل الجنة الذين لا يريدون علوًّا في الأرض ولا فسادًا، مع أنهم قد يكونون أعلى من غيرهم، كما قال اللّه تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥] وقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]. فكم ممن يريد العلو ولا يزيده ذلك إلا سفولًا، وكم ممن جُعِل من الأَعْلَين وهو لا يريد العلو ولا الفساد»(٢).

وقال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦]. فهذا مَثَلُ عالم السوء الذي يعمل بخلاف علمه.

(١) أخرجه مسلم (٩١/ ١٤٧) بنحوه.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٣٩٣).

«وتأمل ما تضمنته هذه الآية من ذمه، وذلك من وجوه:

أحدها: أنه ضلَّ بعد العلم، واختار الكفر على الإيمان، عمدًا لا جهلاً.

وثانيها: أنه فارق الإيمان مفارقة من لا يعود إليه أبدًا؛ فإنه انسلخ من الآيات بالجملة كما تنسلخ الحية من قشرها، ولو بقي معه منها شيء لم ينسلخ منها.

وثالثها: أن الشيطان أدركه ولحقه بحيث ظفر به وافترسه، ولهذا قال: ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾. ولم يقل: (تبعه). فإن في معنى (أتبعه) أدركه ولحقه، وهو أبلغ من (تبعه) لفظًا ومعنى.

ورابعها: أنه غوى بعد الرُّشد، والغيّ: الضلال فى العلم والقصد، وهو أخص بفساد القصد والعمل، كما أن الضلال أخص بفساد العلم والاعتقاد، فإذا أُفرد أحدهما دخل فيه الآخر، وإن اقتُرنا فالفرق ما ذُكر.

وخامسها: أنه سبحانه لم يشأ أن يرفعه بالعلم، فكان سبب هلاكه؛ لأنه لم يرفعه به فصار وبالًا عليه، فلو لم يكن عالمًا كان خيرًا له وأخف لعذابه.

وسادسها: أنه سبحانه أخبر عن خِسَّة همَّته، وأنه اختار الأسفل الأدنى على الأشرف الأعلى.

وسابعها: أن اختياره للأدنى لم يكن عن خاطر وحديث نفس، ولكنه كان عن إخلادٍ إلى الأرض وميل بكليته إلى ما هناك، وأصل الإخلاد: اللزوم على الدوام، وعبَّر عن ميله إلى الدنيا بإخلاده إلى الأرض؛ لأن الدنيا هي الأرض وما فيها، وما يستخرج منها من الزينة والمتاع.

وثامنها: أنه رغب عن هداه واتبع هواه، فجعل هواه إمامًا له يقتدي

به ويتبعه.

وتاسعها: أنه شبَّهه بالكلب الذي هو أخسّ الحيوانات هِمَّةً، وأسقطها نفسًا وأبخلها وأشدها كَلَبًا[١]، ولهذا سُمِّيَ كلبًا.

وعاشرها: أنه شبَّه لَهْثَه على الدنيا، وعدم صبره عنها، وجزعه لفقدها وحرصه على تحصيلها - بلهث الكلب فى حالتي تركه والحمل عليه بالطرد، وهكذا هذا: إن تُرِكَ فهو لهثان على الدنيا، وإن وُعِظَ وزُجِرَ فهو كذلك، فاللهث لا يفارقه في كل حال كلهث الكلب.

قال ابن قتيبة: كل شيء يلهث فإنما يلهث من إعياء أو عطش، إلا الكلب فإنه يلهث فى حال الكَلَال وحال الراحة، وحال الري وحال العطش، فضرَبَه اللَّه مثلاً لهذا الكافر، فقال: إن وعظته فهو ضال، وإن تركته فهو ضال؛ كالكلب إن طردته لَهَثَ، وإن تركته على حاله لَهَثَ، وهذا التمثيل لم يقع بكل كلب، وإنما وقع بالكلب اللاهث، وذلك أخس ما يكون وأشنعه»[٢].

* * *

(١) يعني: حرصًا. وينظر اللسان (ك ل ب).

(٢) «الفوائد»، لابن القيم (ص١٠١- وما بعدها).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٣٠

القاعدة الثلاثون

يعتقدون وجوب لزوم المنهاج النبوي في الدعوة إلى الله

قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف: ٣]. وقال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾﴾ [محمد: ١٤].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨]. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥].

وقال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾ [هود: ١٢]. وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠]

سُئل شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني رَحِمَهُ اللَّهُ: عن جماعة يجتمعون على قصد الكبائر من القتل وقطع الطريق والسرقة وشرب الخمر وغير ذلك، ثم إن شيخًا من المشائخ المعروفين بالخير واتباع السنة قصد منع المذكورين من ذلك، فلم يمكنه إلا أن يقيم لهم سماعًا يجتمعون فيه بهذه النية، وهو بدفٍّ بلا صلاصل، وغناء المغني بشعر مباح بغير شَبَّابَةٍ[1]، فلما فعل هذا تاب منهم جماعة وأصبح من لا يصلي ويسرق ولا يزكي، يتورع عن الشبهات، ويؤدي المفروضات، ويجتنب المحرمات، فهل يباح فعل هذا السماع لهذا الشيخ على هذا الوجه؛ لما يترتب عليه من المصالح، مع أنه لا يمكنه دعوتهم إلا بهذا؟

فأجاب: «الحمد لله رب العالمين، أصل جواب هذه المسألة وما أشبهها:

١- أن يعلم أن اللَّه بعث محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى باللَّه شهيدًا، وأنه أكمل له ولأمته الدين، كما قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

٢- وأنه بشَّرَ بالسعادة لمن أطاعه، والشقاوة لمن عصاه، فقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُولَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣].

(١) الشَّبَّابَةُ: نوع من المزمار. وينظر «فيض القدير» (٦/ ٤٣٣).

٣- وأمر الخلق أن يَرُدُّوا ما تنازعوا فيه من دينهم إلى ما بعثه به، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: ٥٩].

٤- وأخبر أنه يدعو إلى اللّه وإلى صراطه المستقيم، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ٥٣﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣].

٥- وأخبر أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويحل الطيبات ويحرم الخبائث، كما قال تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧]، وقد أمر اللّه الرسول بكل معروف ونهى عن كل منكر، وأحل كل طيب وحرم كل خبيث، وثبت عنه ﷺ في «الصحيح» أنه قال: **«ما بعَثَ اللهُ نبيًا إلا كان حقًّا عليه أن يدلَّ أمتَه على خيرِ ما يعلمُه لهم، وينهاهم عن شرِّ ما يعلمُه لهم»**(١)، وثبت عن العِرْباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعَظَنا رسولُ اللّه ﷺ موعظةً وجِلَتْ منها القلوبُ، وذَرَفَتْ منها

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٤/ ٤٦)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

العيونُ. قال: فقلنا: يا رسول الله، كأن هذه موعِظَةُ مودِّع، فماذا تعهد إلينا؟

فقال: «**أوصيكم بالسمعِ والطاعةِ، فإنه من يَعِشْ منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنةِ الخلفاءِ الراشدين المهديين من بعدي، تمسَّكوا بها وعضُّوا عليها بالنواجذِ، وإياكم ومحدثاتِ الأمورِ، فإن كلَّ بدعةٍ ضلالةٌ**»(١).

وثبت عنه أنه قال: «**ما تركتُ مِن شيءٍ يُبعدُكم عن النارِ إلا وقد حدثتُكم به**»(٢).

وقال: «**تركتُكم على البيضاءِ ليلُها كنهارِها لا يَزيغُ عنها بعدى إلا هالكٌ**»(٣).

وشواهد هذا الأصل العظيم الجامع من الكتاب والسنة كثيرة، وترجم عليه أهل العلم في الكتب كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، كما ترجم عليه البخاري والبغوي وغيرهما، فمن اعتصم بالكتاب والسنة كان من أولياء اللَّه المتقين، وحزبه المفلحين، وجنده الغالبين، وكان السلف كمالك وغيره يقولون: السُّنة كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلَّف عنها غرق. وقال الزُّهري: كان من مضى من علمائنا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة.

إذا عُرِفَ هذا فمعلوم أنما يهدي اللهُ به الضالين، ويُرشدُ به الغاوين، ويتوبُ به على العاصين - لا بد أن يكون فيما بعَث اللهُ به رسولَه من

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٢٥، ٢٦).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٧٩) (٣٤٣٣٢).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦)، وابن ماجه (٤٣)، وانظر «الصحيحة» (٩٣٧).

الكتابِ والسنةِ، وإلا فإنه لو كان ما بعث اللهُ به الرسولَ لا يكفى في ذلك لكان دينُ الرسولِ ناقصًا محتاجًا تتمةً!

وينبغي أن يعلم أن الأعمالَ الصالحةَ أمر اللهُ بها أَمْرَ إيجابٍ أو استحبابٍ، والأعمالَ الفاسدةَ نهى اللهُ عنها، والعملُ إذا اشتمل على مصلحةٍ ومفسدةٍ فإن الشارع حكيمٌ؛ فإن غَلَبَتْ مصلحتُه على مفسدته شَرَعَه، وإن غَلَبَتْ مفسدتُه على مصلحته لم يُشَرِّعْه، بل نهى عنه، كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩]. ولهذا حرَّمهما اللَّه تعالى بعد ذلك، وهكذا ما يراه الناس من الأعمال مقربًا إلى اللَّه ولم يشرعه اللَّه ورسوله؛ فإنه لا بد أن يكون ضررُه أعظمَ مِن نَفْعِه، وإلا فلو كان نفعُه أعظمَ غالبًا على ضررِه لم يهملْه الشارع، فإنه حكيمٌ لا يهملُ مصالحَ الدِّينِ، ولا يفوِّت المؤمنين ما يقرِّبهم إلى رب العالمين.

إذا تبين هذا؛ فنقول للسائل: إن الشيخَ المذكورَ قصَد أن يتوِّب المجتمعين على الكبائر، فلم يُمكنْه ذلك إلا بما ذكره من الطريق البدعي، يدلُّ أن الشيخ جاهلٌ بالطرق الشرعية التى بها تتوب العصاةُ، أو عاجزٌ عنها، فإن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين كانوا يدعون من هو شرٌّ من هؤلاء من أهل الكفر والفسوق والعصيان، بالطرق الشرعية التي أغناهم اللَّه بها عن الطرق البدعية، فلا يجوز أن يقال: إنه ليس في الطرق الشرعية التى بعث اللَّه بها نبيَّه ﷺ ما يتوب به العصاة.

فإنه قد عُلِمَ بالاضطرار والنقل المتواتر أنه قد تاب من الكفر والفسوق والعصيان من لا يُحصيه إلا اللهُ تعالى من الأمم بالطرق الشرعية التي ليس فيها ما ذُكر من الاجتماع البدعي؛ بل السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان - وهم خير أولياء اللَّه المتقين من هذه الأمة - تابوا إلى اللَّه تعالى بالطرق الشرعية، لا بهذه الطرق البدعية، وأمصار المسلمين وقُرَاهم قديمًا وحديثًا مملوءةٌ ممن تاب إلى اللَّه واتَّقاه، وفعل ما يحبه اللَّه ويرضاه، بالطرق الشرعية، لا بهذه الطرق البدعية.

فلا يمكن أن يقال: إن العصاة لا تُمْكنُ توبتُهم إلا بهذه الطرق البدعية؛ بل قد يقال: إن في الشيوخ مَن يكون جاهلًا بالطرق الشرعية عاجزًا عنها، ليس عنده علم بالكتاب والسنة وما يخاطب به الناس ويسمعهم إياه، مما يتوب اللَّه عليهم، فيعدل هذا الشيخ عن الطرق الشرعية إلى الطرق البدعية، إما مع حُسنِ القصد إن كان له دين، وإما أن يكون غرضُه الترؤُّسَ عليهم وأَخْذَ أموالِهم بالباطل، كما قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤].

فلا يعدلُ أحد عن الطرق الشرعية إلى البدعية إلا لجهلٍ، أو عجزٍ، أو غرضٍ فاسدٍ، فالسؤال عن مثل هذا أن يقال: هل ما يفعله هؤلاء طريقٌ وقربةٌ وطاعةٌ لله تعالى يحبُّها اللهُ ورسولُه، أم لا؟ وهل يُثابون على ذلك، أم لا؟ وإذا لم يكن هذا قربةً وطاعةً وعبادةً للهِ، ففعلوه على أنه قربة وطاعة وعبادة وطريق إلى اللَّه تعالى؛ هل يَحِلُّ لهم هذا الاعتقاد وهذا العمل على هذا الوجه؟ وإذا كان السؤال على هذا الوجه لم يكن

للعالم المتبع للرسول ﷺ أن يقول: إن هذا من القُرَبِ والطاعات، وأنه من أنواع العبادات، وأنه من سبيل اللَّه تعالى وطريقه الذي يدعو به هؤلاء إليه، ولا أنه مما أمر اللَّه تعالى به عباده، لا أمر إيجاب ولا أمر استحباب، وما لم يكن من الواجبات والمستحبات فليس هو محمودًا ولا حسنة ولا طاعة ولا عبادة باتفاق المسلمين»[١].

«وأما الأنواع النافعة في حل عقدة الإصرار وحمل الناس على ترك الذنوب فهي أربعة أنواع:

الأول: أن يذكر ما في القرآن من الآيات المخوفة للمذنبين والعاصين، وكذا ما ورد من الأخبار والآثار في ذم المعاصي ومدح التائبين.

الثاني: حكايات الأنبياء والسلف الصالحين وما جرى عليهم من المصائب بسبب ذنوبهم، فذلك شديد الوقع ظاهر النفع في قلوب الخلق؛ مثل أحوال آدم صلى اللَّه عليه وسلم في عصيانه وما لقيه من الإخراج من الجنة ونحوها، فإنه لم يرد بها القرآن والأخبار وورود الأسمار، بل الغرض بها الاعتبار والاستبصار لتعلم أن الأنبياء عليهم السلام لم يتجاوز عنهم في الذنوب الصغار فكيف يتجاوز عن غيرهم في الذنوب الكبار؟! فهذا أيضًا مما ينبغي أن يكثر جنسه على أسماع المصرِّين فإنه نافع في تحريك دواعي التوبة.

الثالث: أن يقرر عندهم أن تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع على الذنوب وأن كل ما يصيب العبد من المصائب فهو بسبب جناياته، فينبغي

(١) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٦٣٤).

أن يُخوَّف به، وفي الخبر: «**إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه**»[١] وقال بعض السلف: ليست اللعنة سوادًا في الوجه ونقصانًا في المال، إنما اللعنة أن لا تخرج من ذنب إلا وقعت في مثله، أو شرٌّ منه وهو كما قال؛ لأن اللعنة هي الطرد والإبعاد فإذا لم يُوفَّق للخير ويُسِّرَ له الشر فقد أُبعد، والحرمان عن رزق التوفيق أعظم حرمان؛ وكل ذنب فإنه يدعو إلى ذنب آخر ويتضاعف؛ فيحرم العبد به عن رزقه النافع، من مجالسة العلماء المنكرين للذنوب، ومن مجالسة الصالحين، بل يمقته اللَّه تعالى ليمقته الصالحون.

وبالجملة فالأخبار كثيرة في آفات الذنوب في الدنيا، فمن ابتلي بشيء منها كان عقوبة له، وإن أصابته نعمة كانت استدراجًا له، ويحرم جميل الشكر حتى يعاقب على كفرانه.

وأما المطيع فمن بركة طاعته أن تكون كل نعمة في حقه جزاءً على طاعته ويوفق لشكرها، وكل بلية كفارة لذنوبه وزيادة في درجاته.

الرابع: ذكر ما ورد من العقوبات على آحاد الذنوب كالخمر والزنا والسرقة وغير ذلك»[٢].

* * *

(١) أخرجه أحمد في «المسند» ٥/ ٢٧٧، والنسائي في الرقائق، وابن ماجه ٢/ ١٣٣٤وابن حبان في «صحيحه» ٣/ ١٥٣ من حديث ثوبان ﷺ وهو حديث حسن.

(٢) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين» للقاسمي (١/ ٤١٢).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٣١

القاعدة الحادية والثلاثون

أنهم يعتقدون أن التعامل مع الحوادث المتغيرة يجب أن يكون مبنيًا على فهم أدلة الشريعة ومعرفة سنن الله في خلقه

قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنفال: ٥٣]. وقال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [آل عمران: ١٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾﴾ [هود: ٨٩]. وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء: ١٢٣]. وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام: ١١٢].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الأنعام: ١٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّٰلِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأنعام: ١٢٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأعراف: ١٥٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [المائدة: ١٠٥].

قال شيخ الإسلام: «قوله تعالى ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۚ﴾ لا يقتضي ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا نهيًا ولا إذنًا، كما في الحديث المشهور في السنن، عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه خطب على منبر رسول اللَّه ﷺ، فقال: «أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآيةَ وتضعونها في غير موضعها، وإني سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إن الناسَ إذا رأَوْا المنكرَ فلم يُغَيِّرُوهُ أوشَكَ أن يَعُمَّهم اللهُ بعقابٍ منه**»(١). وكذلك في حديث أبي ثعلبة الخُشَنِي، مرفوعًا، في تأويلها: «**إذا رأيت شحًّا مطاعًا، وهوىً متَّبَعًا، وإعجابَ كلِّ ذي رأي برأيه؛ فعليك بخُوَيْصَّةِ نفسِك**»(٢). وهذا يفسره حديثُ أبي سعيد في «مسلم»: «**مَن رأى منكم منكرًا فليُغَيِّرْه بيده، فإن لم يستطِعْ فبلسانِه، فإن لم يستطِعْ فبقلبِه، وذلك أضعفُ الإيمانِ**»(٣).

---

(١) تقدم تخريجه (ص ١٣٧).

(٢) ضعيف: أخرجه أبو داود (٤٣٤١، ٤٣٤٣)، والترمذي (٣٠٥٨). وانظر: الضعيفة (١٠٢٥).

(٣) تقدم تخريجه (ص ١٣٧).

فإذا قوي أهلُ الفجور حتى لا يبقى لهم إصغاءٌ إلى البرِّ؛ بل يؤذون الناهيَ لغلبة الشُّحِّ والهَوَى والعُجْب؛ سقط التغييرُ باللسانِ في هذه الحال وبقي بالقلب.

ولكن في الآية فوائدُ عظيمةٌ:

أحدها: ألا يخاف المؤمنُ من الكفار والمنافقين، فإنهم لن يَضرُّوه إذا كان مهتديًا.

الثاني: ألا يحزن عليهم ولا يجزع عليهم، فإن معاصيهم لا تضرُّه إذا اهتدى، والحزن على ما لا يضر عبث.

وهذان المعنيان مذكوران في قوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [النحل:١٢٧].

الثالث: أن لا يركن إليهم ولا يمد عينه إلى ما أُوتُوه من السلطان والمال والشهوات، كقوله: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الحجر:٨٨]. فنهاه عن الحزن عليهم والرغبة فيما عندهم في آية، ونهاه عن الحزن عليهم والرهبة منهم في آية، فإن الإنسان قد يتألم عليهم ومنهم؛ إما راغبًا وإما راهبًا.

الرابع: ألا يعتدي على أهل المعاصي بزيادة على المشروع في بُغضِهم أو ذمِّهم أو نهيهم أو هَجْرِهم أو عقوبتهم؛ بل يقال لمن اعتدى عليهم: عليك نفسك لا يضرك من ضل إذا اهتديت. كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ﴾ الآية [المائدة:٨].

وقال: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة:١٩٠]. وقال: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٩٣].

فإن كثيرًا من الآمرين الناهين قد يتعدَّى حدود الله، إما بجهل وإما بظلم، وهذا باب يجب التثبت فيه، وسواء في ذلك الإنكار على الكفار والمنافقين، والفاسقين والعاصين.

الخامس: أن يقوم بالأمر والنهي على الوجه المشروع: من العلم، والرفق والصبر، وحُسْنِ القَصْدِ، وسلوك السَّبيلِ القَصْدِ، فإن ذلك داخل في قوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾. وفي قوله: ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾.

فهذه خمسة أوجه تستفاد من الآية لمن هو مأمور بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفيها المعنى الآخر، وهو إقبال المرء على مصلحة نفسه علمًا وعملاً، وإعراضُه عما لا يَعنيه، كما قال صاحب الشريعة: «**مِن حُسنِ إسلامِ المرءِ تركُه ما لا يَعنيه**»[1]. ولا سيما كثرة الفضول فيما ليس بالمرء إليه حاجة مِن أمر دينِ غيرِه ودنياه، لا سيما إن كان التكلمُ لحسدٍ أو رئاسةٍ، وكذلك العمل، فصاحبه إما معتدٍ ظالمٍ وإما سفيهٌ عابِثٍ، وما أكثر ما يُصوِّرُ الشيطان ذلك بصورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، ويكون من باب الظلم والعدوان، فتأمُّلُ الآيةِ في هذه الأمورِ مِن أنفعِ الأشياءِ للمرءِ.

وأنت إذا تأملتَ ما يقع من الاختلاف بين هذه الأمة - علمائها وعبادها وأمرائها ورؤسائها - وجدتَ أكثره من هذا الضرب الذي هو البغي بتأويلٍ أو بغير تأويلٍ، كما بَغَتِ الجهميةُ على المستنَّة[2] في محنة

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٣١٧)، وابن ماجه (٣٩٧٦) وانظر «صحيح ابن ماجه» (٣٢١١).

(٢) أي: أهل السُّنَّة.

الصفات والقرآن، محنة أحمد وغيره، وكما بغتِ أهل البدع على المستنَّة مرات متعددة، وكما بغتِ النَّاصبة على عليٍّ وأهل بيته، وكما قد تبغي المشبِّهةُ على المنزِّهةِ، وكما قد يبغي بعضُ المستنَّة، إما على بعضهم، وإما على نوع من المبتدعة، بزيادةٍ على ما أمر اللَّه به، وهو الإسرافُ المذكور في قولهم: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا﴾ [آل عمران: ١٤٧]. وبإزاءِ هذا العدوان تقصير آخرين فيما أُمروا به من الحق، أو فيما أُمروا به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذه الأمور كلها، فما أحسنَ ما قال بعض السلف: ما أمر اللَّه بأمر إلا اعترض الشيطانُ فيه بأمرين، لا يبالي بأيهما ظَفَر: غلوٌّ، أو تقصير.

فالمُعِينُ على الإثم والعدوان بإزائه تاركُ الإعانة على البر والتقوى، وفاعلُ المأمور به وزيادةٍ منهيٌّ عنها بإزائه تاركُ المنهيِّ عنه وبعضِ المأمورِ به، واللهُ يهدينا الصراطَ المستقيمَ، ولا حول ولا قوة إلا بالله»(١).

* * *

(١) «مجموع الفتاوى» (١٤/ ٤٧٩).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٣٢

القاعدة الثانية والثلاثون

وجوب تحذير الأمة من أئمة البدع

قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾ [الأعراف: ١٨١].

وقال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [المائدة: ٦٣]. وقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰصَـٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾﴾ [هود: ٦٢]. وقال تعالى: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٩].

وقال تعالى: ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ [التوبة: ٣٤].

قال شيخ الإسلام: «ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة، أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة؛ فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين، حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلِّي ويعتكف أحبُّ إليك، أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: «إذا صام وصلَّى واعتكفَ، فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل

البدع فإنما هو للمسلمين؛ هذا أفضل». فبيَّن أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله، إذ تطهيرُ سبيلِ اللَّه ودينِه ومنهاجِه وشرعتِه ودفعُ بغيِ هؤلاء وعدوانِهم على ذلك واجبٌ على الكفاية باتفاق المسلمين، ولولا من يقيمه اللَّه لدفع ضرر هؤلاء لَفَسَدَ الدينُ، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب، فإن هؤلاء إذا استولَوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعًا، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداءً.

وأعداء الدين نوعان: الكفار، والمنافقون؛ وقد أمر اللَّه نبيه ﷺ بجهاد الطائفتين، في قوله: ﴿جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [التوبة: ٧٣، والتحريم: ٩]. في آيتين من القرآن، فإذا كان أقوام منافقون يبتدعون بدعًا تخالف الكتاب ويُلبسونها على الناس، ولم تُبيَّنْ للناس، فَسَدَ أمرُ الكتابِ، وبُدِّل الدين، كما فسد دين أهل الكتاب قبلنا بما وقع فيه من التبديل الذي لم يُنْكَرْ على أهله، وإذا كان أقوام ليسوا منافقين لكنهم سمَّاعون للمنافقين قد التبس عليهم أمرهم، حتى ظنوا قولهم حقًّا، وهو مخالف للكتاب، وصاروا دعاة إلى بدع المنافقين، كما قال تعالى: ﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ﴾ [التوبة: ٤٧].

فلا بد أيضًا من بيان حال هؤلاء؛ بل الفتنة بحال هؤلاء أعظم، فإن فيهم إيمانًا يوجب موالاتهم، وقد دخلوا في بدع من بدع المنافقين التي تفسد الدين، فلا بد من التحذير من تلك البدع، وإن اقتضى ذلك ذِكْرَهم وتعيينَهم؛ بل ولو لم يكن قد تلقَّوا تلك البدعة عن منافق لكن قالوها ظانين أنها هُدى، وأنها خير، وأنها دين، ولم تكن كذلك -

لوجب بيان حالها»[١].

«وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد سئل عن رجل استمر على ترك الوتر: «هذا رجل سوء». إياك أن تتبع شيخًا يقتدي بنفسه، ولا يكون له إمام يعزي إليه ما يدعوك إليه، ويتصل ذلك بشيخ إلى شيخ إلى الرسول ﷺ.

اللَّه الله! الثقةُ بالأشخاص ضلالٌ، والركونُ إلى الآراء ابتداعٌ، اللينُ والانطباع في الطريقة مع السنة أحبُّ إليَّ من الخشونة والانقباض مع البدعة، لا تتقرَّبْ إلى اللَّه تعالى بالامتناع مما لم يمنع منه، كما لا تتقرَّبْ إليه بعملٍ ما لم يأذنْ فيه»[٢].

* * *

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٣١).
(٢) «الصواعق المرسلة» (٤/ ١٣٤٨).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٣٣

القاعدة الثالثة والثلاثون

أن أهل البدع أقسام

القسم الأول - كما قال ابن القيم -: «الجاهلُ المُقلِّدُ الذي لا بصِيرَةَ له، فهذا لا يُكفَّرُ ولا يُفسَّقُ ولا تُرَدُّ شهادتُه، إذا لم يكن قادرًا على تَعَلُّمِ الهدى، وحكمُه حكمُ المُستضعفين من الرجالِ والنساءِ والولدانِ الذين لا يستطيعون حِيلةً ولا يهتدونَ سبيلًا، فأولئك عسى اللَّهُ أن يعفوَ عنهم وكان اللَّهُ عفوًّا غفورًا.

القسم الثاني: المتمكِّن من السؤالِ وطلبِ الهدايَةِ ومعرفة الحقِّ، ولكن يتركُ ذلك اشتغالًا بدنياهُ ورياستِه ولذتِه ومعاشِه وغيرِ ذلك، فهذا مفرِّطٌ مستحقٌّ للوعيدِ، آثمٌ بتركِ ما وجبَ عليه من تقوى اللَّهِ بحسبِ استطاعتِه، فهذا حكمُه حكمُ أمثالِه من تارِكِي بعضِ الواجباتِ؛ فإن غلبَ ما فيه من البدعةِ والهوى على ما فيه من السُّنَّةِ والهدَى ردت شهادتُه، وإن غلبَ ما فيه من السُّنَّةِ والهدى قُبِلَتْ شهادتُه.

القسم الثالث: أن يسألَ ويطلبَ ويتبينَ له الهدَى ويتركَه؛ تقليدًا وتعصُّبًا، أو بغضًا، أو مُعاداةً لأصحابِه؛ فهذا أقلُّ درجاتِه أن يكونَ فاسقًا، وتكفيرُه محلُّ اجتهادٍ وتفصيلٍ، فإن كان معلنًا داعيةً رُدَّتْ شهادتُه وفتاويه وأحكامُه، مع القدرةِ على ذلك، ولم تُقبَل له شهادةٌ ولا

فتوى ولا حكمٌ إلا عندَ الضرورةِ، كحالِ غلبةِ هؤلاءِ واستيلائهِم، وكونِ القضاةِ والمفتينَ والشهودِ منهم، ففي ردِّ شهادتِهم وأحكامِهم إذ ذاك فسادٌ كثيرٌ، ولا يمكنُ ذلك، فتقبلُ للضرورةِ.

وقد نصَّ مالكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أنَّ شهادةَ أهل البدعِ كالقدريةِ ونحوهم لا تقبلُ وإن صلَّوا صلاتَنا واستقبلوا قبلتَنا»[١].

«وأما أهل البدع المخالفة للكتاب والسنة فهم إما في الجهل البسيط، وإما في الجهل المركب، كالكفار، فالأولون: ﴿كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

والآخرون: ﴿كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

فأهل الجهل والكفر البسيط لا يعرفون الحق ولا ينصرونه، وأهل الجهل والكفر المركب يعتقدون أنهم عرفوا وعلموا، والذي معهم ليس بعلم بل جهل»[٢].

فائدة عزيزة:

كثير ممن يضعفون حديث الافتراق يرددون أنه يقتضي أن معظم الأمة متوعدون بالنار، وأن هذا خلاف ماجاء في الأحاديث الأخرى من أن هذه الأمة أكثر أهل الجنة، وأن السواد الأعظم هم الناجون، كما في بعض الطرق.

---

(١) «الطرق الحُكمية» (١/ /٢٥٥).

(٢) «درء التعارض» (ج٧/ ص٢٨٥).

فأقول وباللَّه التوفيق: لم يقل أحد من علماء السنة المحققين أن العامة يدخلون في حديث الافتراق مطلقًا، بل كلهم يقررون أنه فيمن انحرف من أهل العلم من المسلمين، كما يقررون أن الطائفة المنصورة والفرقة الناجية هم أهل العلم، كما نقل عن أحمد والبخاري وغيرهما، وأما العامة فإنهم يفصلون فيهم، كما تقدم في كلام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ، فالقسم الأول هو الغالب على عوام المسلمين اليوم، وبهذا يتم معرفة تطبيق الحديث على واقع المسلمين اليوم، وأنه فيمن خالف السلف رضوان اللَّه عليهم في بعض، أو جميع، ما اتفقوا عليه في العقيدة والمنهاج.

وعليه، فإن معظم الدعوات المعاصرة التي لا تنتمي إلى السلف الصالح مسمًّى ولا عقيدة ومنهاجًا فهي من الفرق الهالكة المتوعدة بالنار، واللَّه أعلم[١].

* * *

(١) انظر القاعدة الأخيرة.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٣٤

القاعدة الرابعة والثلاثون

أن ضرر أهل البدع على المسلمين قد يكون أعظم من ضرر الكفار

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾ [البقرة: ٢٠٤].

وقال تعالى: ﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [التوبة: ٤٧].

قال شيخ الإسلام: «ودفعُ بغيِ هؤلاء وعدوانِهم - يعني: أهل البدع - على ذلك واجبٌ على الكفاية باتفاق المسلمين، ولولا من يقيمه اللّه لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فسادُه أعظمَ من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب، فإن هؤلاء إذا استولَوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبَعًا، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداءً»(١).

وقال: «هذا مع أمر رسول اللّه ﷺ بقتالهم في الأحاديث الصحيحة، وما روي من أنهم: «**شرُّ قتلى تحت أَدِيمِ السماءِ، خيرُ قتيلٍ مَن قتلوه**» في الحديث الذي رواه أبو أمامة، رواه الترمذي وغيره(٢)، أي أنهم شرٌّ على

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٣٢).

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٣٠٠٠)، وابن ماجه (١٧٦). وانظر: صحيح ابن ماجه (١٤٦)، وانظر ما تقدم في (ص ٣٢، ١٢٦).

المسلمين من غيرهم، فإنهم لم يكن أحد شرًّا على المسلمين منهم، لا اليهود ولا النصارى، فإنهم كانوا مجتهدين في قتل كل مسلم لم يوافقهم، مستحلِّين لدماء المسلمين وأموالهم وقتل أولادهم، مكفِّرين لهم، وكانوا متديِّنين بذلك؛ لعِظَم جهلهم وبدعتهم المضلة!»[(١)].

وقال: «ولهذا كثيرًا ما يكون أهل البدع مع القدرة يُشْبِهُون الكفارَ في استحلال قتل المؤمنين وتكفيرهم، كما يفعله الخوارج والمعتزلة والجهمية وفروعهم، لكن فيهم من يقاتل بطائفة ممتنعة كالخوارج والزيدية، ومنهم من يسعى في قتل المقدور عليه من مخالفيه، إما بسلطانه، وإما بحيلته، ومع العجز يُشْبِهُون المنافقين، يستعملون التقية والنفاق، كحال المنافقين، وذلك لأن البدع مشتقة من الكفر، فإن المشركين وأهل الكتاب هم مع القدرة يحاربون المؤمنين، ومع العجز ينافقونهم، والمؤمن مشروع له مع القدرة أن يقيم دين اللَّه بحسب الإمكان، بالمحاربة وغيرها، ومع العجز يمسك عما عجز عنه من الانتصار، ويصبر على ما يصيبه من البلاء، من غير منافقة، بل يُشرَع له من المداراة ومن التكلم بما يُكره عليه ما جعل اللَّه له فرجًا ومخرجًا.

ولهذا كان أهل السنة مع أهل البدعة بالعكس، إذا قدروا عليهم لا يعتدون عليهم بالتكفير والقتل وغير ذلك؛ بل يستعملون معهم العدل الذي أمر اللَّه به ورسوله، كما فعل عمر بن عبد العزيز بالحرورية والقدرية، وإذا جاهدوهم فكما جاهد عليٌّ ﷺ الحرورية بعد الإعذار وإقامة الحجة، وعامة ما كانوا يستعملون معهم الهجران والمنع من

---

(١) «منهاج السُّنة» (٥/٢٤٨).

الأمور التي تظهر بسببها بدعتهم، مثل ترك مخاطبتهم ومجالستهم، لأن هذا هو الطريق إلى خُمُودِ بدعتهم، وإذا عجزوا عنهم لم ينافقوهم؛ بل يصبرون على الحق الذي بعَثَ اللَّه به نبيَّه، كما كان سلفُ المؤمنين يفعلون، وكما أمرهم اللَّه في كتابه حيث أمرهم بالصبر على الحق، وأمرهم بأن لا يحملهم شنآن قوم على أن لا يعدلوا»[1].

* * *

(١) «الفتاوى الكبرى» (٥/٢٠٩).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٣٥

القاعدة الخامسة والثلاثون

وجوب تحذير المسلمين من الكتب المشتملة على البدع

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران: ٧٨].

وقال سبحانه: ﴿۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [المائدة: ٤١].

سُئل شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ عن جنديٍّ له أقطاعٌ ونَسَخ بيده «**صحيح مسلم**» و«**البخاري**»، والقرآن، وهو ناوي كتابة الحديث والقرآن العظيم، وإن سمع بورق أو أقلام اشترى بألف درهم، وقال: أنا إن شاء اللّه أكتب في جميع هذا الورق أحاديث الرسول ﷺ والقرآن. ويؤمل آمالًا بعيدة، فهل يأثم أم لا؟ وأي التفاسير أقرب إلى الكتاب والسنة:

«**الزمخشري**»، أم «**القرطبي**»، أم «**البغوي**»، أو غير هؤلاء؟ وإذا نسخ الإنسان لنفسه أو للبيع يكون له أجر وثواب، مثل «**إحياء علوم الدين**» و«**قوت القلوب**» ومثل كتاب «**المنطق**»؛ أفتونا؟

الجواب: ليس عليه إثم فيما ينويه ويفعله من كتابة العلوم الشرعية، فإن كتابة القرآن والأحاديث الصحيحة والتفاسير الموجودة الثابتة من أعظم القربات والطاعات.

وأما التفاسيرُ التي في أيدي الناسِ فأصحُّها «**تفسيرُ محمدِ بن جَرِيرِ الطبريِّ**»، فإنه يذكر مقالاتِ السلفِ بالأسانيدِ الثابتةِ، وليس فيه بدعةٌ ولا ينقل عن المتهمين كمقاتل بن سليمان والكَلْبيِّ، والتفاسيرُ المأثورة بالأسانيد كثيرة: كـ«**تفسير عبد الرزاق**»، و«**عبد بن حميد**»، و«**وكيع**»، و«**ابن أبي شيبة**»، و«**أحمد بن حنبل**»، و«**إسحاق بن راهويه**».

وأما التفاسير الثلاثة المسؤول عنها فأسلمها من البدعة والأحاديث الضعيفة «**البغوي**»، لكنه مختصر من «**تفسير الثعلبي**»، وحذف منه الأحاديث الموضوعة والبدع التي فيه، وحذف أشياء غير ذلك، وأما الواحدي فإنه تلميذ الثعلبي وهو أخبر منه بالعربية، لكن الثعلبي فيه سلامة من البدع، وإن ذكرها تقليدًا لغيره، وتفاسير الواحدي: «**البسيط**»، و«**الوسيط**»، و«**الوجيز**»؛ فيها فوائد جليلة، وفيها غثٌّ كثير من المنقولات الباطلة وغيرها، وأما الزمخشري فتفسيره محشوٌّ بالبدعة، وعلى طريقة المعتزلة: من إنكار الصفات والرؤية والقول بخلق القرآن، وأنكر أن اللَّه مريد للكائنات، وخالق لأفعال العباد، وغير ذلك من أصول المعتزلة.

وأصولهم خمسة، يسمونها: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، وإنفاذ الوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لكن معنى (التوحيد) عندهم يتضمن نفي الصفات، ولهذا سمَّى ابنُ التومرت أصحابَه (الموحِّدين) وهذا إنما هو إلحادٌ في أسماء اللَّه وآياته.

ومعنى (العدل) عندهم يتضمن التكذيب بالقدر، وهو خلق أفعال العباد وإرادة الكائنات والقدرة على شيء، ومنهم من ينكر قِدَمَ العلم والكتاب، لكن هذا قول أئمتهم، وهؤلاء على مذهب الزمخشري، فإن مذهبه مذهب المغيرة بن علي وأبي هاشم وأتباعهم، ومذهب أبي الحسين والمعتزلة الذين على طريقته نوعان: مشايخية، وخشبية.

وأما (المنزلة بين المنزلتين) فهي عندهم أن الفاسق لا يسمَّى مؤمنًا بوجه من الوجوه، كما لا يسمَّى كافرًا، فنزَّلوه بين منزلتين.

و(إنفاذ الوعيد) عندهم معناه: أن فساق الملة مُخَلَّدُون في النار، لا يخرجون منها بشفاعة ولا غير ذلك، كما تقوله الخوارج.

و(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) يتضمن عندهم جواز الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف.

وهذه الأصول حشا بها كتابه بعبارة لا يهتدي أكثر الناس إليها ولا لمقاصده فيها، مع ما فيه من الأحاديث الموضوعة، ومن قلة النقل عن الصحابة والتابعين.

و«**تفسير القرطبي**» خير منه بكثير، وأقرب إلى طريقة أهل الكتاب والسنة وأبعد عن البدع، وإن كان كل من كتب هذه الكتب لا بد أن تشتمل على ما ينقد، لكن يجب العدل بينهما وإعطاء كل ذي حقٍّ حقَّه.

و«**تفسير ابن عطية**» خير من «**تفسير الزمخشري**»، وأصح نقلاً وبحثًا، وأبعد عن البدع، وإن اشتمل على بعضها، بل هو خير منه بكثير؛ بل لعله أرجح هذه التفاسير، لكن «**تفسير ابن جرير**» أصح من هذه كلها،

وثَمَّ تفاسير أخر كثيرة جدًّا كـ«**تفسير ابن الجوزي**» و«**الماوردي**»(١).

وقال: «وأما كتاب «**قوت القلوب**» وكتاب «**الإحياء**» تَبَعٌ له فيما يذكره من أعمال القلوب، مثل: الصبر، والشكر، والحب، والتوكل، والتوحيد، ونحو ذلك، وأبو طالب أعلم بالحديث والأثر وكلام أهل علوم القلوب من الصوفية وغيرهم من أبي حامد الغزالي، وكلامُه أَسَدُّ وأجودُ تحقيقًا وأبعد عن البدعة، مع أن في «**قوت القلوب**» أحاديثَ ضعيفةً وموضوعةً وأشياءَ مردودةً كثيرةً، وأما ما في «**الإحياء**» من (المهلكات) مثلُ الكلام على الكِبْرِ والعُجْبِ والرياء والحسد، ونحو ذلك، فغالبُه منقول من كلام الحارث المحاسبي في «**الرعاية**»، ومنه ما هو مقبول، ومنه ما هو مردود، ومنه ما هو متنازع فيه، و«**الإحياء**» فيه فوائد كثيرة، لكن فيه موادُّ مذمومةٌ، فإن فيه موادُّ فاسدةٌ من كلام الفلاسفة تتعلَّق بالتوحيد والنبوة والمَعَاد، فإذا ذكر معارفَ الصوفية كان بمنزلة من أخذ عدوًّا للمسلمين ألبسه ثياب المسلمين، وقد أنكر أئمة الدين على أبي حامد هذا في كتبه، وقالوا: أمرضه «**الشفاء**» - يعني: شفاءَ ابنِ سينا في الفلسفة - وفيه أحاديثُ وآثارٌ ضعيفة؛ بل موضوعة كثيرة، وفيه أشياء من أغاليط الصوفية وترَّهَاتِهِم، وفيه مع ذلك من كلام المشايخ الصوفية العارفين المستقيمين في أعمال القلوب الموافق للكتاب والسنة، ومن غير ذلك من العبادات والأدب ما هو موافق للكتاب والسنة ما هو أكثر مما يُرَدُّ منه، فلهذا اختلف فيه اجتهاد الناس وتنازعوا فيه»(٢).

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٣٨٧).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٥٥٢).

وقال: «وأما كتب الحديث المعروفة مثل «**البخاري**» و«**مسلم**»، فليس تحت أديم السماء كتاب أصح من «**البخاري**» و«**مسلم**» بعد القرآن، وبعدهما ما جمع بينهما مثل «**الجمع بين الصحيحين**» للحميدي، ولعبد الحق الإشبيلي، وبعد ذلك كتب السنن، كـ«**سنن أبي داود**»، و«**النسائي**»، و«**جامع الترمذي**»، والمسانيد؛ كـ«**مسند الشافعي**»، و«**مسند الإمام أحمد**»، و«**موطأ مالك**»؛ فيه الأحاديث والآثار وغير ذلك، وهو من أجل الكتب، حتى قال الشافعي: «ليس تحت أديم الأسماء بعد كتاب اللَّه أصح من موطأ مالك». يعني بذلك: ما صنف على طريقته. فإن المتقدِّمين كانوا يجمعون في الباب بين المأثور عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين، ولم تكن وُضِعتْ كتُب الرأي التي تُسَمَّى كتب الفقه، وبعد هذا جمع الحديث المُسْنَد في جمع الصحيح للبخاري ومسلم.

والكتب التي تُحَبُّ ويؤجر الإنسان على كتابتها سواء كتبها لنفسه أو كتبها لبيعها؛ كما قال النبي ﷺ: «**إن اللَّه يُدْخِلُ بالسهمِ الواحدِ ثلاثةً الجنةَ: صانِعَه، والراميَ به، والمُمِدَّ به**»[(١)]. فالكتابة كذلك لينتفع به أو لينتفع به غيره، كلاهما يثاب عليه»[(٢)].

وقال: «وأما كتب المنطق؛ فتلك لا تشتمل على علم يؤمر به شرعًا، وإن كان قد أدَّى اجتهادُ بعضِ الناس إلى أنه فرضٌ على الكفاية، وقال بعض الناس: إن العلوم لا تقوم إلا به. كما ذكر ذلك أبو حامد،

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٤٦، ١٤٨، ١٥٤)، والنسائي (٦/ ٢٢٢)، وغيرهما، من حديث عقبة بن عامر ﷺ، وقد ضعفه الألباني بهذا اللفظ، وانظر «ضعيف الترغيب» (٨٢١). وأصله عند مسلم (١٩١٩) من حديث عقبة بن عامر أيضًا، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه.

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٨/ ٧٤).

فهذا غلطٌ عظيمٌ عقلاً وشرعًا.

أما (عقلًا) فإن جميع عقلاء بني آدم من جميع أصناف المتكلِّمين في العلم حرروا علومهم بدون المنطق اليونانيِّ.

وأما (شرعًا) فإنه من المعلوم بالاضطرار في دين الإسلام أن اللَّه لم يوجِبْ تعلمَ هذا المنطقِ اليونانيِّ على أهل العلم والإيمان. وأما هو في نفسه فبعضُه حقٌّ وبعضه باطلٌ، والحق الذي فيه كثيرٌ منه، أو أكثرُه، لا يُحتاج إليه، والقَدْرُ الذي يُحتاج إليه منه فأكثرُ الفِطَرِ السليمة تستقلُّ به، والبليدُ لا ينتفع به، والذكيُّ لا يَحتاج إليه، ومضرَّتُه على من لم يكن خبيرًا بعلوم الأنبياء أكثرُ من نفعه»[(١)].

* * *

(١) «مجموع الفتاوى» (٩/ ٢٦٩).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٣٦

القاعدة السادسة والثلاثون

وجوب الاعتدال في الحكم على المخالفين

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة: ٨].

قال شيخ الإسلام: «فإن السائرين على طريقة السلف يخطِّئون ولا يكفِّرون إلا من قامت عليه حجة الرسالة، ولهذا قال الشافعي: لأن أتكلم في علم يقال لي فيه: أخطأتَ. أحبُّ إليَّ من أن أتكلَّم في عِلْمٍ يُقَالُ لي فيه: كفرتَ.

فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضًا، ومِن ممادح أهل العلم أنهم يخطِّئون ولا يكفِّرون، وسبب ذلك:

أن أحدهم قد يظنُّ ما ليس بكفر كفرًا، وقد يكون كفرًا لأنه تبيَّن له أنه تكذيب للرسول وسبٌّ للخالق، والآخر لم يتبيَّن له ذلك، فلا يلزم

إذا كان العالم بحاله يكفر إذا قاله أن يكفر من لم يعلم بحاله»[١].

وقال: «وإذا عُرِفَ أصلُ البدع؛ فأصل قول الخوارج أنهم يكفِّرون بالذنب ويعتقدون ذنبًا ما ليس بذنب، ويرَوْنَ اتِّباع الكتاب دون السنة التي تخالف ظاهر الكتاب، وإن كانت متواترة، ويكفِّرون من خالفهم، ويستحلُّون منه - لارتداده عندهم - ما لا يستحلُّونه من الكافر الأصلي، كما قال النبي ﷺ فيهم: «**يقتلون أهلَ الإسلامِ، ويدَعون أهلَ الأوثانِ**»[٢]. ولهذا كفَّروا عثمان وعليًّا وشيعتهما، وكفَّروا أهلَ صفين - الطائفتين - في نحو ذلك من المقالات الخبيثة، وأكثرهم يكفِّرُ من خالف قولَهم، ويسمُّون أنفسهم المؤمنين ومن خالفهم كفَّارًا[٣]، ويجعلون مدائن الإسلام التي لا تظهر فيها أقوالهم دار رِدَّةٍ، أسوأ حالًا من مدائن المشركين والنصارى! ولهذا يوالون اليهود والنصارى والمشركين على بعض جمهور المسلمين، وعلى معاداتهم ومحاربتهم، كما عُرف من موالاتهم الكفار المشركين على جمهور المسلمين، ومن موالاتهم الإفرنج النصارى على جمهور المسلمين، ومن موالاتهم اليهود على جمهور المسلمين»[٤].

«وأهل السنة والعلم والإيمان يعلمون الحقَّ ويرحمون الخلقَ، يتَّبِعون الرسول ﷺ فلا يبتدعون، ومن اجتهد فأخطأ خطأً يعذره فيه الرسولُ ﷺ عذروه، وإنما يذمُّون من ذمَّه اللَّه ورسوله؛ وهو المفرِّط في

---

(١) انظر: «منهاج السنة» (٥/ ٢٥١).

(٢) تقدم تخريجه (ص ١١٣).

(٣) ولا يزال حالهم كذلك حتى يومنا هذا!

(٤) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٥٦).

طلب الحق؛ لتركه الواجب، والمعتدي المتبع لهواه بلا علم؛ لفعله المحرَّم، فيذمُّون مَنْ ترك الواجب، أو فعل المحرم، ولا يعاقبونه إلا بعد إقامة الحجة عليه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]. لا سيما في مسائل تنازع فيها العلماء وخفي العلم فيها على أكثر الناس»(١).

«ولا ريب أن الخطأ في دقيق العلم مغفور للأمة، وإن كان ذلك في المسائل العلمية، ولولا ذلك لهلك أكثر فضلاء الأمة، وإذا كان اللَّه يغفر لمن جهل تحريم الخمر لكونه نشأ بأرضِ جهلٍ؛ مع كونه لم يطلب العلم، فالفاضل المجتهد في طلب العلم بحسب ما أدركه في زمانه ومكانه إذا كان مقصوده متابعة الرسول بحسب إمكانه - هو أحق بأن يتقبل اللَّه حسناتِه ويثيبه على اجتهاداته ولا يؤاخذه بما أخطأ؛ تحقيقًا لقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]»(٢).

«فالهجران قد يكون مقصوده ترك سيئة البدعة التي هي ظلم وذنب وأثم وفساد، وقد يكون مقصوده فعل حسنة الجهاد والنهى عن المنكر وعقوبة الظالمين لينزجروا ويرتدعوا، وليقوى الإيمان والعمل الصالح عند أهله؛ فان عقوبة الظالم تمنع النفوس عن ظلمه وتحضها على فعل ضد ظلمه من الإيمان والسنة ونحو ذلك فإذا لم يكن في هجرانه انزجار أحد ولا انتهاء احد بل بطلان كثير من الحسنات المأمور بها لم تكن هجرة مأمورا بها كما ذكره أحمد عن أهل خراسان إذ ذاك أنهم لم يكونوا

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٢٣٨).
(٢) المصدر السابق (٢٠/ ١٦٥).

يقولون بالجهمية فإذا عجزوا عن أظهار العداوة لهم سقط الأمر بفعل هذه الحسنة، وكان مداراتهم فيه دفع الضرر عن المؤمن الضعيف ولعله أن يكون فيه تأليف الفاجر القوى، وكذلك لما كثر القدر في أهل البصرة فلو ترك رواية الحديث عنهم لاندرس العلم والسنن والآثار المحفوظة فيهم، فإذا تعذر إقامة الواجبات من العلم والجهاد وغير ذلك إلا بمن فيه بدعة مضرتها دون مضرة ترك ذلك الواجب كان تحصيل مصلحة الواجب مع مفسدة مرجوحة معه خيرا من العكس، ولهذا كان الكلام في هذه المسائل فيه تفصيل، وكثير من أجوبة الإمام أحمد وغيره من الأئمة خرج على سؤال سائل قد علم المسئول حاله أو خرج خطابا لمعين قد علم حاله فيكون بمنزلة قضايا الأعيان الصادرة عن الرسول إنما يثبت حكمها في نظيرها، فان أقواما جعلوا ذلك عاما فاستعملوا من الهجر والإنكار ما لم يؤمروا به فلا يجب ولا يستحب، وربما تركوا به واجبات أو مستحبات وفعلوا به محرمات، وآخرون أعرضوا عن ذلك بالكلية فلم يهجروا ما أمروا بهجره من السيئات البدعة، بل تركوها ترك المعرض لا ترك المنتهى الكاره، أو وقعوا فيها، وقد يتركونها ترك المنتهى الكاره ولا ينهون عنها غيرهم، ولا يعاقبون بالهجرة ونحوها من يستحق العقوبة عليها فيكونون قد ضيعوا من النهى عن المنكر ما أمروا به إيجابا أو استحبابا فهم بين فعل المنكر أو ترك النهى عنه وذلك فعل مانهوا عنه وترك ما أمروا به فهذا هذا ودين اللّه وسط بين الغالي فيه والجافي عنه واللّه سبحانه أعلم»[١].

(١) مجموع الفتاوى ج٢٨/ ص٢١٢ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٣٧

القاعدة السابعة والثلاثون

أن المخالفين لطريقة السلف واقعون بين الغلوّ والإرجاء

قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [الأعراف: ١٦٩].

قال شيخ الإسلام: «وصار كثيرٌ من أهل البدع مثل الخوارج والروافض والقدرية والجهمية والممثِّلة يعتقدون اعتقادًا، هو ضلال يرونه هو الحق، ويرون كفر من خالفهم في ذلك، فيصير فيهم شَوْبٌ قويٌّ من أهل الكتاب في كفرهم بالحق وظلمهم للخلق، ولعل أكثر هؤلاء المكفِّرين يُكَفِّرُ بالمقالة التي لا تُفهم حقيقتُها ولا تُعرف حجتُها، وبإزاء هؤلاء المكفِّرين بالباطل أقوام لا يعرفون اعتقاد أهل السنة والجماعة كما يجب، أو يعرفون بعضه ويجهلون بعضه، وما عرفوه منه

قد لا يبيِّنونه للناس؛ بل يكتمونه، ولا ينهون عن البدع المخالفة للكتاب والسنة، ولا يذمُّون أهل البدع ويعاقبونهم؛ بل لعلهم يذمُّون الكلام في السُّنة وأصول الدين ذمًّا مطلقًا، لا يفرِّقون فيه بين ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع وما يقوله أهل البدعة والفرقة، أو يقِرُّونَ الجميع على مذاهبهم المختلفة، كما يقرُّ العلماء في مواضع الاجتهاد التي يسوغ فيها النزاع؛ وهذه الطريقة قد تغلب على كثير من المرجئة وبعض المتفقِّهة والمتصوِّفة والمتفلسفة، كما تغلب الأولى على كثير من أهل الأهواء والكلام، وكلا هاتين الطريقتين منحرفة خارجة عن الكتاب والسنة»(١).

وقال: «ولهذا تجد كثيرًا من هؤلاء لما لم يتبيَّن له الهدى في طريقه نَكَصَ على عقبيه، فاشتغل باتباع شهوات الغيِّ في بطنه وفرجه، أو رياسته وماله، ونحو ذلك؛ لعدم العلم واليقين الذي يَطمئنُّ إليه قلبُه ويَنشرحُ له صدرُه، وفي الحديث المأثور عن النبي ﷺ: «**إنَّ أخوفَ ما أخاف عليكم شهواتِ الغيِّ في بطونِكم وفروجِكم، ومُضِلَّاتِ الفتنِ**»(٢).

وهؤلاء المعرضون عن الطريقة النبوية السَّلفية يجتمع فيهم هذا وهذا: اتباع شهوات الغيِّ ومضلَّات الفتن، فيكون فيهم من الضَّلال والغيِّ بقدر ما خرجوا عن الطريق الذي بعث اللَّه به رسوله ﷺ، ولهذا أمرنا اللَّه أن نقول في كل صلاة: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٦- ٧].

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**اليهودُ مغضوبٌ عليهم، والنصارى**

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٤٦٧).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٩١، ٤٢٠، ٤٢٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٤) من حديث أبي برزة الأسلمي ﷺ، وانظر «ظلال الجنة» (١/ ٧).

ضالون»[١].

وكان السلفُ يقولون: «احذروا فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل؛ فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون». فكيف إذا اجتمع في الرجلِ الضلالُ والفجورُ؟!»[٢].

وقال: «والبدعة ما خالفت الكتاب والسنة أو إجماع سلف الأمة من الاعتقادات والعبادات، كأقوال الخوارج والروافض والقدرية والجهمية، وكالذين يتعبدون بالرقص والغناء في المساجد، والذين يتعبَّدون بحلق اللحى وأكل الحشيشة، وأنواع ذلك من البدع التى يتعبد بها طوائف من المخالفين للكتاب والسنة، واللَّه المستعان»[٣].

* * *

(١) تقدم تخريجه ص (٦٨).

(٢) «درء تعارض العقل والنقل» (١/ ١٦٥، ١٦٦).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٨/ ٣٤٦).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٣٨

القاعدة الثامنة والثلاثون

أن المخالفين للسَّلف الصالح فتحوا باب التشكيك في الدين لأعداء الإسلام

قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [التوبة: ٤٧]. وقال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥١].

قال ابن القيم: «إن هؤلاء لم يكفهم أن سدُّوا على أنفسهم باب الرد على أعداء الإسلام بما وافقوهم فيه من النفي والتعطيل، حتى فتحوا لهم الباب وطرَّقوا لهم الطريق إلى محاربة القرآن والسنة، فلما دخلوا من بابهم وسلكوا من طريقهم تحيزوا معهم وصاروا جميعًا حربًا للوحي، وادَّعوا أن العقل يخالفه، ولا يمكن الرد على أهل الباطل إلا مع اتِّباع السنة من كل وجه، وإلا فإذا وافقها الرجل من وجه وخالفها من وجه طَمِع فيه خصومُه من الوجه الذي خالفها فيه، واحتجوا عليه بما وافقهم فيه من تلك المقدِّمات المخالفة للسنة، ومن تَدَبَّرَ عامةَ ما يحتج به أهلُ الباطل على من هو أقرب إلى الحقِّ منهم، وجد حجتهم إنما تقوى على من ترك شيئًا من الحق الذي أرسل اللَّه به رسوله وأنزل به كتابه، فيكون ما تركه من الحق أعظم حجة للمبطل عليهم، ويجد كثيرًا من أهل

الكلام يوافقون خصومهم على الباطل تارة ويخالفونهم في الحق تارة، فيتسلطون عليهم بما وافقوهم فيه من الباطل، وبما خالفوهم من الحق، وليس لمبطل، بحمد الله، حجة ولا سبيل بوجه من الوجوه على من وافق السنةَ ولم يخرجْ عنها، حتى إذا خرج عنها قَدْرَ أُنْمُلةٍ تسلَّط عليه المبطلُ بحسب القَدْرِ الذي خرج به عن السنة، فالسنة حِصْنُ اللَّه الحصينُ الذي من دَخَله كان منَ الآمنين، وصراطُه المستقيمُ الذي من سلَكه كان إليه من الواصلين، وبرهانُه المبين الذي من استضاء به كان من المهتدين، فمن وافق مبطلاً على شيء من باطله جرَّه بما وافقه منه إلى نفي باطله»(١).

«فما أصيب المحق إلا بطاعته للمبطل في بعض أمره، وأصولُ هؤلاء يكرهون ما أنزل اللَّه مما هو بخلاف عقولهم وآرائهم وقواعدهم، فمن أطاعهم في بعض أمرهم كان من الذين قال اللَّه ﷻ فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾ [محمد: ٢٦]»(٢).

قال شيخ الإسلام: «وأهل الكلام الذين ذمهم السلف لا يخلو كلام أحد منهم على مخالفة السنة ورد بعض ما أخبر به الرسول كالجهمية والمشبهة والخوارج والروافض والقدرية والمرجئة، ويقال: بأنها لا بد أن تحرس السنة بالحق والصدق والعدل، لا تحرس بكذب ولا ظلم، فإذا رد الإنسان باطلا بباطل وقابل بدعة ببدعة كان هذا مما ذمه السلف والأئمة»(٣).

---

(١) «الصواعق المرسلة» (٤/ ١٢٥٥).
(٢) المصدر السابق (٤/ ١٣٩٢).
(٣) «درء التعارض» (٧/ ١٨٢).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٣٩

القاعدة التاسعة والثلاثون

أن أثر البدعة يظهر على صفحات وجوههم وفلتات ألسنتهم

قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الحجر: ٧٥]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾ [محمد: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون: ٤]. وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾﴾ [محمد: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى

بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ [الأنعام: ١١٢].

وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ: «**فإذا أَحْبَبْتُهُ كنتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ التي يَبْطِشُ بها، وَرِجْلَهُ التي يَمْشِي بها، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**»[(١)].

قال شيخ الإسلام: «والرجلُ الصادقُ البارُّ يظهر على وجهه مِن نورِ صدقِه وبهجة وجهه سِيما يُعرف بها، وكذلك الكاذب الفاجر، وكلما طال عمر الإنسان ظهر هذا الأثر فيه، حتى إن الرجل يكون في صغره جميل الوجه، فإذا كان من أهل الفجور، مصرًّا على ذلك، يظهر عليه في آخر عمره من قبح الوجه ما أثَّره باطنه، وبالعكس، وقد روي عن ابن عباس أنه قال: «إن للحسنة لنورًا في القلب، وضياءً في الوجه، وقوةً في البدن، وسعةً في الرزق، ومحبةً في قلوب الخلق، وإن للسيئة لظلمةً في القلب، وسوادًا في الوجه، ووهنًا في البدن، وبغضةً في قلوب الخلق».

وقد يكون الرجل ممن لا يتعمد الكذب لكن يعتقد اعتقادات باطلة كاذبة: في الله، أو في رسله، أو في دينه، أو عباده الصالحين، وتكون له زهادة وعبادة واجتهاد في ذلك، فيؤثِّر ذلك الكذب الذي ظنه صدقًا وتوابعه في باطنه، ويظهر ذلك على وجهه، فيعلوه من القترة والسواد ما يناسب حاله، كما قال بعض السلف: «لو ادَّهَنَ صاحب البدعة كل يوم بدهان، إن سواد البدعة لفي وجهه». وهذه الأمور تظهر يوم القيامة

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٣٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.

ظهورًا تامًّا، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الزمر: ٦٠، ٦١]. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران: ١٠٦، ١٠٧]»(١).

* * *

(١) «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٦/ ٤٨٩).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٤٠

القاعدة الأربعون

يعتقدون أن سياسة الناس يجب أن تكون وفق كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ، وفهم السلف الصالح، فلا يبيحون ما حرَّم اللَّه بحجة التيسير على الناس، أو كسب تعاطفهم، أو للوصول إلى المناصب والسقوط أمام شهوات النفس ووطأة الإعلام الغادر، واللَّه الهادي إلى سواء السبيل

قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [المائدة: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الإسراء: ٧٣- ٧٥].

وقال ﷺ: «**كانت بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُم الأنبياءُ؛ كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ**». قالوا: فما تَأْمُرُنَا؟ قال: «**فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ، وأَعْطُوهُمْ حقَّهُمْ، فإن اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا**

اسْتَرْعَاهُمْ». أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ[١].

«وكذلك العلماء إذا أقاموا كتاب اللَّه وفَقِهُوا ما فيه من البيِّنات التي هي حجج الله، وما فيه من الهدى الذي هو العلم النافع والعمل الصالح، وأقاموا حكمة اللَّه التي بعث بها رسوله ﷺ وهي سنته - لوجدوا فيها من أنواع العلوم النافعة ما يحيط بعلم عامة الناس، ولميَّزوا حينئذ بين المحق والمبطل من جميع الخلق، بوصف الشهادة التي جعلها اللَّه لهذه الأمة، حيث يقول ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة:١٤٣] ولاستغنوا بذلك عما ابتدعه المبتدعون من الحجج الفاسدة التي يزعم الكلاميون أنهم ينصرون بها أصل الدين، ومن الرأي الفاسد الذي يزعم القياسيون أنهم يُتِمُّونَ به فروع الدين، وما كان من الحجج صحيحًا ومن الرأي سديدًا فذلك له أصل في كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ، فهمه من فهمه وحرمه من حرمه»[٢].

قال ابن القيم: «ومن له خبرة بما بعث اللَّهُ به رسوله ﷺ وبما كان عليه هو وَأصحابهُ، رأى أَنَّ أَكثر من يشار إليهم بالدين هم أقل الناس دينًا، واللَّهُ المستعان، وأي دين وأي خير فيمن يرى محارم اللَّه تنتهك، وحدوده تضاع، ودينه يترك، وسنة رسول اللَّه ﷺ يرغب عنها، وهو بارد القلب ساكت اللسان، شيطان أخرس، كما أن المتكلم بالباطل

(١) تقدم تخريجه (ص ١٠١).

(٢) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٢٨٢).

شيطان ناطق؟! ، وهل بلية الدِّين إلّا من هؤُلاءِ الّذين إذا سلمت لهم مآكلهم ورياساتهم ، فلا مُبالاة بما جرى على الدِّينِ ، وخيارهم المتحزن المتلمظ ، ولو نُوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله بذل وتبذل ، وجدّ واجتهد ، واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسعه ، وهؤلاء مع سقوطهم من عين اللّهِ ومقتِ اللّهِ لهم قد بُلوا في الدّنيا بِأعظم بلِيّةٍ تكون ، وهم لا يشعرون ؛ وهو موت القلوب ؛ فإن القلب كلّما كانت حياته أتمّ كان غضبه لِلّهِ ورسولِهِ أقوى وانتصاره لِلدِّينِ أكمل»(١) .

«وسمعت رجلًا يقول لشيخنا : إذا خان الرجل في نقد الدراهم سلبه اللّه معرفة النقد ، أو قال : نسيه . فقال الشيخ : هكذا من خان اللّه تعالى ورسوله في مسائل العلم»(٢) .

- **خطر العلمنة على الدين :**

قال سماحة الشيخ حفظه الله : هذا ويقابل الغلو في خطورته وشره التساهل في ميوعته وضرره ، فالتساهل في أمور الدين لا يقل خطورة عن الغلو بل هو شر منه ولهذا قال تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا﴾ [النساء : ٢٧] ، وقال تعالى : ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ [مريم : ٥٩] ، فالمتساهلون يصفون المتمسكين بالدين والوسطية بأنهم متشددون غلاة ومتطرفون ، ويرون الإباحية والتحلل من الدين والأخلاق تقدمًا ورقيًا وحضارة ، ويقولون : إن التمسك بالدين فيه كبت للحريات وعائق عن الانطلاق مع الحضارة العالمية . وربما يقول بعضهم : الدين يسر .

(١) «إعلام الموقعين» (٢/ ١٧٧) .
(٢) «روضة المحبين» (١/ ٤٨٠) .

يريد بذلك التحلل من شرائعه، ونقول: نعم الدين يسر في تشريعاته، ورخصه الشرعية، فهو يشرِّع لكل حالة ما يُناسبها؛ من حالة المرض والسفر والخوف والضرورة، لا أنه يُسر في التحلل من أحكامه، فهذا ليس يسرًا، وإنما هو حرج وإثم، والنبي ﷺ ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فالتيسير الذي يُوقع في الإثم خروج عن سِمات الدين وهَديه، وشُرور الانحلال من الدين أشد من شرور الغلو فيه، وهؤلاء الجُهال والمغرضون ليسوا هُم الذين يبينون معنى الغلو، وإنما الذين يبينون حُدود الغلو والتطرف هم العلماء الأتقياء الراسخون في العلم على ضوء الكتاب والسنة، لا الصحافيون وأصحاب الشهوات والجهال، أو المتعالمون، أو أهل الضلال، والله جل وعلا يقول: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧]. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩]

فمتى خرجنا عن بيان أهل العلم إلى بيان أهل الأهواء وأهل الضلال أمعنا في الضلال والخطأ، وإننا اليوم نسمع ونقرأ في وسائل الإعلام المختلفة أقوال من يتكلمون في أمور الدين وأمور الغلو والتساهل وهم لا يحسنون القول في ذلك، إما عن قصد سيئ، وإما عن سوء فهم، يقولون حسب أهوائهم، ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١].

فيصفون التمسك بالدين بأنه تشدد، ويصفون المتمسكين بالدين وبالعقيدة الصحيحة بأنهم متطرفون وغلاة، وهكذا.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٤١

القاعدة الحادية والأربعون

أنهم يرون أن من الوسائل الشرعيّة في الدعوة إلى اللَّه مخاطبة الناس على قدر أفهامهم ومكانتهم، وأن توحيد الخطاب للناس في غير فروض الأعيان ليس منهجًا ربانيًا.

قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء: ٨٣].

قال الإمام البخاري(١) في كتاب العلم: باب من خَصَّ بالعِلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا، وقال عليٌّ: «حدِّثُوا الناس بمَا يَعرفون، أتحبون أن يُكذَّبَ اللهُ ورسوله.

حدثنا إسْحَاقُ بن إبراهيم قال: حدثنا مُعَاذُ بن هِشَامٍ قال: حدثني

(١) في «صحيحه» (١/ ٣٧).

أبي، عن قتادة قال: حدثنا أنسُ بن مالكٍ: أنّ النبيّ ﷺ ومُعاذٌ رديفُهُ على الرّحلِ، قال: «**يا مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ**». قال: لبّيك يا رسُول اللّهِ وسعديك. قال: «**يا مُعَاذُ**». قال: لبّيك يا رسُول اللّهِ وسعديك. ثلاثًا، قال: «**ما من أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إلا اللَّه وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسولُ اللَّهِ صِدْقًا من قَلْبِهِ، إلا حَرَّمَهُ اللهُ على النَّارِ**». قال: يا رسُول اللّهِ، أفلا أُخبِرُ بِهِ الناس فيستبشِرُوا؟! قال: «**إذًا يَتَّكِلُوا**». وَأخبر بها مُعاذٌ عِند موتِهِ تأثُّمًا(١).

«كثيرٌ من الناسِ يطلبُ من صاحبه بعد نيله درجةَ الرياسةِ الأخلاقَ التي كان يعامله بها قبل الرياسة، فلا يصادفها فينتقض ما بينهما من المودة، وهذا مِن جهلِ الصاحبِ الطالبِ للعادةِ، وهو بمنزلة من يطلب مِن صاحبه إذا سَكِر أخلاقَ الصاحي، وذلك غلط؛ فإن للرياسة سَكْرةً كسكرةِ الخمر، أو أشد، ولو لم يكن للرياسة سَكْرةٌ لما اختارها صاحبُها على الآخرة الدائمة الباقية، فسكرتها فوق سكرة الخمر بكثير، ومحال أن يُرى مِن السكران أخلاقُ الصاحي وطبعُه، ولهذا أمر اللّه تعالى أكرم خلقه عليه بمخاطبة رئيس القبط بالخطاب الليِّن، فمخاطبة الرؤساء بالقول الليِّن أمر مطلوب شرعًا وعقلاً وعُرْفًا، ولذلك تجد الناس كالمفطورين عليه، وهكذا كان النبي ﷺ يخاطب رؤساء العشائر والقبائل، وتأمل امتثال موسى لِما أمر به كيف قال لفرعون: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ۝١٩﴾ [النازعات:١٨، ١٩]. فأخرج الكلام معه مخرج السؤال والعرض، لا مخرج الأمر، وقال: ﴿إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾. ولم يقل: إلى أن أزكيك. فنسب الفعل إليه هو، وذكر لفظ التزكي دون

(١) أخرجه البخاري (١٢٨) وانظر أطرافه، ومسلم (٣٠/٤٨).

غيره؛ لما فيه من البركة والخير والنماء، ثم قال: ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾. أكون كالدليل بين يديك، الذي يسير أمامك، وقال: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾. استدعاء لإيمانه بربه الذي خلقه ورزقه ورباه بنعمه صغيرًا ويافعًا وكبيرًا.

وكذلك قولُ إبراهيمَ الخليلِ لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم: ٤٢]. فابتدأ خطابه بذكر أبوته الدالة على توقيره، ولم يسمِّه باسمه، ثم أخرج الكلام معه مخرج السؤال، فقال: ﴿لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾. ولم يقل: لا تعبد. ثم قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ﴾. فلم يقل: له إنك جاهل لا علم عندك. بل عدل عن هذه العبارة إلى ألطف عبارة تدل على هذا المعنى، فقال: ﴿جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ﴾ [مريم: ٤٣]. ثم قال: ﴿فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا﴾. ومثل هذا قول موسى لفرعون: ﴿وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾. ثم قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥﴾ [مريم: ٤٥]. فنسب الخوف إلى نفسه دون أبيه، كما يفعل الشفيق الخائف على من يشفق عليه، وقال: ﴿يَمَسَّكَ﴾. فذكر لفظ المس الذي هو ألطف من غيره، ثم نكَّر العذاب، ثم ذكر الرحمن، ولم يقل الجبار ولا القهار. فأي خطاب ألطف وألين من هذا؟!

ونظير هذا خطاب صاحب (يس) لقومه، حيث قال: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٢١ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٢﴾ [يس: ٢٠-٢٢]. ونظير ذلك قول نوح لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ﴾ [نوح: ٢، ٤].

وكذلك سائر خطاب الأنبياء لأمتهم في القرآن إذا تأملته وجدته ألين

خطاب وألطفه، بل خطاب اللَّه لعباده ألطف خطاب وألينه، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾الآيات [البقرة: ٢١-٢٤]. وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ﴾ [الحج: ٧٣]. وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝٥﴾ [فاطر: ٥].

وتأمل ما في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ۝٥٠﴾ [الكهف: ٥٠]. من اللطف الذي سلب العقول، وقوله تعالى: ﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ ۝٥﴾ [الزخرف: ٥]. على أحد التأويلين، أي: نترككم فلا ننصحكم ولا ندعوكم ونعرض عنكم، إذا أعرضتم أنتم وأسرفتم.

وتأمل لطف خطاب نذر الجن لقومهم وقولهم: ﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٣١﴾ [الأحقاف: ٣١]»(١).

قال ابن القيم، في موضع آخر وهو يصف كلام نبي الله موسى عليه السلام:

«وتأمل حسن سياق هذه الجمل، وترتيب هذا الخطاب، ولطف هذا القول الليِّن الذي سلب القلوب حسنُه وحلاوتُه، مع جلالته وعظمته؛ كيف ابتدأ الخطاب بقوله: ﴿أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ [مريم: ١٩]. وفي ضمن ذلك: إنا لم نأتك لننازعك ملكك، ولا لنشركك فيه، بل نحن عبدان مأموران مرسلان من ربك إليك. وفي إضافة اسم الرب إليه هنا دون

---

(١) «بدائع الفوائد» (٣/ ٦٥٢).

إضافته إليهما استدعاءً لسمعه وطاعته وقبوله، كما يقول الرسول للرجل من عند مولاه: أنا رسول مولاك إليك وأستاذك. وإن كان أستاذهما معًا، ولكن ينبهه بإضافته إليه على السمع والطاعة له، ثم إنهما طلبا منه أن يرسل معهما بني إسرائيل ويخلِّي بينهم وبينهما، ولا يعذّبهم، ومن طلب من غيره ترك العدوان والظلم وتعذيب من لا يستحق العذاب، فلم يطلب منه شططًا، ولم يرهقه من أمره عسرًا، بل طلب منه غاية النَّصفِ، ثم أخبره بعد الطلب بثلاث إخبارات: أحدها: قوله تعالى: ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ [طه:٤٧]. فقد برئنا من عهدة نسبتك لنا إلى التقول والافتراء بما جئناك به من البرهان والدلالة الواضحة، فقد قامت الحجة، ثم بعد ذلك للمرسل إليه حالتان: إما أن يسمع ويطيع فيكون من أهل الهدى، ﴿وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾.

وإما أن يكذب ويتولَّى، فـ﴿الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [طه:٤٨]. فجمعت الآية طلب الإنصاف وإقامة الحجة، وبيان ما يستحق السامع المطيع، وما يستحقه المكذب المتولِّي، بألطف خطاب وأليق قول وأبلغ ترغيب وترهيب»(١).

فإن قيل: فما هو الجواب على قول موسى عليه السلام: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾[الإسراء:١٠٢]؟

قيل: هذا من باب الإخبار وليس من باب الإنشاء، والله أعلم.

* * *

(١) «بدائع الفوائد» (٢/ ٣٦٩).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٤٢

القاعدة الثانية والأربعون

أنهم يحذِّرون من مشابهة الكفار واتباع سبيلهم

قال تعالى: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٩﴾ [التوبة: ٦٩].

وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**لتأخُذُنَّ كما أخذت الأممُ مِن قبلكم ذراعًا بذراع، وشبرًا بشبر، وباعًا بباعٍ، حتى لو أن أحدًا من أولئك دخل جُحْرَ ضَبٍّ لدخلتموه**». قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ﴾. الآية. قالوا: يا رسول الله، كما صنعت فارس والروم وأهل الكتاب؟ قال: «**فهل الناسُ إلا هم**»(١).

وعن ابن عباس ﵄ في هذه الآية أنه قال: «ما أشبه الليلة بالبارحة؛ هؤلاء بنو إسرائيل شُبِّهنا بهم»(٢).

وعن ابن مسعود ﷺ أنه قال: «أنتم أشبه الأمم ببني إسرائيل سمتًا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٩)، ومسلم (٢٦٦٩/٦).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٤/٣٤٢).

وهديًا، تتبعون عملهم حذو القُذَّة بالقُذَّة، غير أني لا أدري أتعبدون العجل أم لا؟».

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: «المنافقون الذين منكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول اللَّه ﷺ». قلنا: وكيف؟ قال: «أولئك كانوا يخفون نفاقهم، وهؤلاء أعلنوه»[(١)].

وأما السنة فجاءت بالإخبار بمشابهتهم في الدنيا وذمِّ ذلك والنهي عن ذلك، وكذلك في الدين، فأما الأول الذي هو الاستمتاع بالخلاق[(٢)]؛ ففي «الصحيحين» عن عمرو بن عوف: أن رسول اللَّه ﷺ بعث أبا عبيدة ابن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتها، وكان رسول اللَّه ﷺ هو صالح أهل البحرين وأمَّر عليهم العلاء بن الحضرمي، فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين، فسمعَتِ الأنصار بقدوم أبي عبيدة، فوافَوْا صلاةَ الفجر مع رسول اللَّه ﷺ، فلما صلى رسول اللَّه ﷺ انصرف، فتعرضوا له، فتبسَّم رسول اللَّه ﷺ حين رآهم، ثم قال: «**أظنُّكم سمعتم أن أبا عبيدةَ قَدِم بشيءٍ مِن البحرين**». فقالوا: أجل يا رسول الله. فقال: «**أبشِروا، وأمِّلوا ما يَسُرُّكم، فواللهِ ما الفقرَ أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تُبْسَطَ الدنيا عليكم كما بُسِطَتْ على مَنْ كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم**»[(٣)] اهـ»[(٤)].

وأما الخوض[(٥)]، فعن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي

(١) أخرجه جعفر بنُ محمد الفريابي في «صفة المنافق» (٥١).

(٢) يعني المذكور في الآية .

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٨٨،٣٧٩١)، ومسلم (٦/٢٩٦١).

(٤) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ١٢٥-١٢٧) ط. العقل.

(٥) يعني المذكور في الآية.

هريرة ﷺ، عن رسول اللّه ﷺ قال: «**تفرَّقتِ اليهودُ على إحدى وسبعين فرقةً، أو اثنتين وسبعين فرقةً، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاثٍ وسبعين فرقةً**». رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح[(١)].

وعن معاوية بن أبي سفيان ﷺ، قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**إنَّ أهلَ الكتابين افترقوا في دينِهم على ثنتين وسبعين ملَّةً، وإن هذه الأمةَ ستفترق على ثلاثِ وسبعين ملَّةً** - يعني: الأهواء - **كلُّها في النارِ إلا واحدةً، وهي الجماعةُ**»[(٢)].

وقال: «**إنه سيخرج من أمتي أقوامٌ تتجارى بهم تلك الأهواءُ كما يتجارى الكَلَبُ[(٣)] بصاحبِه، فلا يبقى منه عِرقٌ ولا مِفْصَلٌ إلا دخله**». واللّهِ يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به محمد ﷺ لَغيرُكم من الناس أحرى أن لا يقوم به»[(٤)]اهـ»[(٥)].

فقوله سبحانه: ﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ﴾. إشارة إلى اتِّباع الشهوات، وهو داء العصاة، وقوله: ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟﴾. إشارة إلى اتباع الشُّبهات، وهو داء المبتدعة وأهل الأهواء والخصومات، وكثيرًا ما يجتمعان، فقلَّ من تجد في اعتقاده فسادًا إلا وهو ظاهر في عمله، وقد

---

(١)،(٢) تقدم تخريجه (ص: ٣١، ٣٢).

(٣) الكَلَبُ: داء يعرض للإنسان مِن عضِّ الكَلْب الكَلِب - وهو الذي يأكل لحوم البشر - فيصيبه شبه الجنون فلا يَعَضُّ أحدًا إلا كَلِب، وتعرِضُ له أعراض رديئة، ويمتنع من شرب الماء حتى يموت عطشًا. «النهاية في غريب الحديث» (٤/ ١٩٥).

(٤) حسن صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ١٠٢)، وأبو داود (٤٥٩٧)، والحاكم (١/ ١٢٨)، وانظر «صحيح الترغيب» (١/ ١٢) (٥١).

(٥) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ١٣٦- ١٣٧).

دلَّت الآية على أن الذين كانوا من قبل استمتعوا وخاضوا، وهؤلاء فعلوا مثل أولئك»[١].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ : «ونهى عن التشبُّه بأهل الكتاب وغيرهم من الكفار في مواضع كثيرة، لأن المشابهة الظاهرة ذريعة إلى الموافقة الباطنة، فإنه إذا أشبه الهَدْيُ الهَدْيَ أشبه القلبُ القلبَ، وقد قال ﷺ: «**خالَفَ هديُنا هديَ الكفار**»[٢]. وفي «**المسند**» مرفوعًا: «**من تشبَّه بقوم فهو منهم**»[٣]اهـ»[٤].

* * *

(١) «إعلام الموقعين» (١/ ١٣٧).

(٢) أخرجه البيهقي في «السنن» (٢/ ٣٢٢)، من حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنه.

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ٥٠، ٩٢)، وأبو داود (٤٠٣١)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وانظر «الإرواء» (١٢٦٩).

(٤) «إغاثة اللهفان» (١/ ٣٦٤).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٤٣

القاعدة الثالثة والأربعون

أنهم يدعون الناس إلى إفراد اللَّه بالتعلُّق تعبُّدًا واستعانةً، ولزوم الهدي النبوي في كل شؤونهم، ومن ذلك ما يواجهونه من عقبات ومشكلات في هذه الحياة، ومنها علاج الصدمات النفسية.

قال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر: ٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: ١٠٧].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء: ٧٨- ٨٠].

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

قال ابن القيم: «وفي «**المسند**» عنه ﷺ أنه قال: «**ما مِن أحدٍ تُصيبُه**

مصيبةٌ فيقولُ: إنا للهِ وإنا إليه راجعونِ، اللهم أْجُرني في مصيبتي وأَخْلِفْ لي خيرًا منها، إلا آجره اللَّه في مصيبته، وأخلَف له خيرًا منها»(١).

وهذه الكلمة من أبلغ علاج المصاب، وأنفعه له في عاجلته وآجلته، فإنها تتضمن أصلين عظيمين إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن مصيبته:

أحدهما: أن العبد وأهله وماله ملكٌ لله ﷻ حقيقة، وقد جعله عند العبد عارية، فإذا أخذه منه فهو كالمعير يأخذ متاعه من المستعير، وأيضًا فإنه محفوف بعدمين: عدم قبله، وعدم بعده، وملك العبد له متعة معارة في زمن يسير، وأيضًا فإنه ليس الذي أوجده عن عدمه حتى يكون ملكه حقيقة، ولا هو الذي يحفظه من الآفات بعد وجوده، ولا يُبقي عليه وجوده، فليس له تأثير ولا ملك حقيقي، وأيضًا فإنه متصرِّف فيه بالأمر تصرُّف العبد المأمور والمنهي، لا تصرُّف المُلَّاك، ولهذا لا يباح له من التصرفات فيه إلا ما وافق أمر مالكه الحقيقي.

والثاني: أن مصير العبد ومرجعه إلى اللَّه مولاه الحق، ولا بد أن يُخلِّفَ الدنيا وراء ظهره، ويجيء ربَّه كما خلقه أول مرة؛ بلا أهل ولا مال ولا عشيرة، ولكن بالحسنات والسيئات، فإذا كانت هذه بداية العبد وما خوَّله ونهايته، فكيف يفرح بموجود، أو يأسَى على مفقودٍ! ففكره في مبدئه ومعاده من أعظم علاج هذا الداء.

- **ومن علاجه:**

أن يعلم علم اليقين أن ما أصابه لم يكن لِيُخطئَه، وما أخطأه لم يكن لِيُصيبَه، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٧)، وأصله في مسلم (٩١٨)، من حديث أبي سلمة ﷺ.

﴿كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ۝٢٣﴾

[الحديد: ٢٢].

ومن علاجه: أن ينظرَ إلى ما أُصيب به فيجد ربه قد أبقى عليه مثله أو أفضل منه، وادَّخر له - إن صبر ورضي - ما هو أعظم من فوات تلك المصيبة بأضعاف مضاعفة، وأنه لو شاء لجعلها أعظم مما هي.

ومن علاجه: أن يطفئ نارَ مصيبته ببرد التأسِّي بأهل المصائب، وليعلم أنه في كل وادٍ بنو سعد[1]، ولينظر يَمنةً فهل يرى إلا محنة؟ ثم ليعطف يَسرةً فهل يرى إلا حسرة؟ وأنه لو فتَّش العالَم لم يرَ فيهم إلا مبتلىً؛ إما بفوات محبوب، أو حصول مكروه، وأن شرور الدنيا أحلام نوم، أو كظلٍّ زائلٍ، إن أضحكت قليلًا أبكت كثيرًا، وإن سرَّتْ يومًا ساءت دهرًا، وإن متَّعت قليلًا منَعَتْ طويلًا، وما ملأت دارًا خَيرةً إلا ملأتها عَبرةً، ولا سرته بيوم سرورٍ إلا خبأت له يومَ شرورٍ.

قال ابن مسعود ﷺ: «لكل فرحةٍ تَرْحة وما مُلئ بيتٌ فرحًا إلا ملئ تَرَحًا»[2].

وقال ابن سيرين: «ما كان ضَحِكٌ قط إلا كان من بعده بكاء»[3].

---

(١) يضرب مثلًا لاستواء القوم في الشر والمكروه، والمثل للأضبط بن قريع السعدي، وكان سيد قومه، فرأى منهم تنقصًا له وتهاونًا به، فرحل عنهم ونزل بآخرين، فرآهم يفعلون بأشرافهم فعل قومه به، فقصد آخرين فرآهم على مثل حالهم، فقال: «أينما أوجه ألق سعدًا». ورحل إلى قومه. وروي أنه قال: «في كل واد بنو سعد». «جمهرة الأمثال» (١/ ١٦).

(٢) أخرجه ابنُ أبي الدنيا في «الاعتبار» (٣).

(٣) المصدر السابق (٥).

وقالت **هند بنت النعمان**: «لقد رأيتنا ونحن من أعز الناس وأشدهم ملكًا، ثم لم تَغِبِ الشمسُ حتى رأيتُنا ونحن أقلُّ الناس، وأنه حق على اللَّه ألَّا يملأ دارًا خَيْرةً إلَّا ملأها عَبْرةً»[١].

وسألها رجلٌ أن تحدِّثَهُ عن أمرها، فقالت: «أصبحنا ذا صباح وما في العرب أحد إلا يرجونا، ثم أمسينا وما في العرب أحد إلا يرحمنا»[٢].

وبكت أختها حُرْقَة بنت النعمان يومًا وهي في عزها، فقيل لها: ما يُبكيك، لعل أحدًا آذاك؟ قالت: «لا، لكن رأيت غَضارة في أهلي، وقلَّما امتلأت دارٌ سرورًا إلا أمتلات حزنًا»[٣].

قال **إسحاق بنُ طلحة**: «دخلتُ عليها يومًا، فقلتُ لها: كيف رأيتِ عَبَراتِ الملوك؟ فقالت: ما نحن فيه اليوم خير مما كنا فيه الأمس، إنا نجد في الكتب أنه ليس من أهل بيت يعيشون في خَيرة إلا سيُعقَبون بعدها عَبرة، وأن الدهر لم يظهر لقوم بيوم يحبونه إلا بطن لهم بيوم يكرهونه. ثم قالت:

فبينا نَسُوسُ الناسَ والأمرُ أمرُنا إذا نحنُ فِيهم سُوقةٌ نَتَنَصَّفُ
فَأُفٍّ لدنيا لا يدومُ نعيمُها تَقَلَّبُ تاراتٍ بنا وتَصَرَّفُ»[٤]

ومن علاجها: أن يعلم أن الجَزع لا يردها، بل يضاعفها، وهو في الحقيقة مِن تزايد المرض.

ومن علاجها: أن يعلم أن فوات ثواب الصبر والتسليم، وهو الصلاة

(١) أخرجه ابنُ أبي الدنيا في «الاعتبار» (٨).
(٢) المصدر السابق (١٠).
(٣) المصدر السابق (٩).
(٤) المصدر السابق (٨).

والرحمة والهداية التي ضمنها اللَّه على الصبر والاسترجاع، أعظم من المصيبة في الحقيقة.

ومن علاجها: أن يعلم أن الجَزَعَ يُشمت عدوَّه، ويسيء صديقَه، ويُغضب ربَّه، ويَسرُّ شيطانَه، ويُحبط أجرَه، ويُضعف نفسَه، وإذا صبر واحتسب أَنْضَى شيطانَه[1] ورده خاسئًا، وأرضى ربَّه، وسرَّ صديقَه، وساء عدوَّه، وحمل عن إخوانه، وعزَّاهم هو قبل أن يعزُّوه، فهذا هو الثبات والكمال الأعظم، لا لطمُ الخدودِ، وشقُّ الجيوب، والدعاءُ بالويل والثبور، والسخط على المقدور.

ومن علاجها: أن يعلم أن ما يعقبه الصبر والاحتساب من اللذة والمسرَّة أضعاف ما كان يحصُل له ببقاء ما أُصيبَ به لو بقي عليه، ويكفيه من ذلك بيتُ الحمد الذي يُبْنَى له في الجنة على حمده لربه واسترجاعه، فلينظر أي المصيبتين أعظم: مصيبة العاجلة، أو مصيبة فواتِ بيتِ الحمدِ في جنة الخلد؟

وفي الترمذي مرفوعًا: «**يودُّ ناسٌ يومَ القيامةِ أن جلودَهم كانت تُقْرَضُ بالمقاريضِ في الدنيا؛ لِمَا يَرَوْنَ من ثوابِ أهلِ البلاءِ**»[2].

وقال بعض السلف: «لولا مصائب الدنيا لوردنا القيامةَ مفاليس».

ومن علاجها: أن يروِّح قلبه بروح رجاء الخَلَفِ من الله، فإنه من كل شيء عوض إلا الله، فما منه عوض، كما قيل:

من كلِّ شيءٍ إذا ضيَّعتَه عِوَضٌ ... وما من اللَّه إن ضَيَّعْتَه عِوَضُ

---

(١) أنضى شيطانه: أَهْزَلَه. وينظر (اللسان) (ن ض ي).

(٢) حسن: أخرجه الترمذي (٢٤٠٤)، وانظر «صحيح الترغيب» (٣٤٠٤).

ومن علاجها: أن يعلم أن حظَّه من المصيبة ما تُحدثه له، فمن رضي فله الرِّضى، ومن سخِط فله السُّخْطُ، فحظُّك منها ما أحدَثَتْه لك، فاخترْ خير الحظوظ، أو شرَّها، فإن أحدثَتْ له سخطًا وكفرًا، كُتِبَ في ديوان الهالكين، وإن أحدثَتْ له جَزَعًا وتفريطًا، في ترك واجب أو فعل محرم، كُتِبَ في ديوان المفرِّطين، وإن أحدثَتْ له شكاية وعدم صبر، كُتِبَ في ديوان المغبونينِ، وإن أحدثَتْ له اعتراضًا على اللّه وقَدْحًا في حكمته، فقد قرع باب الزندقة، أو وَلَجه، وإن أحدثت له صبرًا وثباتًا لله، كُتِبَ في ديوان الصابرين، وإن أحدثَتْ له الرضى عن الله، كُتِبَ في ديوان الراضين، وإن أحدثَتْ له الحمدَ والشكر، كتب في ديوان الشاكرين، وكان تحتَ لواء الحمد مع الحمَّادين، وإن أحدَثَتْ له محبةً واشتياقًا إلى لقاء ربه، كُتِبَ في ديوان المحبِّين المخلصين.

وفي «**مسند الإمام أحمد**»، و«**الترمذي**»، من حديث محمود بن لَبِيد، يرفعه: «**إنَ اللهَ إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم، فمن رَضِيَ فله الرِّضى، ومن سَخِطَ فله السُّخْطُ**». زاد أحمد: «**ومن جَزِعَ فله الجَزَعُ**»[(١)].

ومن علاجها: أن يعلم أنه وإن بلغ في الجزع غايته، فآخِرُ أمرِه إلى صبرِ الاضطرارِ، وهو غيرُ محمود ولا مُثاب، قال بعض الحكماء: «العاقلُ يفعل في أول يوم من المصيبة ما يفعله الجاهل بعد أيام، ومن لم يصبرْ صَبْرَ الكِرام سَلَا سُلُوَّ البهائم[(٢)]».

وفي «**الصحيح**» مرفوعًا: «**الصَّبْرُ عند الصَّدْمَةِ الأولى**»[(٣)].

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٧، ٤٢٩)، والترمذي (٢٣٩٨)، وانظر «الصحيحة» (١٤٦).
(٢) سلا سلو البهائم: أي: نسي نسيان البهائم. انظر: اللسان (س ل و).
(٣) أخرجه البخاري (١١٩٤) وانظر أطرافه، ومسلم (٩٢٦) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

وقال الأشعث بن قيس: «إنك إن صبرت إيمانًا واحتسابًا، وإلا سلوت سُلُوَّ البهائم».

ومن علاجها: أن يعلم أن أنفع الأدوية له موافقةُ ربِّه وإلهه فيما أحبه ورضيه له، وأن خاصية المحبة وسِرَّها موافقة المحبوب، فمن ادَّعى محبة محبوب ثم سَخِطَ ما يُحبُّه وأحب ما يُسخطه، فقد شهد على نفسه بكذبه، وتَمقَّتَ إلى محبوبه.

وقال أبو الدرداء: «إن اللَّه إذا قضى قضاءً أحب أن يُرْضَى به». وكان عمران بن حصين يقول في علته: «أحبُّه إليَّ أحبُّه إليه». وكذلك قال أبو العالية.

وهذا دواء وعلاج لا يعمل إلا مع المحبين، ولا يُمكن كل أحد أن يتعالج به.

ومن علاجها: أن يوازن بين أعظم اللذتين والمتعتين وأدومهما: لذَّةِ تمتُّعه بما أصيب به، ولذَّةِ تمتُّعه بثواب اللَّه له، فإن ظهر له الرجحان فآثر الراجِحَ فليحمد اللَّه على توفيقه، وإن آثر المرجوحَ مِن كل وجه فليعلم أن مصيبته في عقله وقلبه ودينه أعظمُ من مصيبته التي أصيب بها في دنياه!

ومن علاجها: أن يعلم أن الذي ابتلاه بها أحكمُ الحاكمين، وأرحمُ الراحمين، وأنه سبحانه لم يرسل إليه البلاءَ ليهلكه به، ولا ليعذبه به، ولا ليجتاحَه، وإنما تفقَّده به ليمتحن صبره ورضاه عنه وإيمانه، وليسمع تضرعه وابتهاله، وليراه طريحًا ببابه، لائذًا بجنابه، مكسور القلب بين يديه، رافعًا قِصَصَ الشكوى إليه.

قال الشيخ عبد القادر: يا بني، إن المصيبة ما جاءت لتُهلِكَكَ، وإنما

جاءت لتمتحِنَ صبركَ وإيمانَك، يا بني، القَدَرُ سَبُعٌ، والسَّبُعُ لا يأكلُ الميتةَ.

والمقصود: أن المصيبة كِيْرُ العبدِ الذي يُسبك به حاصله، فإما أن يخرج ذهبًا أحمر، وأما أن يخرج خبثًا كله، كما قيل:

سَبَكْنَاهُ ونَحْسِبُه لُجَيْنًا فَأَبْدَى الكِيرُ عن خَبَثِ الحديدِ

فإن لم ينفعه هذا الكِير في الدنيا، فبين يديه الكِير الأعظم، فإذا علم العبد أن إدخاله كير الدنيا ومسبكها خيرٌ له من ذلك الكِير والمسبك، وأنه لا بد من أحد الكِيرين؛ فليعلم قَدْرَ نعمة اللَّه عليه في الكير العاجل.

ومن علاجها: أن يعلم أنه لولا مِحَنُ الدنيا ومصائبُها لأصاب العبدَ - من أدواء الكِبْرِ والعُجب والفرعنة وقسوة القلب - ما هو سببُ هلاكه عاجلاً وآجلاً، فمن رحمة أرحم الراحمين أن يتفقَّده في الأحيان بأنواع من أدوية المصائب، تكون حمية له من هذه الأدواء، وحفظًا لصحة عبوديته، واستفراغًا للمواد الفاسدة الرديئة المهلكة منه، فسبحان من يرحم ببلائه ويبتلي بنعمائه، كما قيل:

قد يُنعمُ اللَّه بالبَلْوى وإن عَظُمَتْ وَيبْتَلي اللهُ بعضَ القومِ بالنِّعَمِ

فلولا أنه سبحانه يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء لَطَغَوا وبَغَوا وعَتَوا، واللَّه سبحانه إذا أراد بعبد خيرًا سقاه دواءً من الابتلاء والامتحان على قدر حاله، يستفرغ به من الأدواء المهلكة، حتى إذا هذَّبه ونقَّاه وصفَّاه أهَّلَهُ لأشرف مراتب الدنيا؛ وهي عبوديتُه، وأرفع ثواب الآخرة؛ وهو رؤيتُه وقربُه.

ومن علاجها: أن يعلم أن مرارةَ الدنيا هي بعينها حلاوةُ الآخرة،

يقلبها اللَّه سبحانه كذلك، وحلاوةَ الدنيا بعينها مرارةُ الآخرة، ولأن ينتقل من مرارةٍ منقطعة إلى حلاوةٍ دائمة خيرٌ له من عكس ذلك، فإن خفي عليك هذا، فانظر إلى قول الصادق المصدوق: «**حُفَّتِ الجنةُ بالمكارهِ، وحُفَّتِ النارُ بالشهواتِ**»[1].

وفي هذا المقام تفاوتت عقول الخلائق، وظهرت حقائق الرجال، فأكثرُهم آثر الحلاوةَ المنقطعةَ على الحلاوةِ الدائمةِ التي لا تزول، ولم يحتمل مرارةَ ساعةٍ لِحلاوةِ الأبدِ، ولا ذُلَّ ساعةٍ لعزِّ الأبدِ، ولا محنةَ ساعةٍ لعافية الأبد، فإن الحاضر عنده شهادةٌ، والمنتظرَ غيبٌ، والإيمان ضعيف، وسلطانُ الشهوة حاكم، فتولد من ذلك إيثارُ العاجلة ورفضُ الآخرة، وهذا حال النظر الواقع على ظواهر الأمور وأوائلها ومبادئها، وأما النظر الثاقب الذي يخرق حجب العاجلة، ويجاوزه إلى العواقب والغايات، فله شأن آخر!.

فادع نفسك إلى ما أعدَّ اللَّه لأوليائه وأهل طاعته من النعيم المقيم، والسعادة الأبدية، والفوز الأكبر، وما أعدَّ لأهل البطالة والإضاعة من الخزي والعقاب، والحسرات الدائمة، ثم اختر أيَّ القسمين أليقُ بك، وكلٌّ يعمل على شاكلته، وكلُّ أحد يصبو إلى ما يُناسبه، وما هو الأَولى به، ولا تستطِلْ هذا العلاجِ، فشدة الحاجة إليه من الطبيب والعليل دعت إلى بسطه، وباللَّه التوفيق.

وأما هديه ﷺ في علاج الكرب والهم والغم والحزن:

أخرجا في «**الصحيحين**» من حديث ابن عباس، أن رسول اللَّه ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٢٢)، من حديث أنس ﷺ.

كان يقول عند الكرب: «**لا إله إلَّا اللهُ العظيمُ الحليمُ، لا إله إلَّا اللهُ ربُّ العرشِ العظيم، لا إله إلَّا اللّه ربُّ السماواتِ السبعِ وربُّ الأرض ربُّ العرشِ الكريم**»(١).

وفي «**جامع الترمذي**» عن أنس، أن رسول اللّه ﷺ كان إذا حزبه أمر قال: «**يا حيُّ يا قيومُ، برحمتِك أستغيثُ**»(٢).

وفيه، عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ كان إذا أهمَّه الأمر، رفع طَرْفَه إلى السماءِ فقال: «**سبحان اللهِ العظيمِ**». وإذا اجتهد في الدعاء قال: «**يا حيُّ يا قيومُ**»(٣).

وفي «**سنن أبي داود**»، عن أبي بكرة، أن رسول اللّه ﷺ قال: «**دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو، فلا تَكِلْني إلى نفسي طَرْفَةَ عينٍ، وأصلحْ لي شأني كلَّه، لا إله إلا أنت**»(٤).

وفيها أيضًا، عن أسماءَ بنتِ عُمَيْسٍ، قالت: قال لي رسول اللّه ﷺ: «**ألا أُعَلِّمُكِ كلماتٍ تقوليهنَّ عند الكرب، أو في الكرب: اللهُ ربِّي لا أُشركُ به شيئًا**»(٥). وفي رواية أنها تقال سبعَ مرات.

وفي «**مسند الإمام أحمد**» عن ابن مسعود، عن النبيِّ ﷺ قال: «**ما أصاب عبدًا هَمٌّ ولا حُزْنٌ فقال: اللهمَّ إني عبدُك، ابنُ عبدِكَ، ابنُ أَمَتِكَ، ناصيتي بيدِكَ، ماضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فيَّ قضاؤكَ، أسألُكَ بكلِّ اسمٍ هو**

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٥، ٥٩٨٦)، ومسلم (٢٧٣٠/ ٨٣).
(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٥٢٤)، وانظر «الصحيحة» (٢٢٧).
(٣) ضعيف: أخرجه الترمذي (٣٤٣٢)، وانظر «الكلم الطيب» (ا/ ١١٦) (١٢٠).
(٤) حسن: أخرجه أبو داود (٥٠٩٠)، وانظر «الكلم الطيب» (ا/ ١١٧) (١٢١).
(٥) صحيح: أخرجه أبو داود (١٥٢٥)، وانظر «الكلم الطيب» (ا/ ١١٧) (١٢٢).

لكَ، سَمَّيْتَ به نفسَكَ، أو أنزلتَهُ في كتابِكَ، أو علَّمْتَهُ أحدًا من خَلْقِكَ، أو استأثرتَ به في علمِ الغيبِ عندَكِ، أن تجعلَ القرآنَ العظيمَ ربيعَ قلبي، ونورَ صدري، وجِلاء حُزْنِي، وذَهَاب هَمِّي. إلَّا أَذْهبَ اللَّه حُزنَه وهَمَّه، وأَبدَلَه مكانَه فَرَحًا»(١).

وفي «الترمذي» عن سعد بن أبي وقاص، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «دعوةُ ذي النُّون إذ دعا ربَّه وهو في بطنِ الحوتِ: لا إله إلَّا أنت سبحانَك إني كنتُ من الظالمين. لم يدعُ بها رجلٌ مسلمٌ في شيءٍ قطُّ إلا استُجيب له»(٢).
وفي رواية: «إني لأعلمُ كلمةً لا يقولُها مكروبٌ إلا فرَّج اللهُ عنه؛ كلمةَ أخي يُونُسَ»(٣).

وفي «سنن أبي داود» عن أبي سعيد الخدري، قال: دخل رسول اللَّه ﷺ ذات يوم المسجد، فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة، فقال: «يا أبا أمامةَ، ما لي أراك في المسجدِ في غيرِ وقتِ الصلاةِ؟» فقال: همومٌ لزمتني وديونٌ يا رسول الله. فقال: «ألا أُعلِّمُكَ كلامًا إذا أنتَ قلته أذهبَ اللهُ عزَّ وجل همَّك، وَقَضَى دَينَك؟». قال: قلتُ: بلى يا رسولَ اللهِ. قال: «قلْ إذا أصبحتَ وإذا أمسيتَ: اللهم إني أعوذُ بك مِن الهمِّ والحَزَنِ، وأعوذُ بك مِن العَجْزِ والكَسَلِ، وأعوذُ بك مِن الجبنِ والبخلِ، وأعوذُ بك من غَلَبَةِ الدَّين وَقهْرِ الرجالِ». قال: ففعلتُ ذلك، فأذهب اللهُ عزَّ وجلَّ همِّي، وقضى عني دَيني(٤).

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٣٩٤، ٤٥٢)، وانظر «الصحيحة» (١٩٩).
(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٥٠٥)، وانظر «الصحيحة» (١٧٤٤).
(٣) عند ابن السُّنّي في «عمل اليوم والليلة» (١/ ١٥٢) (٣٤٢).
(٤) ضعيف بهذا الإسناد: أخرجه أبو داود (١٥٥٥)، وانظر «ضعيف أبي داود » (٣٣٣)، وإنما=

وفي «**سنن أبي داود**» عن ابن عباس، قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**مَن لَزِمَ الاستغفارَ جَعَلَ اللهُ له مِن كلِّ همٍّ فرجًا، ومن كلِّ ضِيقٍ مخرجًا، ورَزَقَه من حيث لا يَحتَسِبُ**»[١].

وفي «**المسند**»: «أن النبي ﷺ كان إذا حَزَبَه أمرٌ فَزِعَ إلى الصَّلاةِ»[٢].

وقد قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ [البقرة:٤٥].

وفي «**السنن**»: «**عليكم بالجهاد، فإنَّه بابٌ مِن أبواب الجنةِ، يدفعُ اللهُ به عن النفوسِ الهمَّ والغمَّ**»[٣].

ويُذكر عن ابن عباس، عن النبي ﷺ: «**من كَثُرتْ همومُه وغمومُه فَلْيُكْثِرْ مِن قولِ: لا حولَ ولا قوةَ إلَّا باللهِ**»[٤].

وثبت في «**الصحيحين**»: أنها كنز من كنوز الجنة[٥]، وفي «**الترمذي**»: أنها باب من أبواب الجنة[٦].

=صح عن النبي ﷺ مِن استعاذته ما أخرجه البخاري (٢٧٣٦) وغيره، من حديث أنس ﷺ، قال: كنت أسمعه ﷺ يكثر أن يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضَلَع الدين وغلبة الرجال**».

(١) **ضعيف**: أخرجه أبو داود (١٥١٨)، وانظر «الضعيفة» (٧٠٥).

(٢) **حسن**: أخرجه أحمد (٥/ ٣٨٨)، وأبو داود (٣١٩١) من حديث حذيفة ﷺ، وانظر «صحيح أبي داود» (١١٧١).

(٣) **صحيح**: أخرجه البيهقي في «سننه» (٢/ ٣٦٣) من حديث عبادة بن الصامت ﷺ، وانظر «الصحيحة» (١٩٤١).

(٤) أخرجه الطبراني في الدعاء(٤/ ٤٥٤) ولفظه: «من ألبسه الله نعمة فليكثر من الحمد لله، ومن كثرت همومه فليستغفر الله ﷻ، ومن أبطأ عنه رزقه فليكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله». وقال الألباني: موضوع. وانظر«الضعيفة» (٤٥٦٤).

(٥) أخرجه البخاري (٣٩٦٨) وانظر أطرافه، ومسلم (٢٧٠٤) من حديث أبي موسى ﷺ.

(٦) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٥٧٦)، وانظر «الصحيحة» (١٧٤٦).

هذه الأدوية تتضمن خمسة عشر نوعًا من الدواء، فإن لم تقو على إذهابِ داءِ الهمِّ والغمِّ والحَزَنِ فهو داءٌ قد استحكم، وتمكنت أسبابُه، ويحتاج إلى استفراغٍ كلِّيٍّ:

الأول: توحيد الربوبية.

الثاني: توحيد الإلهية.

الثالث: التوحيد العلمي الاعتقادي.

الرابع: تنزيه الرب تعالى عن أن يظلم عبده، أو يأخذه بلا سبب من العبد يوجب ذلك.

الخامس: اعتراف العبد بأنه هو الظالم.

السادس: التوسل إلى الرب تعالى بأحب الأشياء، وهي أسماؤه وصفاته، ومن أجمعها لمعاني الأسماء والصفات: الحيُّ القيوم.

السابع: الاستعانة به وحده.

الثامن: إقرار العبد له بالرجاء.

التاسع: تحقيق التوكل عليه، والتفويض إليه، والاعتراف له بأن ناصيته في يده يصرفه كيف يشاء، وأنه ماضٍ فيه حكمُه، عدلٌ فيه قضاؤه.

العاشر: أن يرتع قلبه في رياض القرآن، ويجعله لقلبِه كالربيع للحيوان، وأن يستضيء به في ظلماتِ الشبهات والشهواتِ، وأن يتسلَّى به عن كل فائت، ويتعزَّى به عن كل مصيبة، ويستشفي به من أدواء صدره، فيكون جلاءَ حزنه، وشفاء همه وغمه.

الحادي عشر: الاستغفار.

الثاني عشر: التوبة.

الثالث عشر: الجهاد.

الرابع عشر: الصلاة.

الخامس عشر: البراءة من الحول والقوة وتفويضهما إلى من هما بيده.

واعلم أن اللَّه خلق سبحانه ابن آدم وأعضاءه، وجعل لكل عضو منها كمالًا إذا فقده أحسَّ بالألم، وجعل لِمَلِكِها، وهو القلب، كمالًا، إذا فقده حضرتْه أسقامُه وآلامُه مِن الهمومِ والغمومِ والأحزانِ.

فإذا فقدت العينُ ما خُلِقَتْ له من قوة الإبصار، وفقدت الأذنُ ما خُلِقَتْ له من قوة السمع، واللسان ما خُلِقَ له من قوة الكلام؛ فقدت كمالها.

والقلب خُلِقَ لمعرفة فاطره، ومحبته، وتوحيده، والسرور به، والابتهاج بحبه، والرضى عنه، والتوكل عليه، والحب فيه، والبغض فيه، والموالاة فيه، والمعاداة فيه، ودوام ذكره، وأن يكون أحب إليه من كل ما سواه، وأرجى عنده من كل ما سواه، وأجلّ في قلبه من كل ما سواه، ولا نعيم له ولا سرور ولا لذة، بل ولا حياة، إلا بذلك، وهذا له بمنزلة الغذاء والصحة والحياة، فإذا فقد غذاءه وصحته وحياته، فالهموم والغموم والأحزان مسارعة من كل صَوْبٍ إليه، ورهنٌ مقيم عليه.

ومن أعظم أدوائه: الشركُ والذنوبُ والغفلةُ، والاستهانةُ بمحابِّه ومراضيه، وتركُ التفويض إليه، وقلةُ الاعتماد عليه، والركونُ إلى ما سواه، والسخطُ بمقدوره، والشكُّ في وعده ووعيده.

وإذا تأملتَ أمراض القلب وجدت هذه الأمور وأمثالها هي أسبابُها لا سبب لها سِواها، فدواؤه الذي لا دواء له سواه ما تضمنته هذه العلاجات

النبوية من الأمور المضادة لهذه الأدواء، فإن المرضَ يُزال بالضد، والصِّحةُ تُحفظ بالمثل، فصحتُه تُحفظ بهذه الأمور النبوية، وأمراضُه بأضدادها.

فالتوحيد يفتح للعبد بابَ الخيرِ والسرورِ واللذةِ والفرحِ والابتهاجِ، والتوبةُ استفراغٌ للأخلاط والمواد الفاسدة التي هي سببُ أسقامه، وحميةٌ له من التخليط، فهي تغلق عنه باب الشرور، فيُفتحُ له بابُ السعادةِ والخيرِ بالتوحيدِ، ويُغلقُ بابُ الشرورِ بالتوبةِ والاستغفارِ.

قال بعضُ المتقدمين من أئمة الطب: من أراد عافية الجسم فليقلِّلْ من الطعام والشراب، ومن أراد عافية القلب فليترك الآثام.

وقال ثابت بن قرة: راحةُ الجسم في قلةِ الطعام، وراحةُ الرُّوحِ في قلةِ الآثام، وراحةُ اللسانِ في قلةِ الكلام.

والذنوب للقلب بمنزلة السموم، إن لم تُهلكه أضعفته، ولا بد، وإذا ضعُفتْ قوتُه لم يقدرْ على مقاومةِ الأمراضِ»[1].

* * *

(١) «زاد المعاد» (٤/ ١٨٩- ٢٠٣).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٤٤

القاعدة الرابعة والأربعون

أنهم يعتقدون أن حقوق الرحمن هي الغاية، وأما حقوق الإنسان فهي تبع لها

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨].

وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

وقال عليه السلام: **«يا مُعاذُ، هل تَدْري ما حَقُّ اللَّهِ على عِبادِهِ، وما حَقُّ الْعِبادِ على اللَّهِ؟»** قلت: اللَّه وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قال: **«فإن حَقَّ اللَّهِ على الْعِبادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ ولا يُشْرِكُوا بِهِ شيئًا، وَحَقَّ الْعِبادِ على اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ من لَا يُشْرِكُ بِهِ شيئًا»**. أخرجاه(١).

وفي هذا يقول شيخ الإسلام: «يقول بعضُ المتفلسفةِ: إن المقصودَ بالدينِ مجردُ المصلحةِ الدنيويةِ! وليس المقصود بالدين الحق مجرد المصلحة الدنيوية من إقامة العدل بين الناس في الأمور الدنيوية، كما يقوله طوائف من المتفلسفة في مقصود النواميس والنبوات أن المراد بها

(١) تقدم تخريجه (ص ٢٥٣، ٢٥٤).

مجرد وضع ما يحتاج إليه معاشهم في الدنيا، من القانون العدلي الذي ينتظم به معاشهم، لكن هذا قد يكون المقصود في أديان من لم يؤمنْ باللهِ ورسولهِ، من أتباعِ الملوك المتفلسفةِ ونحوهم، مثل قومِ نوحٍ ونمرودَ وجنكيزخان وغيرهم، فإن كلَّ طائفةٍ من بني آدم محتاجون إلى التزام واجبات وترك محرمات يقوم بها معاشهم وحياتهم الدنيوية، وربما جعلوا مع ذلك ما يستولون به على غيرهم من الأصناف ويقهرونه، كفعل الملوك الظالمين مثل جنكيزخان، فإذا لم يكن مقصود الدين والناموس الموضوع إلا جلب المنفعة في الحياة الدنيا ودفع المضرة فيها، فليس لهؤلاء في الآخرة من خَلاق، ثم إن كان مع ذلك جعلوه ليستولوا به على غيرهم من بني آدم ويقهرونهم، كفعل فرعون وجنكيزخان ونحوهما، فهؤلاء من أعظم الناس عذابًا في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص: ٢، ٣].

وقد قصَّ اللهُ سبحانه قصةَ فرعونَ في غير موضع من القرآن، وكان هو وقومه على دينٍ لهم من دين الملوك، كما قال تعالى في قصة يوسف: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [يوسف: ٧٦]. وهذا الملكُ كان فرعون يوسف وكان قبل فرعون موسى، وفرعونُ اسمٌ لمن يملك مصرَ مِن القبطِ، وهو اسمُ جنسٍ كقيصرَ وكسرى والنجاشيِّ ونحو ذلك، وهؤلاء المتفلسفة الصابئة المبتدعة من المشَّائين ومن سلك مسلكهم من المنتسبين إلي المِلل في المسلمين واليهود والنصارى، يجعلون الشرائع والنواميس والديانات من هذا الجنس لوضع قانون تتم

به مصلحة الحياة الدنيا، ولهذا لا يأمرون فيها بالتوحيد، وهو عبادة اللّٰه وحده، ولا بالعمل للدار الآخرة، ولا ينهون فيها عن الشرك، بل يأمرون فيها بالعدل والصدق والوفاء بالعهد، ونحو ذلك من الأمور التي لا تتم مصلحةُ الحياةِ الدنيا إلا بها، ويشرعون التأله للمخلصين والمشركين»[١].

* * *

(١) «قاعدة في المحبة» (ص٤٧).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٤٥

القاعدة الخامسة والأربعون

أنهم يَحْكُمُونَ على الناس بما ظهر من أعمالهم، ويدَعُون السرائر إلى الله

قال تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [التوبة: ٩٥].

وفي «**الصحيح**» عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنكم تَخْتَصِمُونَ إليَّ ولعلَّ بعضَكم أن يكون أَلْحَنَ بحجتِه من بعضٍ، وإنما أقضي بنحو ما أسمعُ، فمن قضيتُ له من أخيه شيئًا فلا يأخذه، فإنما أقطعُ له قطعةً مِن النارِ**»(١). فهذا قولُ إمامِ الحكامِ وسيدِ ولدِ آدمَ.

وقال النبي ﷺ: «**أَبْصِرُوهَا فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَكْحَلَ الْعَيْنَيْنِ، سَابغَ الإليتين، خَدَلَّجَ السَّاقَيْنِ، فَهُوَ لِشَرِيكِ بنِ سَحْمَاءَ**». فجاءت به كذلك، فقال النبي ﷺ: «**لَوْلَا ما مَضَى من كِتَابِ اللَّهِ لَكَانَ لي وَلَهَا شَأْنٌ**»(٢).

عن أسامة بن زيد قال: بعثنا رسول اللَّه ﷺ في سريَّة فصبحنا

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٣٤)، وانظر أطرافه، ومسلم (٤/ ١٧١٣) من حديث أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٧٠)، ومسلم (١٤٩٦/ ١١)، من حديث ابن عباس وأنس رضي الله عنهم.

الحُرَقات[١] من جهينة، فأدركت رجلاً، فقال: لَا إِلَهَ إلا الله. فطعنته، فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي ﷺ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَقَالَ: لَا إِلَهَ إلا الله. وَقَتَلْتَهُ؟!**». قال: قلت: يا رَسُولَ اللَّهِ، إنما قَالَهَا خَوْفًا من السِّلَاحِ. قال: «**أَفَلاشَقَقْتَ عن قَلْبِهِ حتى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟**». فما زال يكررها عليَّ حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ. قال: فقال سعد: وأنا واللَّه لَا أقتل مسلمًا حتى يقتله ذو البُطَين - يَعْنِي أسامةَ - قال: قال رجل: ألم يقل الله: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]. فقال سَعْدٌ: قد قَاتَلْنَا حتى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ، وَأَنْتَ وَأَصْحَابُكَ تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا حتى تَكُونَ فِتْنَةٌ»[٢].

وكان عُمَرُ بن الْخَطَّابِ ﷺ يقول: «إِنَّ أُنَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالوحيِ في عهدِ رسول اللَّهِ ﷺ، وَإِنَّ الوحيَ قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالِكم، فمَن أظهر لنا خيرًا أَمِنَّاه[٣] وقرَّبناه، وليس إلينا من سريرتِه شيءٌ، اللَّه يحاسبُه في سريرتِه، ومَن أظهر لنا سوءًا لم نأمنْهُ ولم نُصدِّقْهُ، وإن قال: إنَّ سريرتَه حسنةٌ»[٤].

* * *

---

(١) الحُرَقات، نسبة إلى الحُرَقَة، واسمه جُهَيْشُ بن عامر بن ثعلبة بن مُودِعَة بن جهينة، تسمَّى الحرقة لأنه حَرَّق قومًا بالقتل فبالغ في ذلك. (فتح الباري) (١٢/ ٨٢).

(٢) أخرجه بهذا السياق مسلم (١٥٨)، وأصل الحديث في البخاري (٤٠٢١).

(٣) أمناه، من الأمن، أي: صَيَّرناه عندنا أمينًا. فتح الباري (٨/ ١٤٩).

(٤) أخرجه البخاري (٢٤٩٨).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٤٦

القاعدة السادسة والأربعون

أنهم يحذِّرون المسلمين من مضلات الفتن

قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾ [العنكبوت: ٢].

قال ابن القيم: «قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: قال رسول اللَّه صلى اللَّه تعالى عليه وآله وسلم: «**تعرضُ الفتنُ على القلوبِ كَعَرْضِ الحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فأيُّ قلبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَتْ فيه نُكتةٌ سوداءُ، وأيُّ قلبٍ أنكرَها نُكتتْ فيه نكتةٌ بيضاءُ، حتى تعودَ القلوبُ على قلبين: قلبٍ أسودَ مُرْبَادًا[1] كالكوز مُجَخِّيًا، لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، إلا ما أُشرب من هواه، وقلبٍ أبيضَ فلا تضرُّه فتنةٌ ما دامتِ السمواتُ والأرضُ**»[2].

فشبَّه عرض الفتن على القلوب شيئًا فشيئًا كعرض عيدان الحصير، وهي طاقاتها[3]، شيئًا فشيئًا، وقسَّم القلوب عند عرضها عليها إلى

---

(١) **مربَادًا**: اربداد القلب من حيث المعنى لا الصورة، فإن لون القلب إلى السواد ما هو. **والرُّبْدَة**: لون بين السواد والغبرة. اللسان (ر ب د).

(٢) أخرجه مسلم (١٤٤).

(٣) **الطاقات**، جمع طاقة، وهي: شُعبةٌ أو حزمة من ريحان، أو زهر، أو شعَر، أو عيدان، أو خيوط، أو حبال. الوسيط (ط و ق).

قسمين:

قلب إذا عرضت عليه فتنة أُشْرِبها كما يشْرَبُ السفنجُ الماءَ، فتنكت فيه نكتة سوداء، فلا يزال يشرب كل فتنة تعرض عليه حتى يسودَّ وينتكس، وهو معنى قوله: «**كالكوز مجخيًا**» أي: مكبوبًا منكوسًا، فإذا اسودَّ وانتكس عرض له من هاتين الآفتين مرضان خطران متراميان به إلى الهلاك:

أحدهما: اشتباه المعروف عليه بالمنكر، فلا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، وربما استحكم عليه هذا المرض حتى يعتقد المعروفَ منكرًا والمنكرَ معروفًا، والسنةَ بدعةً والبدعةَ سنةً، والحقَّ باطلًا والباطلَ حقًّا.

الثاني: تحكيمُه هواه على ما جاء به الرسول صلى اللَّه تعالى عليه وآله وسلم وانقياده للهوى واتباعه له.

وقلب أبيض قد أشرق فيه نور الإيمان وأزهر فيه مصباحه، فإذا عرضت عليه الفتنة أنكرها وردَّها، فازداد نوره وإشراقه وقوته.

والفتن التي تعرض على القلوب هي أسباب مرضها، وهي فتن الشهوات وفتن الشبهات، فتن الغي والضلال، فتن المعاصي والبدع، فتن الظلم والجهل، فالأولى توجب فساد القصد والإرادة، والثانية توجب فساد العلم والاعتقاد.

وقد قسَّم الصحابة رضي اللَّه تعالى عنهم القلوب إلى أربعة، كما صح عن حذيفة بن اليمان: «القلوب أربعةٌ:

قلبٌ أَجْرَدُ، فيه سراجٌ يُزْهِرُ، فذلك قلبُ المؤمنِ.

وقلبٌ أَغلَفُ، فذلك قلب الكافر.

وقلب منكوسٌ، فذلك قلب المنافق، عَرَفَ ثم أنكر، وأبصر ثم

عَمِيَ.

وقلبٌ تَمُدُّهُ مادتان: مادةُ إيمانٍ، ومادةُ نفاقٍ، وهو لِمَا غَلَبَ عليه منهما»[١].

فقوله: «قلب أجرد» أي: متجرد مما سوى اللَّه ورسوله، فقد تجرَّد وسلِم مما سوى الحق، و: «فيه سراج يزهر»، وهو مصباح الإيمان، فأشار بتجرده إلى سلامته من شبهات الباطل وشهوات الغي، وبحصول السراج فيه إلى إشراقه واستنارته بنور العلم والإيمان.

وأشار بالقلب الأغلف إلى قلب الكافر؛ لأنه داخل في غلافه وغشائه، فلا يصل إليه نور العلم والإيمان، كما قال تعالى حاكيًا عن اليهود: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ [البقرة:٨٨]. وهو جمع أغلف، وهو الداخل في غلافه، كقُلْفٍ وأَقْلَفٍ، وهذه الغشاوة هي الأَكِنَّة التي ضربها اللَّه على قلوبهم؛ عقوبة لهم على رد الحق والتكبر عن قبوله، فهي أكنة على القلوب، ووَقْر في الأسماع، وعمًى في الأبصار، وهي الحجاب المستور عن العيون في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الإسراء: ٤٥، ٤٦].

فإذا ذكر لهذه القلوب تجريد التوحيد وتجريد المتابعة ولّى أصحابها على أدبارهم نفورًا.

وأشار بالقلب المنكوس - وهو المكبوب - إلى قلب المنافق، كما

---

(١) صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ١٦٨)، صححه الألباني موقوفًا على حذيفة ﷺ في تحقيقه لكتاب «الإيمان لابن تيمية» (ا/ ١٠٦).

قال تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا﴾ [النساء: ٨٨]. أي نكسهم وردهم في الباطل الذي كانوا فيه، بسبب كسبهم وأعمالهم الباطلة، وهذا شر القلوب وأخبثها، فإنه يعتقد الباطل حقًّا ويوالي أصحابه، والحق باطلًا ويعادي أهله، فاللَّه المستعان.

وأشار بالقلب الذي له مادتان إلى القلب الذي لم يتمكن فيه الإيمان، ولمْ يُزْهِرْ فيه سراجُه، حيث لم يتجرد للحقِّ المحض الذي بعث اللَّه به رسوله، بل فيه مادة منه ومادة من خلافه، فتارة يكون للكفر أقرب منه للإيمان، وتارة يكون للإيمان أقرب منه للكفر، والحكم للغالب وإليه يرجع»[(١)].

وقال: «ولفظ الفتنة في كتاب اللَّه تعالى يراد بها الامتحان الذي لم يفتتن صاحبه، بل خلص من الافتتان، ويراد بها الامتحان الذي حصل معه افتتان.

فمن الأول: قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠].

ومن الثاني: قوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٣٩]. وقوله: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة: ٤٩].

ويطلق على ما يتناول الأمرين كقوله تعالى: ﴿الم ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: ١-٣]. ومنه قول موسى عليه السلام: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ﴾ [الأعراف: ١٥٥]. أي امتحانُك وابتلاؤك، تضل بها من وقع فيها، وتهدي من نجا منها.

---

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ١٣ وما بعدها).

وتطلق الفتنة على أعم من ذلك، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾ [التغابن: ١٥].

قال مقاتل: أي: بلاء وشغل عن الآخرة. **قال ابن عباس**: فلا تطيعوهم في معصية اللَّه تعالى. **وقال الزجاج**: أعلمهم اللَّه ﷻ أن الأموال والأولاد مما يفتنون به، وهذا عام في جميع الأولاد، فإن الإنسان مفتون بولده، لأنه ربما عصى اللَّه تعالى بسببه، وتناول الحرام لأجله، ووقع في العظائم، إلا من عصمه اللَّه تعالى.

ويشهد لهذا ما روي: أن النبي ﷺ كان يخطب فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما وعليهما قميصان أحمران يعثران، فنزل النبي إليهما فأخذهما فوضعهما في حجره على المنبر، وقال: «**صدق الله**: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾. **رأيتُ هذين الصَّبيَّينِ فلم أصبرْ عنهما**»(١).

وقال ابن مسعود ﷺ: «لا يقولن أحدكم: اللهم إني أعوذ بك من الفتنة. فإنه ليس منكم أحد إلا وهو مشتمل على فتنة، لأن اللَّه تعالى يقول: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾. فأيكم استعاذ فليستعذ باللَّه تعالى من مُضِلَّات الفتن»(٢).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً﴾ [الفرقان: ٢٠]. وهذا عام في جميع الخلق، امتحن بعضهم ببعض، فامتحن الرسلَ بالمرسَلِ إليهم: ودعوتهم إلى الحق والصبر على أذاهم، وتحمل المشاق في تبليغهم رسالات ربهم، وامتحن المرسَلَ إليهم بالرسل: وهل يطيعونهم،

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٣٥٤)، والترمذي (٤٧٧٤)، وانظر «صحيح الترمذي» (٢٩٦٩).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٧٥).

وينصرونهم، ويصدّقونهم؟ أم يكفرون بهم، ويردُّون عليهم، ويقاتلونهم؟ وامتحن العلماءَ بالجهَّالِ: هل يعلمونهم، وينصحونهم، ويصبرون على تعليمهم ونصحهم وإرشادهم، ولوازم ذلك؟ وامتحن الجهال بالعلماءِ: هل يطيعونهم ويهتدون بهم؟ وامتحن الملوكَ بالرعيةِ، والرعيةَ بالملوكِ. وامتحن الأغنياءَ بالفقراءِ، والفقراءَ بالأغنياءِ. وامتحن الضعفاءَ بالأقوياءِ، والأقوياءَ بالضعفاءِ. والسادةَ بالأتباعِ، والأتباعَ بالسادةِ. وامتحن المالكَ بمملوكِه، ومملوكَه به. وامتحن الرجلَ بامرأتِه، وامرأتَه به. وامتحن الرجالَ بالنساءِ، والنساءَ بالرجالِ. والمؤمنين بالكفار، والكفارَ بالمؤمنين. وامتحن الآمرين بالمعروف بمن يأمرونهم، وامتحن المأمورين بهم. ولذلك كان فقراءُ المؤمنين وضعفاؤهم مِن أتباع الرسلِ فتنةً لأغنيائهم ورؤسائهم؛ امتنعوا من الإيمان بعد معرفتهم بصدق الرسل، وقالوا: لو كان خيرًا ما سبقونا إليه هؤلاء.

وقالوا لنوح عليه السلام: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا﴾ [الأنعام: ٥٣]. فإذا رأى الشريفُ الرئيسُ المسكينَ الذليلَ قد سبقه إلى الإيمانِ ومتابعةِ الرسول، حَمِيَ وأَنِفَ أن يسلم فيكون مثله، وقال: أُسْلِمُ فأكون أنا وهذا الوضيع على حد سواء؟!

قال الزجاج: كان الرجل الشريف ربما أراد الإسلام، فيمتنع منه؛ لئلَّا يقال: أسلم قبله مَن هو دونه. فيقيم على كفره؛ لئلا يكون للمسلم السابقة عليه في الفضل.

ومن كون بعض الناس لبعضهم فتنة: أن الفقير يقول: لِمَ لَمْ أكن مثل الغني؟ ويقول الضعيف: هلَّا كنت مثل القوى؟ ويقول المبتلى:

هلَّا كنت مثل المعافى؟ وقال الكفار: ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

قال مقاتل: نزلت في افتتان المشركين بفقراء المهاجرين، نحو بلال وخباب وصهيب وأبي ذر وابن مسعود وعمار، كان كفار قريش يقولون: انظروا إلى هؤلاء الذين تبعوا محمدًا من موالينا وأراذلنا! قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المؤمنين: ١٠٩- ١١١]. فأخبر سبحانه أنه جزاهم على صبرهم، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان: ٢٠].

قال الزجاج: أي أتصبرون على البلاء؟ فقد عرفتم ما وَجَد الصابرون.

قلت: قرن اللَّه سبحانه الفتنة بالصبر هاهنا، وفي قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟﴾ [النحل: ١١٠]. فليس لمن قد فتن بفتنة دواءٌ مثلُ الصبرِ، فإن صبر كانت الفتنة ممحِّصة له ومخلِّصة من الذنوب، كما يخلِّص الكيرُ خبثَ الذهب والفضة.

فالفتنةُ كِيرُ القلوبِ ومحكُّ الإيمانِ، وبها يتبين الصادق من الكاذب، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: ٣].

فالفتنة قَسَّمتِ الناسَ إلى صادق وكاذب، ومؤمن ومنافق، وطيب وخبيث، فمن صبر عليها كانت رحمة في حقه، ونجا بصبره من فتنة

أعظم منها، ومن لم يصبر عليها وقع في فتنة أشد منها.

فالفتنة لا بد منها في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الذاريات: ١٣، ١٤]»[1].

وقال: «والفتنة نوعان: فتنة الشبهات، وهي أعظم الفتنتين، وفتنة الشهوات، وقد يجتمعان للعبد، وقد ينفرد بإحداهما:

ففتنة الشبهات: من ضعف البصيرة وقلة العلم، ولا سيما إذا اقترن بذلك فساد القصد وحصول الهوى، فهنالك الفتنة العظمى، والمصيبة الكبرى، فقل ما شئت في ضلال سيئ القصد، الحاكم عليه الهوى لا الهدى، مع ضعف بصيرته، وقلة علمه بما بعث اللَّه به رسوله، فهو من الذين قال اللَّه تعالى فيهم: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [النجم: ٢٣]. وقد أخبر اللَّه سبحانه أن اتباع الهوى يضل عن سبيل الله، فقال: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص: ٢٦].

وهذه الفتنة مآلها إلى الكفر والنفاق، وهي فتنة المنافقين، وفتنة أهل البدع على حسَب مراتب بدعهم، فجميعهم إنما ابتدعوا من فتنة الشبهات التي اشتبه عليهم فيها الحق بالباطل، والهدى بالضلال.

ولا يُنجي من هذه الفتنة إلا تجريد اتباع الرسول ﷺ وتحكيمه في دِقِّ الدين وجِلِّه، ظاهره وباطنه، عقائده وأعماله، حقائقه وشرائعه، فيتلقى عنه حقائق الإيمان وشرائع الإسلام، وما يثبته لله من الصفات والأفعال

---

(١) «إغاثة اللهفان» (٢/ ١٥٤- وما بعدها).

والأسماء، وما ينفيه عنه، كما يتلقى عنه وجوب الصلوات وأوقاتها وأعدادها، ومقادير نُصُب الزكاة ومستحقيها، ووجوب الوضوء والغسل من الجنابة، وصوم رمضان، فلا يجعله رسولًا في شيء دون شيء من أمور الدين، بل هو رسول في كل شيء تحتاج إليه الأمة في العلم والعمل، لا يُتَلَقَّى إلا عنه، ولا يؤخذ إلا منه، فالهدى كله دائر على أقواله وأفعاله، وكل ما خرج عنها فهو ضلال، فإذا عقد قلبه على ذلك وأعرض عما سواه، ووزنه بما جاء به الرسول، فإن وافقه قَبِلَه، لا لكون ذلك القائل قاله، بل لموافقته للرسالة، وإن خالفه رده، ولو قاله من قاله، فهذا الذي ينجيه من فتنة الشبهات، وإن فاته ذلك أصابه من فتنتها بحسَب ما فاته منه.

وهذه الفتنة تنشأ تارة من فهم فاسد، وتارة من نقل كاذب، وتارة من حق ثابت خفي على الرجل فلم يظفر به، وتارة من غرض فاسد وهوًى متبع، فهي من عمًى في البصيرة، وفساد في الإرادة.

وأما النوع الثاني من الفتنة: ففتنة الشهوات، وقد جمع سبحانه بين ذكر الفتنتين في قوله: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ﴾ [التوبة: ٦٩]. أي: تمتعوا بنصيبهم من الدنيا وشهواتها، والخلاق هو: النصيب المقدر. ثم قال: ﴿وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ﴾ [التوبة: ٦٩]. فهذا الخوض بالباطل، وهو: الشبهات.

فأشار سبحانه في هذه الآية إلى ما يحصل به فساد القلوب والأديان من الاستمتاع بالخلاق، والخوض بالباطل، لأن فساد الدِّين إما أن يكون باعتقاد الباطل والتكلم به، أو بالعمل بخلاف العلم الصحيح،

فالأول هو البدع وما والاها، والثاني فسق الأعمال، فالأول فساد من جهة الشبهات، والثاني من جهة الشهوات.

ولهذا كان السلف يقولون: احذروا من الناس صنفين: صاحب هوًى قد فتنه هواه، وصاحب دنيا أعمته دنياه»[(١)].

وقال: «وهٰهنا لطيفة للشيطان لا يتخلص منها إلا حاذق، وهي أن يظهر له في مظان الشر بعض شيء من الخير، ويدعوه إلى تحصيله، فإذا قرب منه ألقاه في الشبهة، والله أعلم»[(٢)].

* * *

(١) «إغاثة اللهفان» (٢/ ١٦٠. وما بعد).

(٢) «عدة الصابرين» (ص٥٠).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٤٧

القاعدة السابعة والأربعون

أنهم يقرِّرون أن من أبرز علامات أهل البدع: التلون والتنقل، وأنهم قلَّما يُوَفَّقُونَ للتوبة

قال تعالى: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٧٢﴾ [آل عمران: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ۝٧﴾ [آل عمران: ٧].

«قال أبو الفرج الهمداني: سمعتُ المروزي يقول: سُئِلَ أحمد عما ورد عن النبي ﷺ: «**إن اللهَ احتَجَرَ التوبةَ عن صاحبِ بدعةٍ**»(١): وحجبُ التوبة؛ إيش معناه؟ فقال أحمد: لا يُوَفَّقُ ولا يُيَسَّرُ صاحبُ بدعةٍ لتوبةٍ.

وقال النبي ﷺ لعائشة لما قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]. فقال النبي ﷺ: «**هم أهلُ الأهواءِ**

---

(١) صحيح: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤/ ٢٨١)، من حديث أنس ﷺ بنحوه، وانظر: «صحيح الجامع» (٢٥٧٩).

والبدعِ، ليست لهم توبةٌ» .[١] إسناده حسن»[٢].

«ولهذا قال أئمةُ الإسلام كسفيان الثوري وغيره: إن البدعة أحبُّ إلى إبليسَ مِن المعصية؛ لأن البدعة لا يُتَابُ منها، والمعصية يُتَابُ منها. ومعنى قولهم: (إن البدعة لا يُتَابُ منها): أن المبتدع الذي يتخذُ دينًا لم يُشَرِّعْه اللهُ ولا رسولُه، قد زُيِّن له سوءُ عمله فرآه حسنًا، فهو لا يتوبُ ما دام يراه حسنًا، لأن أول التوبة العلم بأن فعله سيِّئ ليتوب منه، أو بأنه ترك حسنًا مأمورًا به، أمْرَ إيجابٍ أو استحباب، ليتوب ويفعله، فما دام يرى فعله حسنًا، وهو سيّئ في نفس الأمر؛ فإنه لا يتوب»[٣].

«وكذلك من أعرض عن اتباع الحق الذي يعلمه تبعًا لهواه، فإن ذلك يورثه الجهل والضلال حتى يعمَى قلبُه عن الحق الواضح، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]. وقال تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠]. وقال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَاۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠٩ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١١٠﴾ [الأنعام: ١٠٩، ١١٠]. وهذا استفهام نفيٍ وإنكارٍ، أي: وما يدريكم أنها إذا جاءت لا يؤمنون، وإنا نُقَلِّبُ أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة. على قراءة من قرأ (إنها) بالكسر، تكون جزمًا بأنها إذا جاءت لا يؤمنون ونقلب أفئدتهم

(١) ضعيف: أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٣٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٩٨٧) من حديث عمر ﷺ، وانظر «ظلال الجنة» (٤).

(٢) «بدائع الفوائد» (٤/ ٨٤٩).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٩).

وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة. ولهذا قال من قال من السلف، كسعيد بن جبير: إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، وإن من عقوبة السيئة السيئة بعدها.

وقد ثبت في «الصحيحين» عن ابن مسعود ﷺ، عن النبى ﷺ أنه قال: **«عليكم بالصدقِ، فإن الصدقَ يَهْدِي إلى البرِّ، وإنَّ الْبِرَّ يَهدِي إلى الجنةِ، ولا يزالُ الرجلُ يصدقُ ويتحرَّى الصدقَ حتى يُكْتَبَ عند اللهِ صِدِّيقًا، وإياكم والكذبَ؛ فإنَّ الكذبَ يهدي إلى الفجورِ وإن الفجورَ يهدي إلى النارِ، ولا يزالُ الرجلُ يكذبُ ويتحرَّى الكذبَ حتى يُكْتَبَ عند اللهِ كذَّابًا»**[(١)]. فأخبر النبيُّ ﷺ أن الصدقَ أصلٌ يستلزم البرَّ، وأن الكذبَ يستلزمُ الفجورَ»[(٢)].

«وأصل العداوة البغض، كما أن أصل الولاية الحب، ومن المعلوم أنك لا تجد أحدًا ممن يَرُدُّ نصوص الكتاب والسنة بقوله إلا وهو يبغض ما خالف قوله، ويود أن تلك الآية لم تكن نزلت، وأن ذلك الحديث لم يرد، ولو أمكنه كشط ذلك من المصحف لفعله[(٣)]، قال بعض السلف: ما ابتدع أحدٌ بدعةً إلا خرجتْ حلاوةُ الحديثِ من قلبِه»[(٤)].

«وكلٌ من أبغض شيئًا من نصوص الوحي ففيه من عداوة اللّه ورسوله بحسَب ذلك، ومن أحب نصوص الوحي ففيه من ولاية اللّه ورسوله بحسَب ذلك، وأصل العداوة: البغض، كما أن أصل الولاية: الحب،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٤٣)، ومسلم (٢٦٠٧/١٠٣، ١٠٥).
(٢) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ١٠).
(٣) نُقِلَ هذا ومثله عن عمرو بن عُبيد، انظر: «أخبار عمرو بن عبيد» للحافظ الدارقطني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
(٤) «درء تعارض العقل والنقل» (٥/ ٢١٧).

قال عبد اللَّه بن مسعود: «لا يسألُ أحدُكم عن نفسه غيرَ القرآنِ، فإن كان يحبُّ القرآنَ فهو يحبُّ اللهَ، وإن كان يبغضُ القرآنَ فهو يبغضُ الله».

ومن تأمل قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]. وجده منطبقًا على هؤلاء أتم انطباق، فإنهم يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا. والزخرف: هو الكلام المزين، كما يزين الشيء بالزخرف، وهو: الذهب. وهو: الغرور، لأنه يغر المستمع، والشبهات المعارضة للوحي هي كلام زخرف يغر المستمع، ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الأنعام: ١١٣]. فانظر إلى إصغاء المستجيبين لهؤلاء ورضاهم بذلك واقترافهم المترتب عليه، فتأمل»(١).

قال ابن القيم: «وأنَّى بالتوبة منها لمن لم يعلم أنها بدعة، أو يظنها سنة، فهو يدعو إليها ويحض عليها، فلا تنكشف لهذا ذنوبُه التي تجب عليه التوبة منها إلا بتضلعه من السنة، وكثرة اطلاعه عليها، ودوام البحث عنها، والتفتيش عليها، ولا ترى صاحب بدعة كذلك أبدًا»(٢).

* **قلت**: ومصداق ذلك في كتاب اللَّه قوله تعالى: ﴿۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة: ٧٥].

قال ابن القيم: «ومن صفاتهم(٣): كثرة التلون، وسرعة التقلب، وعدم الثبات على حال واحد، بينا تراه على حال تعجبك من دين، أو

(١) «الصواعق المرسلة» (٣/ ١٠٤٢).
(٢) «مدارج السالكين» (١/ ٣٧٤).
(٣) أي: صفات أهل الزندقة والنفاق والأهواء.

عبادة، أو هَدْي صالح، أو صدق، إذ انقلب إلى ضد ذلك، كأنه لم يعرف غيره، فهو أشد الناس تلونًا وتقلبًا!»(١).

ومصداق ذلك في كتاب الله قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران: ٧].

«ولهذا شرط اللَّه تعالى في توبة الكاتمين ما أنزل اللَّه من البينات والهدى البيانَ؛ لأن ذنبهم لما كان بالكتمان كانت توبتهم منه بالبيان، قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠]. وذنب المبتدع فوق ذنب الكاتم لأن ذاك كتم الحق، وهذا كَتَمه ودَعا إلى خلافه، فكل مبتدعٍ كاتمٌ، ولا ينعكس»(٢).

«فتوبة الداعي إلى البِدعة أن يبين أن ما كان يدعو إليه بدعة وضلالة، وأن الهدى في ضده، كما شرط تعالى في توبة أهل الكتاب الذين كان ذنبُهم كتمانَ ما أنزل اللَّه من البينات والهدى؛ ليضلوا الناس بذلك، أن يصلحوا العمل في نفوسهم، ويبينوا للناس ما كانوا يكتمونهم إياه، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟

---

(١) «طريق الهجرتين» (ص٦٠٢).

(٢) «مدارج السالكين» (١/ ٣٦٣).

فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾»[(١)].

«فالتوبةُ منه ممكنةٌ وواقعةٌ بأن يهديه اللَّه ويرشده حتى يتبين له الحقُّ، كما هدى سبحانه وتعالى من هدى من الكفار والمنافقين وطوائف من أهل البدع والضلال، وهذا يكون بأن يتبع من الحقِّ ما علمه، فمن عمِل بما علِم أورثه اللهُ عِلْمَ ما لم يعلَمْ، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد: ١٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾ [النساء: ٦٦ - ٦٨].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الحديد: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]. وقال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥، ١٦]. وشواهد هذا كثيرة في الكتاب والسنة»[(٢)].

* * *

---

(١) «عدة الصابرين» (ص٥٥).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٩).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٤٨

القاعدة الثامنة والأربعون

أن مِن منهاجهم التعاملَ مع الخلق بالصدق والأمانة والنصح

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾ [النساء: ٨١].

وقال أناسٌ لابن عمرَ: إنا ندخلُ على سلطانِنا فنقولُ لهم خلافَ ما نتكلمُ إذا خرجنا من عندهم. قال: «كنا نَعُدُّهَا نفاقًا». أخرجه البخاري(١).

قال شيخ الإسلام: «فالمؤمن إذا كان بين الكفار والفجار لم يكن عليه أن يجاهدهم بيده مع عجزه، ولكن إن أمكنه بلسانه، وإلا فبقلبه، مع أنه لا يكذب ويقول بلسانه ما ليس في قلبه، إما أن يظهر دينه، وإما أن يكتمه، وهو مع هذا لا يوافقهم على دينهم كله، بل غايته أن يكون كمؤمن آل فرعون وامرأة فرعون، وهو لم يكن موافقًا لهم على جميع دينهم، ولا كان يكذب، ولا يقول بلسانه ما ليس في قلبه، بل كان يكتم إيمانه، وكتمان الدين شيء وإظهار الدين الباطل شيء آخر، فهذا لم

(١) برقم (٦٧٥٦).

يبحه اللَّه قط إلا لمن أُكْرِهَ، بحيث أُبِيحَ له النطق بكلمة الكفر، واللَّه تعالى قد فرّق بين المنافق والمُكْرَهِ، وأهل البدع حالهم من جنس حال المنافقين، لا من جنس حال المُكَرْه الذي أُكْرِهَ على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان، فإن هذا الإكراه لا يكون عامًّا من جمهور بني آدم، بل المسلم يكون أسيرًا أو منفردًا في بلاد الكفر، ولا أحد يُكرهه على كلمة الكفر، ولا يقولها، ولا يقول بلسانه ما ليس في قلبه، وقد يحتاج إلى أن يلين لناس من الكفار ليظنوه منهم، وهو مع هذا لا يقول بلسانه ما ليس في قلبه، بل يكتم ما في قلبه، وفَرْقٌ بين الكذب وبين الكتمان، فكتمان ما في النفس يستعمله المؤمن حيث يعذره اللَّه في الإظهار، كمؤمن آل فرعون، وأما الذي يتكلم بالكفر فلا يعذره إلا إذا أُكْرِه.

والمنافق الكذاب لا يعذر بحال، ولكن في المعاريض مَنْدُوحَةٌ عن الكذب.

ثم ذلك المؤمن الذي يكتم إيمانه يكون بين الكفار الذين لا يعلمون دينه، وهو مع هذا مُؤَمَّنٌ عندهم يحبونه ويكرمونه، لأن الإيمان الذي في قلبه يوجب أن يعاملهم بالصدق والأمانة والنصح وإرادة الخير بهم، وإن لم يكن موافقًا لهم على دينهم، كما كان يوسف الصديق يسير في أهل مصر، وكانوا كفارًا، وكما كان مؤمن آل فرعون يكتم إيمانه، ومع هذا كان يعظِّم موسى ويقول: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨].

وأما الرافضي فلا يعاشر أحدًا إلا استعمل معه النفاق، فإن دينه الذي في قلبه دين فاسد يحمله على الكذب والخيانة، وغش الناس، وإرادة السوء بهم، فهو لا يألوهم خبالًا، ولا يترك شرًّا يقدر عليه إلا فعله بهم،

وهو ممقوت عند من لا يعرفه، وإن لم يُعرف أنه رافضي تظهر على وجهه سيما النفاق، وفي لحن القول، ولهذا تجده ينافق ضعفاء الناس ومن لا حاجة به إليه؛ لما في قلبه من النفاق الذي يضعف قلبه»[١].

* * *

(١) «منهاج السنة» (٦/ ٤٢٥).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٤٩

القاعدة التاسعة والأربعون

ويعتقدون أنه لا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنفال: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾﴾ [النجم: ٢٩].

قال ابن القيم: «ولا يستقيم الزهدُ في الدنيا إلا بعد نظرين صحيحين:

النظر الأول: النظر في الدنيا وسرعة زوالها وفنائها، واضمحلالها ونقصها وخِسَّتها، وألم المزاحمة عليها، والحرص عليها، وما في ذلك من الغصص والنغص والأنكاد، وآخر ذلك الزوال والانقطاع، مع ما يعقب من الحسرة والأسف، فطالبها لا ينفك من هَمٍّ قبل حصولها، وهَمٍّ حال الظفر بها، وغَمٍّ وحزن بعد فواتها، فهذا أحد النظرين.

النظر الثاني: النظر في الآخرة وإقبالها ومجيئها -ولا بد- ودوامها وبقائها، وشرف ما فيها من الخيرات والمسرَّات، والتفاوت الذي بينه وبين ما هاهنا، فهي كما قال الله سبحانه: ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ [الأعلى: ١٧].

فهي خيرات كاملة دائمة، وهذه خيالات ناقصة منقطعة مضمحلة.

فإذا تمَّ له هذان النظران آثر ما يقتضي العقل إيثاره، وزهد فيما يقتضي الزهد فيه، فكل أحد مطبوع على أن لا يترك النفع العاجل واللذة الحاضرة إلى النفع الآجل واللذة الغائبة المنتظرة - إلا إذا تبيَّن له فَضْلُ الآجِلِ على العاجل وقويت رغبته في الأعلى الأفضل، فإذا آثر الفاني الناقص كان ذلك إما لعدم تبين الفضل له، وإما لعدم رغبته في الأفضل، وكل واحد من الأمرين يدل على ضعف الإيمان، وضعف العقل والبصيرة.

فإن الراغب في الدنيا الحريص عليها المؤثر لها؛ إما أن يُصدِّقَ بأن ما هناك أشرف وأفضل وأبقى، وإما أن لا يُصَدِّقَ، فإن لم يصدق بذلك كان عادمًا للإيمان رأسًا! وإن صدَّق بذلك ولم يؤثره كان فاسد العقل سيئ الاختيار لنفسه.

وهذا تقسيم حاضر ضروري لا ينفك العبد من أحد القسمين منه، فإيثار الدنيا على الآخرة إما من فساد في الإيمان، وإما من فساد في العقل، وما أكثر ما يكون منهما، ولهذا نبذها رسول اللَّه ﷺ وراء ظهره هو وأصحابه، وصرفوا عنها قلوبهم، وطرحوها ولم يألفوها، وهجروها ولم يميلوا إليها، وعدُّوها سجنًا لا جنة، فزهدوا فيها حقيقة الزهد، ولو أرادوها لنالوا منها كل محبوب، ولوصلوا منها إلى كل مرغوب، فقد عُرضت عليه مفاتيح كنوزها فردَّها، وفاضت على أصحابه فآثروا بها، ولم يبيعوا حظهم من الآخرة بها، وعلموا أنها معبر وممر، لا دار مقام ومستقر، وأنها دار عبور لا دار سرور، وأنها سحابة صيف تنقشع عن قليل، وخيال طيف ما استتم الزيارة حتى أذن بالرحيل.

قال النبي ﷺ: «**مالي وللدنيا، إنما أنا كراكبٍ قَالَ**[١] **في ظلِّ شجرةٍ، ثم راح وتركها**»[٢]. وقال: «**ما الدنيا في الآخرةِ إلا كما يُدْخِلُ أحدُكم إصْبَعَه في اليمِّ، فلْيَنظُرْ بم تَرجعُ**»[٣].

وقال خالقها سبحانه: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس: ٢٤، ٢٥].

فأخبر عن خسة الدنيا وزهّد فيها، وأخبر عن دار السلام ودعا إليها.

وقال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف: ٤٥، ٤٦]. وقال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ

---

(١) قال، من القيلولة: وهي الاستراحة نصف النهار، وإن لم يكن معها نوم. «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٤/ ١٣٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٣٠١، ٣٠٩)، والترمذي (٢٣٧٧)، وغيرهما من حديث ابن مسعود ﷺ، وانظر «الصحيحة» (٤٣٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٥٨/ ٥٥) من حديث المستورد بن شداد ﷺ.

ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾ [آل عمران: ١٤، ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾ [الرعد: ٢٦].

وقد توعد سبحانه أعظمَ الوعيدِ لمن رضي بالحياة الدنيا واطمأن بها، وغفل عن آياته ولم يرج لقاءه، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس: ٧، ٨].

وعيَّر سبحانه مَن رضيَ بالدنيا من المؤمنين، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة: ٣٨]. وعلى قدر رغبة العبد فى الدنيا ورضاه بها يكون تثاقله عن طاعة اللَّه وطلب الآخرة.

ويكفي بالزهد في الدنيا قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾ [الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧]

وقوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ [يونس: ٤٥].

وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ

رَبِّكَ مُنتَهَاهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات: ٤٢- ٤٦].

وقوله: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ﴾ [الروم: ٥٥].

وقوله: ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١١٢- ١١٤].

وقوله: ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا ﴿١٠٣﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا ﴿١٠٤﴾﴾ [طه: ١٠٢- ١٠٤]. والله المستعان وعليه التُّكْلان»(١).

* * *

(١) «الفوائد» (ص٩٦- ٩٨).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٥٠

القاعدة الخمسون

أنهم يقرِّرون أنه يقع الغلط في مفهوم الورع من ثلاث جهات

«**أحدُها**: اعتقادُ كثير من الناس أنه من باب الترك، فلا يرون الورع إلا في ترك الحرام، لا في أداء الواجب، وهذا يُبتلى به كثير من المُتَدَيِّنَةِ المتورِّعَةِ، ترى أحدهم يتورع عن الكلمة الكاذبة وعن الدرهم فيه شبهة؛ لكونه من مال ظالم، أو معاملة فاسدة، ويتورع عن الركون إلى الظلمة؛ من أجل البدع في الدين، وذوي الفجور في الدنيا، ومع هذا يترك أمورًا واجبة عليه، إما عينًا وإما كفاية، وقد تعينت عليه: من صِلَةِ رَحِمٍ، وحقِّ جارٍ ومسكين، وصاحبٍ ويتيم وابن سبيل، وحق مسلم، وذي سلطان وذي علم، وعن أمر بمعروف ونهي عن منكر، وعن الجهاد في سبيل الله، إلى غير ذلك مما فيه نفع للخلق في دينهم ودنياهم، مما وجب عليه، أو يفعل ذلك لا على وجه العبادة لله تعالى، بل من جهة التكليف ونحو ذلك، وهذا الورع قد يوقع صاحبه في البدع الكبار، فإن ورع الخوارج والروافض والمعتزلة ونحوهم من هذا الجنس، تورَّعوا عن الظلم وعن ما اعتقدوه ظلمًا من مخالطة الظَّلَمة، في زعمهم، حتى تركوا الواجبات الكبار: من الجمعة والجماعة،

والحج والجهاد، ونصيحة المسلمين، والرحمة لهم، وأهل هذا الورع ممن أنكر عليهم الأئمة، كالأئمة الأربعة، وصار حالهم يذكر في اعتقاد أهل السنة والجماعة.

الجهة الثانية من الاعتقاد الفاسد: أنه إذا فعل الواجب والمشتبه وترك المحرَّم والمشتبه، فينبغي أن يكون اعتقاد الوجوب والتحريم بأدلة الكتاب والسنة، وبالعلم لا بالهوى، وإلا فكثير من الناس تنفر نفسُه عن أشياء لعادة ونحوها، فيكون ذلك مما يقوي تحريمها واشتباهها عنده، ويكون بعضهم في أوهام وظنون كاذبة، فتكون تلك الظنون مبناها على الورع الفاسد، فيكون صاحبه ممن قال اللَّه تعالى فيه: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [النجم: ٢٣].

وهذه حال أهل الوسوسة في النجاسات؛ فإنهم من أهل الورع الفاسد، المركب من نوع دِينٍ وضعفِ عقلٍ وعلم، وكذلك ورع قوم يُعِدُّونَ غالب أموال الناس محرمة، أو مشتبهةً، أو كلها، وآل الأمر ببعضهم إلى إحلالها لذي سلطان؛ لأنه مستحق لها، وإلى أنه لا يقطع بها يد السارق، ولا يحكم فيها بالأموال المغصوبة، وقد أنكَر حالَ هؤلاء الأئمةُ، كأحمدَ بنِ حنبلٍ وغيرِه وذمَّ المتنطعين في الورع.

وقد روى مسلم في «**صحيحه**»(١) عن عبد اللَّه بن مسعود، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**هلك المتنطِّعون**». قالها ثلاثًا.

وورع أهل البدع كثير منه من هذا الباب، بل ورع اليهود والنصارى والكفار عن واجبات دين الإسلام من هذا الباب، وكذلك ما ذمه اللَّه

---

(١) برقم (٢٦٧٠/٧).

تعالى في القرآن من ورعهم عما حرَّموه ولم يحرِّمْهُ اللَّه تعالى، كالبَحيرة والسائبة والوصيلة والحام.

ومن هذا الباب الورع الذي ذمَّه الرسول ﷺ في الحديث الذي في «**الصحيح**» لمَّا ترخَّص في أشياء فبلغه أن أقوامًا تنزَّهوا عنها، فقال: «**ما بالُ رجالٍ يتنزَّهون عن أشياء أترخَّصُ فيها! واللَّه إني لأرجو أن أكون أعلمهم باللهِ وأخشاهم**». وفي رواية: «**أخشاهم وأعلمَهم بحدودِه له**»[(١)]. وكذلك حديث صاحب القُبلة[(٢)]، ولهذا يحتاج المتديِّن المتورِّع إلى علم كثير بالكتاب والسنة والفقه في الدين، وإلا فقد يفسد تورعه الفاسد أكثر مما يصلحه، كما فعله الكفار وأهل البدع من الخوارج والروافض وغيرهم.

الثالثة: جهة المعارض الراجح، هذا أصعب من الذي قبله، فإن الشيء قد يكون جهة فساده يقتضي تركه، فيلحظه المتورِّع ولا يلحظ ما يعارضه من الصلاح الراجح، وبالعكس، فهذا هذا، وقد تبيَّن أن من جعل الورعَ التركَ فقط، وأدخل في هذا الورع أفعال قوم ذوي مقاصد صالحة بلا بصيرة من دينهم، وأعرض عما فوّتوه بورعهم من الحسنات الراجحة - فإن الذي فاته من دين الإسلام أعظم مما أدركه، فإنه قد يعيب أقوامًا هم إلى النجاة والسعادة أقرب.

وهذه القاعدة منفعتها لهذا الضرب وأمثاله كثيرة، فإنه ينتفع بها أهل الورع الناقص أو الفاسد، وكذلك أهل الزهد الناقص أو الفاسد.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٥٠، ٦٨٧١)، ومسلم (٢٣٥٦/ ١٢٧، ١٢٨) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٢) يعني الذي قبَّل امرأته وهو صائم. والحديث رواه مسلم (١١٠٨/ ٧٤)، من حديث عمر ابن أبي سلمة رضي الله عنهما.

فإن الزهد المشروع الذي به أمر اللَّه ورسوله هو عدم الرغبة فيما لا ينفع من فضول المباح، فترك فضول المباح الذي لا ينفع في الدين زهد وليس بورع، ولا ريب أن الحرص والرغبة في الحياة الدنيا وفي الدار الدنيا من المال والسلطان مضر، كما روى الترمذي عن كعب بن مالك قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«ما ذئبان جائعانِ أُرسِلَا في زَرِيبةٍ غنم بأفسدَ لها من حرصِ المرءِ على المالِ والشرفِ لدينِه»**[(١)]. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

فذمَّ النبيُّ ﷺ الحرص على المال والشرف، وهو الرياسة والسلطان، وأخبر أن ذلك يفسد الدين مثل، أو فوق، إفساد الذئبين الجائعين لزريبة الغنم، وهذا دليل على أن هذا الحرص إنما ذُمّ لأنه يُفسد الدينَ الذي هو الإيمان والعمل الصالح، فكان ترك هذا الحرص لصالح العمل، وهذان هما المذكوران في قوله تعالى: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾﴾ [الحاقة: ٢٨، ٢٩]. وهما اللذان ذكرهما اللَّه في سورة القصص حيث افتتحها بأمر فرعونَ وذكرِ عُلُوِّهِ في الأرض، وهو الرياسةُ والشرفُ والسلطانُ، ثم ذكر في آخرها قارون وما أوتيه من الأموال، وذكر عاقبة سلطان هذا، وعاقبة مال هذا، ثم قال: ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ﴾ [القصص: ٨٣]. كحال فرعون وقارون، فإن جمع الأموال من غير إنفاقها في مواضعها المأمور بها، وأخذها من غير وجهها، هو من نوع الفساد»[(٢)].

---

(١) تقدم تخريجه (ص: ١٩٨).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٠/ ١٤٣. وما بعد).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٥١

القاعدة الحادية والخمسون

أنهم يَدْعُوَن إلى ما دعا إليه القرآن من مكارم الأخلاق

قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[الأعراف: ١٩٩].

قال ابن القيم: «فتدبَّر ما تضمنته هذه الآية من حسن المعاشرة مع الخلق، وأداء حق اللَّه فيهم، والسلامة من شرهم، فلو أخذ الناس كلهم بهذه الآية لكفتهم وشفتهم، فإن العفو ما عُفي من أخلاقهم وسمحت به طبائعهم، ووسعهم بذلُه من أموالهم وأخلاقهم، فهذا ما منهم إليه، وأما ما يكون منه إليهم: فأمرهم بالمعروف، وهو ما تشهد به العقول وتعرف حُسْنَهُ، وهو ما أمر اللَّه به، وأما ما يتقي به أذى جاهلهم: فالإعراض عنه، وترك الانتقام لنفسه، والانتصار لها.

فأي كمال للعبد وراء هذا؟ وأيِ معاشرة وسياسة لهذا العالَم أحسن من هذه المعاشرة والسياسة؟! فلو فكَّر الرجل في كل شرٍّ يلحقه مِن العالَم، أعني الشر الحقيقي الذي لا يوجب له الرفعة والزلفى من الله؛ وجد سببه الإخلال بهذه الثلاث، أو بعضها، وإلا فمع القيام بها فكل ما يحصل له من الناس فهو خير له، وإن كان شرًّا في الظاهر، فإنه يتولد من الأمر بالمعروف، ولا يتولد منه إلا خيرًا، وإن ورد في حالة شر وأذى، كما قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا

لَكُمۡۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ﴾ [النور: ١١].

وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وقد تضمنت هذه الكلمات مراعاة حق اللَّه وحق الخلق، فإنهم إما يسيئوا في حق اللَّه، أو في حق رسوله، فإن أساءوا في حقك فقابِلْ ذلك بعفوك عنهم، وإن أساءوا في حقي فاسألني أغفر لهم، واستجلِبْ قلوبهم، واستخرِجْ ما عندهم من الرأي بمشاورتهم، فإن ذلك أحرى في استجلاب طاعتهم وبذل النصيحة، فإذا عزمت فلا استشارة بعد ذلك، بل توكَّلْ وامضِ لما عزمتَ عليه من أمرك، فإن اللَّه يحب المتوكلين، فهذا وأمثاله من الأخلاق التي أدَّب اللَّه بها رسوله ﷺ، وقال تعالى فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤﴾ [القلم: ٤]. قالت عائشة ﵂: «كان خُلقُه القرآنَ»(١). وهذا لا يتم إلا بثلاثة أشياء:

أحدها: أن يكون العود طيبًا، فأما إن كانت الطبيعة جافية غليظة يابسة عسر عليها مزاولة ذلك علمًا وإرادةً وعملًا، بخلاف الطبيعةِ المنقادةِ اللينةِ السلسةِ القيادِ، فإنها مستعدة؛ إنما تريد الحرث والبذر.

الثاني: أن تكون النفس قوية غالبة، قاهرة لدواعي البطالة والغي والهوى، فإن هذه الأمور تنافي الكمال، فإن لم تقوَ النفس على قهرها، وإلا لم تزل مغلوبة مقهورة.

الثالث: علم شاف بحقائق الأشياء وتنزيلها منازلها يميز بين الشحم والورم، والزجاجة والجوهرة.

---

(١) تقدم تخريجه (ص: ١٧٦).

فإذا اجتمعت فيه هذه الخصال الثلاث وساعد التوفيق فهو القسم الذي سبقت لهم من ربهم الحسنى، وتمت لهم العناية»[١].

* * *

(١) «زاد المهاجر إلى ربه» (ص٧٧).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٥٢

القاعدة الثانية والخمسون

ويعتقدون أن اللَّه تعالى جعل الإمامة في الدين موروثة عن الصبر واليقين

بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤].

قال شيخ الإسلام: «فإن الدين كله عِلمٌ بالحق وعمل به، فالعملُ به لا بدَّ فيه من الصبر، بل وطلبُ علمه يحتاج إلى الصبر، كما قال معاذ ابن جبل: «عليكم بالعلم، فإن طلبَه لله عبادةٌ، ومعرفتَه خشيةٌ، والبحثَ عنه جهادٌ، وتعليمَه لمن لا يعلمه صدقةٌ، ومذاكرتَه تسبيحٌ، به يُعرفُ اللهُ ويُعبدُ، وبه يُمجَّدُ ويوحَّد، يَرفعُ اللهُ بالعلم أقوامًا فيجعلهم للناس قادةً وأئمةً، يهتدون بهم، وينتهون إلى رأيهم»(١).

فجعل البحث عن العلم من الجهاد، ولا بدَّ في الجهاد من الصبر، ولهذا قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١- ٣].

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٢٣٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٣٩).

وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٤٥﴾ [ص: ٤٥].

فالعلم النافع هو أصلُ الهُدى، والعملُ بالحقِّ هو الرشادُ، وضد الأول هو الضلالُ، وضد الثاني هو الغيُّ، والضلالُ: العملُ بغير علم، والغيُّ: اتباعُ الهوى، قال تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ [النجم: ١، ٢]. فلا يُنالُ الهُدى إلا بالعلمِ، ولا يُنال الرشادُ إلا بالصبرِ، ولهذا قال عليٌّ: «ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا انقطع الرأس بان الجسد»، ثم رفع صوته فقال: «ألا لا إيمان لمن لا صبر له»[1]اهـ »[2].

وقال ابن القيم: «وأصل كل فتنة إنما هو من تقديم الرأي على الشرع، والهوى على العقل، فالأول أصل فتنة الشبهة، والثاني أصل فتنة الشهوة، ففتنة الشبهات تُدفع باليقين، وفتنة الشهوات تُدفع بالصبر، ولذلك جعل سبحانه إمامة الدين منوطة بهذين الأمرين، فقال: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ۝٢٤﴾ [السجدة: ٢٤]. فدل على أنه بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين»[3].

واعلم أن الرجل لا يكون إمامًا في الدين حتى يكون رأسًا في الدعوة إلى التوحيد، والموالاة والمعاداة فيه، قال تعالى: ﴿۞وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٢٤﴾ [البقرة: ١٢٤]. وقال تعالى: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ

---

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (١٢٥٧).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٤٠).

(٣) «إغاثة اللهفان» (٢/ ١٦٧).

إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة: ٤].

واعلم أن متبع الهوى ليس أهلاً أن يطاع، ولا يكون إمامًا ولا متبوعًا، فإن اللَّه سبحانه وتعالى عزله عن الإمامة، ونهى عن طاعته، أما عزله فإن اللَّه سبحانه وتعالى قال لخليله إبراهيم: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. أي: لا ينال عهدي بالإمامة ظالمًا. وكل من اتبع هواه فهو ظالم، كما قال اللَّه تعالى: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ﴾[الروم: ٢٩]. وأما النهي عن طاعته فلقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[الكهف: ٢٨]»[1].

* * *

(١) «روضة المحبين» (١/ ٤٧٥).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٥٣

القاعدة الثالثة والخمسون

أن الكفار عندهم ليسوا على درجة واحدة في التعامل معهم

قال تعالى: ﴿۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [آل عمران: ٧٥].

وقال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾[الممتحنة: ٨].

قال ابن كثير: «وقوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾. أي: لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين، ﴿وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟﴾. أي: يعاونوا على إخراجكم، كالنساء والضعفة منهم، ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾. أي: تحسنوا إليهم، ﴿وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾. أي: تعدلوا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا هشام بن عروة، عن فاطمة بنت المنذر، عن أسماء بنت أبي بكر ﵄، قالت: قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا، فأتيتُ النبي ﷺ، فقلت: يا

رسول الله، إن أمي قدمت وهي راغبة، أفأصِلُها؟ قال: «**نعم، صلي أُمَّكِ**». أخرجاه[١].

وقال الإمام أحمد: حدثنا عارم: حدثنا عبد اللّه بن المبارك: حدثنا مصعب بن ثابت: حدثنا عامر بن عبد اللّه بن الزبير، عن أبيه، قال: «قدِمَتْ قُتَيْلَةُ على ابنتها أسماءَ بنت أبي بكر بهدايا: ضِباب وأقط وسمن، وهي مشركة، فأبت أسماء أن تَقبلَ هديتَها وأن تُدخلَها بيتَها»[٢]. وهكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث مصعب بن ثابت به، وفي رواية لأحمد وابن جرير: «قُتيلة بنت عبد العزى بن عبد أسعد من بني مالك بن حِسْل». وزاد ابن أبي حاتم: «في المدة التي كانت بين قريش ورسول اللّه ﷺ»[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾. جاء في الحديث الصحيح: «**المُقْسِطُون على منابرَ مِن نورٍ عن يمينِ العرشِ، الذين يَعدلون في حكمِهم وأهاليهم وما وَلُوا**»[٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾. أي: إنما ينهاكم عن موالاة هؤلاء الذين ناصبوكم بالعداوة فقاتلوكم وأخرجوكم وعاونوا على إخراجكم؛ ينهاكم

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٣٤٥)، والبخاري (٢٤٧٧، ٥٦٣٤)، ومسلم (١٠٠٣/ ٥٠) كلهم من غير هذا الطريق.
(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٤).
(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٤)، وابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٢٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٢/ ٣٠٢).
(٤) أخرجه مسلم (١٨٢٧/ ١٨)، وفيه: «يمين الرحمن» بدل «يمين العرش».

اللَّه ﷻ عن موالاتهم ويأمركم بمعاداتهم، ثم أكد الوعيد على موالاتهم فقال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

كقوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥١]»[١].

وبيَّن النبيُّ ﷺ أن نقضَ عهودهم غدرًا سببٌ لتسليطهم على المسلمين، عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: «كَيْفَ أَنْتُمْ إذا لم تَجتَبُوا دِينَارًا ولا دِرْهَمًا؟». فَقِيلَ له: وَكَيْفَ تَرَى ذلك كَائِنًا يا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قال: «إِي وَالَّذِي نَفْسُ أبي هُرَيْرَةَ بيده عن قَوْلِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ». قالوا: عَمَّ ذَاكَ؟ قال: «لا تُنْتَهَكُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ ﷺ فَيَشُدُّ اللهُ عزَّ وجلَّ قُلُوبَ أهل الذِّمَّةِ فَيَمْنَعُونَ ما في أَيْدِيهِمْ». أخرجه البخاري[٢].

وقال ﷺ: «**ذمةُ المسلمين واحدةٌ، فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا**[٣] **فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ منه صَرْفٌ ولا عَدْلٌ**». أخرجه البخاري عن عليٍّ ﷺ[٤]. وقال: «**من قتَل مُعاهَداً لم يَرَحْ**[٥] **رائحةَ الجنةِ، وإن ريحَها يوجدُ مِن مسيرةِ أربعين عامًا**». أخرجه البخاري من حديث عبد اللَّه ابن عمرو ﷺ[٦].

* * *

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٥٠).
(٢) برقم (٣٠٠٩).
(٣) **أخفر مسلمًا**: نقض عهده. «فتح الباري» (٦/ ٢٨٠).
(٤) أخرجه البخاري (١٧٧١).
(٥) لم يَرَح: أي: لم يشم ريحها. «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٢٧٢).
(٦) أخرجه البخاري (٢٩٩٥، ٩٥١٦).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٥٤

القاعدة الرابعة والخمسون

ويعتقدون ما دل عليه قوله تبارك وتعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [هود: ١١٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]. وقال تعالى ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأعراف: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾ [الأعراف: ١٨١].

وقال تعالى ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [التوبة: ٦٩].

وقوله ﷺ في السنن والمسانيد، كـ«**سنن أبي داود**» و«**الترمذي**» و«**النسائي**» وغيرهم، ولفظه: «**افترقتِ اليهودُ على إحدى وسبعين فرقةً كلُّها في النارِ إلا واحدةً، وافترقتِ النصارى على اثنتين وسبعين فرقةً كلُّها في النارِ إلا واحدةً، وستفترقُ هذه الأمةُ على ثلاثٍ وسبعين فرقةً كلُّها في النارِ إلا واحدةً**»(١). وفي لفظ: «**على ثلاثٍ وسبعين ملةً**». وفي رواية: قالوا: يا رسول الله، مَن الفرقةُ الناجيةُ؟ قال: «**مَن كان على مثلِ ما أنا عليه اليومَ وأصحابي**». وفي روايةٍ: قال: «**هي الجماعةُ، يدُ اللهِ على الجماعةِ**». وإن الافتراق من سنن اللّه الكونيّة القدريّة المرتبطة بالأسباب الشرعيّة.

قال شيخ الإسلام: «وإذا كانت سعادةُ الدنيا والآخرةِ هي باتّباعِ المرسلين، فمِن المعلومِ أن أحقَّ الناسِ بذلك هم أعلمُهم بآثارِ المرسلين وأتبعهم لذلك، فالعالِمون بأقوالهم وأفعالهم المتبعون لها هم أهلُ السعادة في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، وهم الطائفةُ الناجيةُ من أهلِ كلِّ ملةٍ، وهم أهلُ السنةِ والحديثِ مِن هذه الأمةِ، فإنهم يشاركون سائرَ الأمةِ فيما عندهم مِن أمورِ الرسالةِ، ويمتازون عنهم بما اختُصوا به من العلم الموروثِ عن الرسولِ ﷺ مما يجهلُه غيرُهم أو يُكذِّبُ به»(٢).

وقال - يعني في الفرقة الناجية، وهم أهل الحديث والسنة -: «فهم أعلمُ الناسِ بأقوالِه وأحوالِه، وأعظمُهم تمييزًا بين صحيحها وسقيمها، وأئمتُهم فقهاءُ فيها، وأهلُ معرفةٍ بمعانيها، واتباعًا لها: تصديقًا وعملًا وحبًّا، وموالاةً لمن والاها، ومعاداةً لمن عاداها، الذين يردُّون

(١) تقدم تخريجه (ص: ٣١، ٣٢).
(٢) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٦).

المقالاتِ المُجْمَلةَ إلى ما جاء به من الكتابِ والحكمةِ، فلا يُنَصِّبون مقالةً ويجعلونها من أصولِ دينهم وجُمَلِ كلامهم، إن لم تكن ثابتة فيما جاء به الرسول ﷺ، بل يجعلون ما بعث به الرسول ﷺ من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه»[١].

وقال: «ولهذا تجدُ المعتزلةَ والمرجئةَ وغيرَهم من أهل البدع يفسِّرون القرآنَ برأيهم ومعقولهم وما تأوَّلوه مِن اللغةِ، ولهذا تجدُهم لا يعتمدون على أحاديثِ النبيِّ ﷺ والصحابةِ والتابعين وأئمةِ المسلمين، فلا يعتمدون لا على السنةِ ولا على إجماعِ السلفِ وآثارِهم؛ وإنما يعتمدون على العقلِ واللغةِ، وتجدُهم لا يعتمدون على كتبِ التفسيرِ المأثورةِ والحديثِ وآثارِ السلفِ، وإنما يعتمدون على كتبِ الأدبِ وكتبِ الكلامِ التي وضعتْها رؤوسُهم، وهذه طريقةُ الملاحدةِ أيضًا، إنما يأخذون ما في كتب الفلسفةِ وكتبِ الأدبِ واللغةِ، وأما كتبُ القرآنِ والحديثِ والآثارِ فلا يلتفتون إليها، فهؤلاء يُعرضون عن نصوص الأنبياء؛ إذ هي عندهم لا تفيدُ العلمَ، وأولئك يتأولون القرآن برأيهم وفهمهم بلا آثارٍ عن النبيِّ ﷺ وأصحابه»[٢].

وقال رحمه اللَّه في أهل الحديث: «ولهذا تجدُ أهلَ الحديثِ يزكُّون به نفوسَهم، ويقصدون فيه اتِّباعَ الحقِّ لا اتباعَ الهوى، ويسلكون فيه سبيلَ العدلِ والإنصافِ، ويحبونه ويلتذُّون به، ويحبون كثرتَه وكثرةَ أهلِه، وتنبعثُ هِمَمُهم على العملِ به وبموجبه ومقتضاه، بخلافِ مَن لم

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٤٧).

(٢) «المصدر السابق» (٧/ ١١٩).

يذقْ حلاوتَه، وليس مقصودُه إلا مالًا أو رياسةً، فإن ذلك لو حصل له بطريقٍ آخرَ سلكه، وربما رجَّحه إذا كان أسهلَ عليه»[١].

* * *

(١) «منهاج السنة» (٨/ ٢١٠).

الخاتمة

بسم اللَّه الرحمن الرحيم
وصلى اللَّه على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* أوصيك يا أخي - أحسنَ اللهُ توفيقك - ونفسي بتقوى الله، فإن اتقيته كفاكَ كلَّ همٍّ، وإن اتقيت الناس لن يغنوا عنك مِن اللَّه شيئًا، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

• • •

* وأوصيك بإيثارِ طاعةِ اللهِ تعالى، واجتنابِ مخالفتِه، والإقبالِ بالكليةِ عليه، والرجوعِ في كلِّ همٍّ ونائبةٍ إليه، وتركِ الركونِ إلى الخلقِ والاعتمادِ عليهم، وإياكَ والرجوعَ إليهم في كلِّ شيءٍ من أسبابِك؛ بل يكون رجوعُك إلى اللهِ واعتمادُك وتوكلُك عليه، فإن اللَّه تعالى يقول: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

واعلم أن الخلقَ كلَّهم عاجزون ومدبَّرون، ومَن عَجزَ عن نفعِ نفسِه كيف يقدر على نفع غيره؟! ولذلك قال بعضُ السلفِ: «استغاثةُ المخلوقِ بالمخلوقِ كاستغاثةِ المسجونِ بالمسجونِ».

• • •

* وانظر ألَّا يشغلك عن اللهِ تعالى أهلٌ ولا مالٌ ولا ولدٌ؛ فتخسرَ عمرَك، قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن

ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون: ٩].

* ويُقَرِّبُكَ إلى اللَّه تعالى ذكرُه بقراءةِ كتابِه والتدبرِ والتفكرِ والتفهمِ فيما خاطبك به من أوامِره ونواهيه، فتمتثل لأوامِره وتنزجر عن نواهيه.

• • •

* واتَّبعْ سُنَّةَ النبيِّ ﷺ في كلِّ أفعالِك وأقوالِك، وجميعِ أسبابِك وأحوالِك، وإياك ومخالفةَ السنةِ فيما دقَّ وجلَّ، فإن اللَّه تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور: ٦٣]. وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور: ٥٤].

• • •

* واقْتَدِ بِسِيَرِ السلفِ الصالحِ، مِن الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ، وابدأ في ذلك بنفسِك، فإن اللَّه يقولُ مخبرًا عن شعيبٍ عليه السلام: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨].

• • •

* عَوِّدْ نفسَك صحبةَ الأخيارِ والتباعدَ عن صحبةِ الأشرارِ، فإنه ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: **«مَنْ تشبَّه بقومٍ فهو منهم»**(١). وقال: **«من أحبَّ قومًا فهو منهم»**(٢). وقال: **«المرءُ مع مَن أحبَّ»**(٣).

• • •

* وأقلِلْ مِن الدخولِ على المترفين أبناءِ الدنيا، فإن الدخولَ عليهم والنظرَ في زينتِهم يُصغِّرُ في عينِك عظيمَ نعمِ اللهِ عليك، فإن اللهَ تعالى

---

(١) تقدم تخريجه ص (٢٦٢).

(٢) انظر ما بعده.

(٣) أخرجه البخاري (٥٨١٦، ٥٨١٩)، ومسلم (٢٦٣٩/ ١٦١، ١٦٥)، من حديث أنس رضي الله عنه.

يقولُ لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: ١٣١].

• • •

* وعليك بصحبةِ الزُّهادِ في الدنيا، ومخالطةِ الصالحين والراغبين في الآخرةِ، والتاركين حظوظَهم عن هذه الدنيا الفانيةِ، طالبًا بذلك رضا اللهِ عنك، والدارَ الآخرةَ، فإن اللهَ تعالى أخبر عن الفريقين فقال: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء: ١٨، ١٩].

وقال النبي ﷺ: «**انظُرْ إلى مَن هو دونَك ولا تنظُرْ إلى مَنْ هو فوقَك، فإنَّه أَجْدَرُ أَلَّا تَزْدَرِي نعمَ اللهِ عليك**»[١].

• • •

* ولا تهتمَّ بشيءٍ مِن الدنيا، فإنه ورد عن يحيى بن معاذ أنه قال: «الدنيا عدمٌ لا تساوي غمَّ ساعةٍ، فكيف بغمّ طول عمرِك فيها مع قليلِ نصيبٍ منها؟»[٢].

* وطالِبْ نفسَك في كلِّ وقتٍ بما هو أولى بك في ذلك الوقتِ، فإن سهلَ بن عبد اللَّه قال: «وقتُك أعزُّ الأشياءِ عليك، فاشغلْه بأعزِّ الأشياءِ»[٣].

* واترك ما لا يَعنيك مِن الأفعالِ والأقوالِ والحركاتِ والسعي، فإن

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٣/٩).

(٢) «عيوب النفس» (١/ ٤٥) لأبي عبد الرحمن السلمي، رحمه الله.

(٣) نفس المصدر السابق.

النبي ﷺ قال: «**من حُسنِ إسلامِ المرءِ تَرْكُه ما لا يَعنيه**»[(١)].

• • •

* والزمِ الإخلاصَ في جميع أفعالِك وطاعاتك وتصرفاتك، لأن اللَّه تعالى يقول: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]. وأخلصِ العملَ يكفك القليلُ منه.

وطالِبْ نفسَك بالصدقِ في إخلاصِك وفي جميع تصرفاتِك، فإن كلَّ حالٍ خلا مِن الصدقِ فهو هباءٌ، قال اللَّه تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾ [الأحزاب: ٢٣]. وقال النبيُّ ﷺ: «**الصدقُ يهدي إلى البرِّ**»[(٢)].

* وداوِم التفكرَ فيما سبق منك مِن المخالفاتِ، فإن النبيَّ ﷺ كان دائمَ التفكرِ، متواصلَ الأحزانِ.

وتفكَّرْ فيما ارتكبتَه من المخالفاتِ والذنوبِ، فجدد لك، وخذْ بالتذكرِ ندمًا وتوبةً واستغفارًا، فإن النبي ﷺ قال: «**الندمُ توبةٌ**»[(٣)].

• • •

* وأطِعْ والديك، فإن اللَّه تعالى قَرَنَ حقَّهما بحقِّه، فقال تعالى: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

وسئل النبيُّ ﷺ: من أَبَرُّ؟ قال: «**أمَّك**». قيل: ثم مَنْ؟ قال: «**أمَّك**».

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣١٧)، من حديث أبي هريرة ﷺ، وانظر «صحيح الجامع» (١٠٨٥٤).

(٢) تقدم تخريجه (ص: ٢٩٧).

(٣) **صحيح**: أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٦١٢) من حديث ابن مسعود ﷺ، وانظر «صحيح الترغيب» (٣١٤٦).

قيل: ثم مَنْ؟ قال: «**أمَّك**». قيل: ثم مَنْ؟ قال: «**أباك، ثم الأقربَ فالأقربَ**»(١).

* وصِلْ رَحِمَكَ، فإن صلةَ الرحم تَزيدُ في العمرِ، وقطيعةَ الرَّحِمِ من الكبائرِ، فإن النبيَّ ﷺ يقول: «**الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِن الرحمنِ**(٢)**، يقول الله: مَن وَصَلَكِ وَصَلْتُه، ومَن قطَعَكِ قطَعْتُه**»(٣).

* وأَحْسِنْ خُلُقَك لإخوانِك وأصحابِك وخدَّامِك، ومَن ولَّاك اللهُ أمرَه، فإن النبي ﷺ قال: «**أثقلُ ما يُوضعُ في الميزانِ خُلُقٌ حسنٌ**»(٤).

* وأكرِمْ جيرانَك وأحسِنْ إليهم، فإن النبيَّ ﷺ قال: «**ما زال جبريلُ يوصيني بالجارِ حتى ظننتُ أنه سيورِّثُه**»(٥).

* وأعِنْ مَن يستعين بك، فإن النبيَّ ﷺ قال: «**فإن اللهَ في عونِ العبدِ ما كان العبدُ في عونِ أخيه**»(٦).

* واقبَلْ عذرَ من اعتذر إليك، صادقًا كان أو كاذبًا، فإن اللَّه تعالى مدَح نبيَّه يوسفَ عليه السلامُ بقبولِ عذرِ إخوتِه بقولِه: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف:٩٢].

• • •

* ولا تهتِكْ عن مسلم سِتْرًا، فإن النبيَّ ﷺ قال: «**مَن سترَ عورةَ أخيه**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٤٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.
(٢) شجنة من الرحمن: أي: مشتقة من اسمه. فيض القدير (٤/ ٥٧).
(٣) أخرجه البخاري (٥٦٤٢، ٥٦٤٣) من حديث أبي هريرة ﷺ.
(٤) صحيح: أخرجه أحمد (٦/ ٤٤٢)، وانظر «الصحيحة» (٨٧٦).
(٥) أخرجه البخاري (٥٦٦٨، ٥٦٦٩)، ومسلم (٢٦٢٤/ ١٤٠، ٢٦٢٥/ ١٤١) من حديث ابن عمر وعائشة رضي الله عنهم.
(٦) أخرجه مسلم (٢٦٦٩/ ٣٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.

المسلمِ، سَتَر اللهُ عورتَه في الدنيا والآخرةِ»(١).

* وقابِلِ القطيعةَ بالصلةِ، والإساءةَ بالإحسانِ، والظلمَ بالصبرِ والغفرانِ، فإن النبيَّ ﷺ قال: «**صِلْ مَن قطعك، واعْفُ عمن ظلمَك، وأحْسِنْ إلى مَن أساء إليك**»(٢).

* واجتنبِ الحسدَ في أمورِ الدنيا، فإن النبيَّ ﷺ قال: «**لا تحاسَدُوا**»(٣).

وعظِّمِ الأكابرَ، وارحمِ الأصاغرَ؛ لقولِه ﷺ: «**ليس مِنَّا مَن لم يَرْحَمْ صغيرَنا، ولم يُوَقِّرْ كبيرَنا**»(٤).

والْزَمِ الحياءَ، فإن النبيَّ ﷺ قال: «**الحياءُ مِن الإيمانِ**»(٥). وقال: «**الحياءُ خيرٌ كلُّه**»(٦).

وتَواضَعْ للفقراءِ، ولِنْ لهم، وارفُقْ بهم، فإن اللَّه تعالى قال لنبيِّه عليه السلام: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢].

وإذا صَحَّ عزمُك بعد المشورةِ فتوكَّلْ على اللهِ وحده، واقطع تعلقك عن

---

(١) صحيح: أخرجه بهذا اللفظ ابن ماجه (٢٥٤٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر «صحيح ابن ماجه» (٢٠٦٣)، وأخرج بنحوه مسلم ضمن الحديث السابق.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ١٤٨) من حديث عقبة بن عامر ﵁، وانظر «الصحيحة» (٨٩١).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٥٦/ ٢٤، ٢٥٥٦٣/ ٣٠، ٢٥٦٤/ ٣٢) من حديث أنس وأبي هريرة ﵄.

(٤) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ٢٠٧) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وانظر «الصحيحة» (٢١٩٦).

(٥) أخرجه البخاري (٥٧٦٧)، ومسلم (٣٦/ ٥٩) من حديث ابن عمر ﵄.

(٦) أخرجه مسلم (٣٧/ ٦٠) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما.

الخلق، فإن اللّه تعالى يقول: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

والتوكلُ هو أن تَكِلَ أمورَك بالكليةِ إلى اللهِ سبحانه وتعالى، وترضى بحسنِ اختيارِه لك، فإنه سيكفيك.

وصُنْ نفسَك وسمعَك عن الاستماعِ إلى الكذبِ والغِيْبةِ والبهتانِ والفضولِ، فإن اللّه تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

واجتنبْ أكلَ الحرامِ والشبهاتِ، فإن النبي ﷺ قال: **«كلُّ لَحْمٍ نبتَ مِن السُّحْتِ فالنارُ أولى به»**[١].

وراقبِ اللهَ تعالى في خَلَواتِك وأفعالِك وأحوالِك، فإن اللّه تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

وداوِمْ على ذكرِ الله، فإنك تستجلبُ بذكرك له ذكرَه لك، قال اللّه تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]. وقال الطَّيْكِلاً: **«يقولُ اللهُ تعالى: مَنْ شَغَلَه ذكرى عن مسألتي أعطيتُه أفضلَ ما أُعطي السائلين»**[٢].

• • •

وأقللِ الضحكَ، فإنه رُوي عن رسولِ اللّه ﷺ أنه قال: **«كثرةُ الضحكِ تُميتُ القلبَ»**[٣].

وقرِّبْ أجلَك، وبعِّدْ أملَك، فإنه عونٌ لك على الخيراتِ، فإن اللّه

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٦١٤) من حديث كعب بن عجرة ﷺ، وانظر «الصحيحة» (٢٦٠٩).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٩٢٦) من حديث أبي سعيد ﷺ، وانظر «الصحيحة» (١٣٣٥).

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٣٠٥) من حديث أبي هريرة ﷺ، وانظر «الصحيحة» (٥٠٦).

تعالى يقول: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ﴾ [الحجر: ٣]. والنبيُّ ﷺ رسم خَطَّين، وقال: «**هذا ابنُ آدمَ وهذا أجلُه، وثَمَّ أملُه**»(١).

وأكثرْ نصيحةَ الخلقِ، فإن جَرِيرَ بن عبد اللَّه ﷺ قال: «بايعتُ رسولَ اللَّه ﷺ على النُّصْحِ لكلِّ مسلمٍ»(٢).

واعلمْ أنك لا تَصلُ إلى شيءٍ مما ذكرتُه لك إلا بتوفيقِ اللهِ سبحانه وتعالى»(٣).

تمّتِ الرسالةُ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين

ليلة السبت، التاسع عشر من شهر رجب لعام ثمان وعشرين وأربعمائة وألف لهجرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبارك وآله وصحبه أجمعين.

وكتبه الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته
أبو عبد الرحمن
عبد اللَّه بن صالح العبيلان

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٥٤، ٦٠٥٥) من حديث ابن مسعود وأنس رضي الله عنهما.
(٢) أخرجه مسلم (٥٦/ ٩٨).
(٣) وصية أبي عبد الرحمن السلمي، من كتابه «عيوب النفس» (١/ ٤٢) وما بعدها.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس المحتويات

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس المحتويات

- **تقديم فضيلة الشيخ الفوزان** ٥
- **مقدمة المؤلف** ٧
- **القاعدة الأولى**: الدينُ مبنيٌّ على أصلينِ عظيمين: الإخلاص، والمتابعة للنبي ﷺ. ١١
- **القاعدة الثانية**: أن مصدر التشريع والدعوة والعبادة هو: القرآن والسنة الصحيحة. ١٩
- **القاعدة الثالثة**: أن أهل السنة والجماعة لا يَسْتَقِلُّونَ بِفَهْم القرآن عن السُّنَّةِ . ٢٥
- **القاعدة الرابعة**: أنهم لا يستقِلُّونَ بفهم الكتاب والسُّنة عن فهم السلف الصالح ٣١
- **القاعدة الخامسة**: أنهم أول ما يَدْعُونَ إلى التوحيد، فلا تنجح دعوة ولا تصلح عبادة إلا به ٣٩
- **القاعدة السادسة**: أنهم يبدءون دعوتهم بما بدأ اللَّه به ورسوله ﷺ؛ فيقدِّمُونَ ما قدَّمه اللَّه ورسوله ﷺ ويؤخِّرون ما أخَّره اللَّه ورسوله ﷺ، وبهذا يمكن تحصيل المصالح ودرء المفاسد ٤٧
- **القاعدة السابعة**: أنهم يعظِّمون جميع أمور الدين، فيَدْعُونَ إلى ما دعا إليه النبي ﷺ قدر الاستطاعة ٥١
- **القاعدة الثامنة**: أنهم لا يعارضون النصوص بعقولهم ولا بأهوائهم ولا بأذواقهم، ولا بقول رجال مثلهم ٥٧
- **القاعدة التاسعة**: أن ظهور المسلمين وصلاح أحوالهم مربوط بأمرين، وهما: العلم النافع، والعمل الصالح ٦٧
- **القاعدة العاشرة**: أنهم يعتقدون أن الجماعة أصل من أصول دينهم ٧٩

- **القاعدة الحادية عشرة:** أنهم يعتقدون أن أعظم أسباب الافتراق هو تشيُّع وتحزُّب بعض المسلمين إلى طائفة أو جماعة أو شخص غير رسول اللّه ﷺ وصحابته الكرام ٨٥
- **القاعدة الثانية عشرة:** أنهم يعتقدون أن البيعةَ الشرعيّةَ لا تكون إلا لإمامٍ مسلمٍ بايعَه أهلُ الحِلِّ والعقدِ، والعامةُ تبعٌ لهم ١٠١
- **القاعدة الثالثة عشرة:** أنهم لا يرون منه الخروج على الولاةِ الظَّلمةِ والفَسَقةِ؛ بل يذمُّون ذلك، ويذمُّون من خرَج على الولاةِ دينًا ودنيا ١١١
- **القاعدة الرابعة عشرة:** أنهم يعتقدون أن اتِّباع الأهواء في الديانات - البدع - أعظمُ من اتِّباع الأهواء في الشهوات ١٢٣
- **القاعدة الخامسة عشرة:** أَنَّ دَعْوَتَهُمْ ظاهرة للناس جميعًا، لا سِرِّيَّة فيها ولا تخصيص ١٢٩
- **القاعدة السادسة عشرة:** أنهم يعتقدون أن التمكينَ في الأرضِ مِنْحَةٌ مِنَ اللّه سبحانه وتعالى، يمنحها لمن قام بما أوجب اللّه عليه من العلم النافع والعمل الصالح ١٣٣
- **القاعدة السابعة عشرة:** أنهم يأمرون بالمعروفِ وَينْهَون عن المنكرِ بالعلمِ والرفقِ والصبرِ، بقصدِ الإصلاحِ ١٣٧
- **القاعدة الثامنة عشرة:** ويدعون كل من تصدَّى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى اعتبار المصالح والمفاسد بميزان الشريعة ١٤٩
- **القاعدة التاسعة عشرة:** أنهم يعتقدون أن الجهادَ فريضةٌ ماضيةٌ إلى يوم القيامة ١٥٣
- **القاعدة العشرون:** ويؤمنون بما دلَّ عليه القرآن من سُنَّة اللّه الكونيّة القدريّة في قول اللّه تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ ١٥٧
- **القاعدة الحادية والعشرون:** أن الاقتصاد بالعمل والاعتصام بالسنة عليهما مدار الدين ١٦٥

- **القاعدة الثانية والعشرون**: أنهم يحثُّون الأمة على فهم القرآن والحديث . . ١٦٧
- **القاعدة الثالثة والعشرون**: أنهم يحثُّون على دراسة السنة النبوية والعمل بها، ويحذِّرون من هجرها ١٦٩
- **القاعدة الرابعة والعشرون**: أنهم يقرِّرون أن مقاصد الشريعة ثلاثة. ١٧٣
- **القاعدة الخامسة والعشرون**: بيان بعض الأسباب الداعية لترويج وقبول الباطل ١٧٧
- **القاعدة السادسة والعشرون**: أنهم يحذِّرون من الابتداع في الدين ومن القول على اللَّه بلا علم ١٨٣
- **القاعدة السابعة والعشرون**: أنهم يحذِّرون من طريقة أهل البدع في رميهم العلماء السائرين على طريقة السلف الصالح بالغِلظة والشدَّة بقصد التنفير منهم . . ١٨٩
- **القاعدة الثامنة والعشرون**: أنهم لا يوالون ويعادون في غير مرضاة الله . . ١٩٣
- **القاعدة التاسعة والعشرون**: أنهم يحذِّرون من جعلِ الدين وسيلة للحصول على الدنيا ١٩٧
- **القاعدة الثلاثون**: يعتقدون وجوب لزوم المنهاج النبوي في الدعوة إلى الله ٢٠٣
- **القاعدة الحادية والثلاثون**: أنهم يعتقدون أن التعامل مع الحوادث المتغيرة يجب أن يكون مبنيًّا على فهم أدلة الشريعة ومعرفة سنن اللَّه في خلقه ٢١١
- **القاعدة الثانية والثلاثون**: وجوب تحذير الأمة من أئمة البدع ٢١٧
- **القاعدة الثالثة والثلاثون**: أن أهل البدع أقسام ٢٢١
- **القاعدة الرابعة والثلاثون**: أن ضرر أهل البدع على المسلمين قد يكون أعظم من ضرر الكفار ٢٢٥
- **القاعدة الخامسة والثلاثون**: وجوب تحذير المسلمين من الكتب المشتملة على البدع ٢٢٩
- **القاعدة السادسة والثلاثون**: وجوب الاعتدال في الحكم على المخالفين . ٢٣٥
- **القاعدة السابعة والثلاثون**: أن المخالفين لطريقة السلف واقعون بين الغلوِّ والإرجاء ٢٣٩

● **القاعدة الثامنة والثلاثون:** أن المخالفين للسَّلف الصالح فتحوا باب التشكيك في الدين لأعداء الإسلام ٢٤٣
● **القاعدة التاسعة والثلاثون:** أن أثر البدعة يظهر على صفحات وجوههم وفلتات ألسنتهم ٢٤٥
● **القاعدة الأربعون:** يعتقدون أن سياسة الناس يجب أن تكون وفق كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ، وفهم السلف الصالح ٢٤٩
● **القاعدة الحادية والأربعون:** أنهم يرون أن من الوسائل الشرعيّة في الدعوة إلى اللَّه مخاطبة الناس على قدر أفهامهم ومكانتهم. ٢٥٣
● **القاعدة الثانية والأربعون:** أنهم يحذِّرون من مشابهة الكفار واتباع سبيلهم . ٢٥٩
● **القاعدة الثالثة والأربعون:** أنهم يدعون الناس إلى إفراد اللَّه بالتعلُّق تعبُّدًا واستعانةً، ولزوم الهدي النبوي في كل شؤونهم ٢٦٣
● **القاعدة الرابعة والأربعون:** أنهم يعتقدون أن حقوق الرحمن هي الغاية، وأما حقوق الإنسان فهي تبع لها ٢٧٩
● **القاعدة الخامسة والأربعون:** أنهم يَحْكُمُونَ على الناس بما ظهر من أعمالهم، ويدَعُون السرائر إلى الله ٢٨٣
● **القاعدة السادسة والأربعون:** أنهم يحذِّرون المسلمين من مضلات الفتن . ٢٨٥
● **القاعدة السابعة والأربعون:** أنهم يقرِّرون أن من أبرز علامات أهل البدع: التلون والتنقل، وأنهم قلَّما يُوَفَّقُونَ للتوبة ٢٩٥
● **القاعدة الثامنة والأربعون:** أن مِن منهاجهم التعاملَ مع الخلق بالصدق والأمانة والنصح ٣٠١
● **القاعدة التاسعة والأربعون:** ويعتقدون أنه لا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا ٣٠٥
● **القاعدة الخمسون:** أنهم يقرِّرون أنه يقع الغلط في مفهوم الورع من ثلاث جهات ٣١١

● **القاعدة الحادية والخمسون:** أنهم يَدْعُوَن إلى ما دعَا إليه القرآن من مكارم الأخلاق ٣١٥

● **القاعدة الثانية والخمسون:** ويعتقدون أن اللّٰه تعالى جعل الإمامة في الدين موروثة عن الصبر واليقين ٣١٩

● **القاعدة الثالثة والخمسون:** أن الكفار عندهم ليسوا على درجة واحدة في التعامل معهم ٣٢٣

● **القاعدة الرابعة والخمسون:** ويعتقدون ما دل عليه قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾ ٣٢٧

● الخاتمة ٣٣١

● فهرس المحتويات ٣٣٩

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

تم الصف والإخراج بشركة غراس للطباعة والنشر والدعاية والإعلان
هاتف ٢٤٨١٩٠٣٧ - فاكس ٢٤٨٣٨٤٩٥ - الكويت

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com